موريس لوبلان

فريق
متميزون
E-BOOK

أرسين لوبين والمحقق فيكتور

ترجمة إسراء يونس

الرواق للنشر والتوزيع

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

أرسين لوبين والمحقق يكتور

رواية مترجمة..

موريس لبلان

ترجمة: إسراء يونس

عن الرواية..

المحقق □يكتور شرطي معروف بحدّة الذكاء رغم غرابة أطواره وطباعه الغريبة، أثبت نجاحه في عدّة قضايا، قبل أن يجد نفسه منغمسًا في سلسلة من الجرائم والألغاز الغامضة، التي لا يوجد بينها رابط سوى اسم اللص الشهير "أرسين لوبين" وعشيقته الروسية الفاتنة. يُسخّر □يكتور كل ما يملك من ذكاء وبراعة في تقصي أثر لوبين، رغم كل العوائق التي يجدها في طريقه، لكنّ الأمور تزداد تعقيدًا مع تساقط المشتبه فيهم واحدًا تلو الآخر.

ويظل السؤال قائمًا: ما علاقة "أرسين لوبين" بكل هذا، ولماذا يسعى المحقق □يكتور للنيل منه بكل هذه الشراسة، ومن منهما سينتصر على غريمه في النهاية؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة..

اكتسب □يكتور محقق شرطة الآداب شهرته الواسعة بعد قضية سندات الدفاع الوطني، وجريمتَي قتل الأب ليسكوت، وإليز ماسون، وصراعه الشرس ضد أرسين لوبين، لم يكُن قبل ذلك سوى شرطي عجوز ماكر، حاد الطباع ودائم التجهم، يعمل بمهارة هاوٍ إذا راقت له قضية ما، فطالما تحدثت الصحافة عن وسائله الغريبة، وطرقه الملتوية في حل أغلب القضايا بمفرده.

بعد انزعاج المحافظ بسبب بعض الشكاوى الموجهة ضد الشرطة في الكثير من القضايا المتأخرة، قدَّم إليه السيد غوتييه، مدير الشرطة القضائية، والذي لم يفشل أبدًا في دعم مرءوسيه، هذه المذكرة السرية الخاصة بـ□يكتور:

«المحقق □يكتور واسمه الكامل □يكتور هوتين، هو ابن المدعي العام الذي تُوفِّي في تولوز منذ أربعين عامًا، قضى □يكتور هوتين جزءًا من حياته في المستعمرات. عمل كظابط شرطة ممتاز منذ بدايته، كان مسئولًا عن أدق المهام وأخطرها، ولكنه في أغلب الأوقات كان ينتقل في الخدمة من بلد إلى آخر بعد الكثير من الشكاوى التي يُقدِّمها ضده أزواج وآباء يقوم بإغواء زوجاتهم وبناتهم، وقد منعته هذه الفضائح من تولي مناصب عليا في الإدارة، وعلى مر السنين أصبح أكثر هدوءًا وتعقلًا، وبعد أن ورث ثروة كبيرة أيضًا، ولكنه حريص الآن على شَغل وقت فراغه في خدمة الشرطة كما قضى حياته بأكملها، فقد أوصى به أحد أبناء عمومتي المقيمين في مدغشقر، والذي يُكِن لـ□يكتور هوتين تقديرًا عظيمًا.

في الواقع على رغم تقدُّمه في السن ورغم استقلاليته المفرطة، وشخصيته الحساسة، فإنه مساعد ثمين، لديه ذكاء واستبصار نافذ، فقد أثبت طوال فترة عمله أنه من الرجال الأفذاذ الذين يؤدون خدمات منقطعة النظير للشرطة دون مطامح خاصة، وأنا أعتبر هذا من أكثر الأسباب التي تجعلني أقدره كثيرًا».

عندما كُتِبت هذه المذكرة، لم تكُن شهرة □يكتور تتجاوز الدائرة الضيقة لرؤسائه وزملائه، ولكن ما لبث أن أخذ اسمه في التردد عندما واجه فجأة هذه الشخصية غير العادية، هذه الشخصية الجبارة أرسين لوبين، التي أعطت قضية سندات الدفاع الغامضة تلك الأهمية والتميز الخاص، يمكننا القول إن الإمكانيات الرائعة بالفعل للمحقق □يكتور العجوز قد برزت فجأة إلى أقصى حد لها بعد أن شاءت الظروف أن يواجه ذلك الخصم القوي.

في البداية سعى □يكتور إلى هذا النضال العنيف الذي لا هوادة فيه في الخفاء، ثم أصبح العداء علانية على مرأى ومسمع الجمهور والشرطة، أما عن تلك النهاية غير المتوقعة لهذه القضية، والتي ما زالت تضيف إلى مكانة وهيبة لوبين الكثير من الإبهار، فقد كانت السبب أيضًا في تردُّد اسم □يكتور محقق شرطة الآداب في جميع أنحاء العالم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل الأول

النمس يركض ويركض ([1])

(١)

قادت الصدفة وحدها □يكتور محقق شرطة الآداب بعد ظهر يوم الأحد إلى سينما بلازار، وكان ذلك بعد إخفاقه في محاولة مطاردة استمرت حوالي أربع ساعات في شارع (كليشي) المكتظ بالمارة، ولكي يتجنب الازدحام والصخب الناتج عن المهرجان المتنقل في هذا الوقت من العام؛ جلس في شرفة أحد المقاهي، يتصفح إحدى الصحف المسائية، وقرأ هذه الفقرة:

«تم تداول بعض الأنباء عن عودة اللص الشهير أرسين لوبين، وذلك بعد بضع سنوات من الصمت والاختفاء، كثر الحديث مؤخرًا عن واقعة رؤيته يوم الأربعاء المنصرم في إحدى مدن شرق فرنسا، وعلى إثر هذه الحادثة تم إرسال محققين من باريس إلى تلك المدينة لمطاردته.. ربما سينجو هذه المرة أيضًا من براثن الشرطة ويحالفه الحظ الذي طالما حالفه مرات سابقة».

- الوغد!

غمغم □يكتور في حنق شديد، كان شرطيًّا صارمًا يعُد المجرمين بمثابة أعداء شخصيين له، ينعتهم بأشنع الألفاظ ويتوعدهم ليلًا نهارًا. وبما أنه كان في مزاج سيئ إلى حد ما، فكر في أن يلجأ إلى السينما للتنفيس عن مشاعره قليلًا، كانت تعرض، لليوم الثاني على التوالي، فيلم مغامرات بوليسيًّا شهيرًا جدًّا؛ جلس على أحد مقاعد الشرفات العلوية الجانبية، كانت الاستراحة تقترب من نهايتها، ما إن جلس لبعض الوقت حتى بدأ يتذمر، ويشعر بالملل إثر قراره السريع، ماذا دهاه ليقوم بذلك؟ ماذا يفعل هنا؟ كان على وشك المغادرة، وقد نهض بالفعل عندما وقعت عينه على امرأة بالغة الجمال، صهباء ذات وجه شاحب وغطاء وجه من الدانتيل الأحمر، تجلس داخل المقصورة المواجهة له على بُعد أمتار قليلة، كانت واحدة من تلك الفاتنات التي تنجذب إليها الأنظار من كل حدب وصوب على الفور، على الرغم من عدم سعيها لجذب الانتباه سواء بالطريقة التي تتصرف بها، أو بأدنى لفتة وقار مفتعل، كانت هادئة رقيقة غير مبالية بما حولها.

عاد □يكتور إلى مكانه مرة أخرى، كان لديه الوقت الكافي لمراقبة بريق العينين الصافيتين تحت غطاء الوجه الرقيق قبل حلول الظلام المفاجئ في الغرفة من جديد بعد انتهاء فترة الاستراحة؛ لم يعبأ بهذا الفيلم الممل الذي أضجره بمغامراته المتكلفة، ومع ذلك انتظر حتى النهاية، لم يكُن يعتقد في قرارة نفسه بأنه ما زال في العمر الذي يجعله يروق في أعين النساء، فهو يعرف جيدًا تفاصيل وجهه القاسي، ملامحه المتجهمة، وبشرته المجعدة قليلًا، وصدغَيه اللذين خطهما الشيب، باختصار لقد كانت مجموعة الصفات المتبقية من هذا الجندي المتقاعد من سلاح الفرسان سابقًا توحي أنه قد أوشك على تجاوُز الخمسينيات من عمره، يسعى لبعض الأناقة عن طريق ملابسه المعدلة في القياس حتى تلائمه.

لطالما كان الجمال الأنثوي مشهدًا لا يمله أبدًا، فقط كان يُذكِّره بأفضل الأيام والمشاعر في حياته، بالإضافة إلى ذلك، كان يحب وظيفته لدرجة كبيرة، وقد أكسبته خبرته الواسعة في هذا المجال خصيصًا حب استطلاع وفضول رهيب في معرفة ما تخفيه النساء خلف جمالهن الباهر من غموض ومعاناة، أو في بعض الأحيان ما يخفونه من بساطة ورقة متناهية.

عندما أضاءت القاعة مرة أخرى، رأى السيدة واقفة في الضوء بكامل بهائها، كانت طويلة القامة، ممشوقة القوام، متميزة بأناقتها، كل هذه الاعتبارات حفزته للاقتراب منها، انتابته رغبة عارمة للتعرف إليها، ولذلك أخذ يتبعها بدافع الفضول على قدر الاهتمام المهني، ولكن بمجرد أن تحرك من مكانه وبدأ في الاقتراب، اندلعت ضجة مفاجئة أسفل الشرفة، تعالت الصيحات بين حشد المتفرجين، وهتف رجل بصوت مرتفع:

- النجدة! أوقفوها، لقد سرقتني!

انحنت السيدة الأنيقة فوق الفرقة الموسيقية لترى ما يحدث في الأسفل، كما انحنى □يكتور أيضًا؛ فشاهد في الممر الرئيس للقاعة شابًّا بدينًا، قصير القامة ممتعض الوجه، يكافح بشراسة ليشق صفوف المحتشدين التي أحاطته، لا بد أن المرأة التي كان يحاول الوصول والإشارة بإصبعه الممدود إليها قد ابتعدت كثيرًا، لأن أيًّا من □يكتور ولا المتفرجين قد شاهدوا أثرًا لامرأة تحاول الجري أو تحاول إنقاذ نفسها، ومع ذلك كان يصيح ويلهث ويشب على رءوس أصابعه؛ ليتطلع إلى الأمام متقدمًا بمرفقَيه وكتفَيه.

- هناك! هناك! ها هي تخرج عبر الأبواب.. شعرها أسود.. ثوبها أسود.. ترتدي قبعة..

كان يختنق بالكلمات، ولم يتمكن من إعطاء أيِّ معلومات من شأنها أن تحدد هوية المرأة غير هذا الوصف البسيط، في النهاية دفع الناس بقوة مكَّنته من شق طريقه، ووثب عبر مدخل القاعة إلى عتبة الأبواب الكبيرة المفتوحة، حيث كان يقف □يكتور، الذي لم ينتظر أكثر من ذلك ليهبط من الشرفة إلى الطابق السفلي، وينضم إلى الرجل الذي لا يزال يصيح:

- اللصة! أوقِفوها! ساعِدوني!

في الخارج كانت فرق المهرجان المتنقل ما زالت مستمرة في إطلاق المفرقعات والألعاب النارية، أضاءت أنوار الليل بريقًا مهتزًّا بالغبار.

وقف الشاب ساكنًا لمدة ثانيتين أو ثلاث ثوانٍ على الرصيف، يبحث بعينين ذاهلتين يمينًا ويسارًا، لقد فقد رؤية الهاربة بلا شك، ثم فجأة بدا وكأنه رآها، واتجه يركض نحو ميدان كليتشي وسط تزاحُم السيارات والترام.

لم يعُد يصرخ الآن، أخذ يجري بسرعة كبيرة، بل ويقفز أحيانًا؛ على أمل أن يجد المرأة التي سرقته من بين مئات المشاة، كان يشعر منذ خروجه من السينما أن هناك شخصًا ما يركض أيضًا إلى جانبه؛ مما شجعه أكثر فضاعف سرعته.

قال له صوت الرجل جواره:

- هل ما زلت تراها؟ كيف يمكنك رؤيتها بحق الجحيم؟

تمتم لاهثًا:

- لا، لم أعُد أراها لكنها بالتأكيد سلكت هذا الشارع.

في تلك اللحظة دلف إلى شارع أقل ازدحامًا، حيث كان من المستحيل عدم التعرف إلى امرأة تمشي بوتيرة أسرع من سائر المشاة، وعندما بلغا تقاطُع طُرُق أمامهم، توجه بلهجة آمرة قائلًا إلى □يكتور:

- اسلك هذا الشارع على اليمين وأنا سأسلك هذا، وسنلتقي في النهاية، لا تنسَ، امرأة ذات شعر أسود حالك وفي ثياب سوداء أيضًا.

لم يكَد يخطو سوى عشرين خطوة في الشارع الذي اختاره حتى اتكأ على الحائط، لاهثًا يترنح، وعندها فقط أدرك أن رفيقه ما زال إلى جواره ولم يطِعه، بل سانده بحرارة في ضعفه، قال بغضب:

- أما زلت هنا؟ لقد أوصيتك بأن...

أجاب □يكتور:

- نعم، لكنك منذ أن خرجت من ميدان كليتشي وأنت تسير مشوشًا مضطربًا على غير هدى، يجب أن نفكر قليلًا، أنا معتاد هذه الأمور. في بعض الأحيان نتصرف بشكل سريع ولكن في الاتجاه الخطأ.

تعجب الشاب من هذه الشخصية الجذابة، ولاحظ أنه من الغريب بالنسبة لرجل في مثل عمره أن يركض مثل تلك المسافة دون أن يتعب أو حتى يلهث من الجري.

- أوه! -قال متجهمًا- هل أنت معتاد ذلك؟

- نعم أنا من الشرطة، المحقق □يكتور.

- هل أنت من الشرطة حقًّا؟ -تفاجأ الشاب، وقال متلعثمًا بعينين مترقبتين- أنا لم أرَ رجل شرطة من قبل قط.

هل راقت له هذه المعرفة، أو أنه كان خبرًا غير سار بالنسبة له؟

مد يده إلى □يكتور، وشكره قائلًا:

- وداعًا.. لقد كنت لطيفًا جدًّا معي، أشكرك.

كان يبتعد بالفعل عندما أوقفه □يكتور.

- ولكن هذه المرأة؟ هذه اللصة؟

- لم يعُد يهم، سأجدها يومًا ما.

- يمكنني أن أكون مفيدًا لك؛ لذا أعطِني بعض المعلومات.

- معلومات؟ عن ماذا؟ أعتقد أنني كنت مخطئًا.

بدأ يسرع الخطى، رافقه المحقق بنفس الخطوة السريعة، وبينما بدا الآخر أكثر حرصًا على قطع المحادثة، تشبث به المحقق أكثر، حتى إنهما لم يعودا يتكلمان، بدا الشاب في عجلة من أمره وكأنه يسعى لتحقيق هدف آخر وليس القبض على السارقة، من الواضح أنه كان يخوض مغامرة أخرى أكبر من تلك.

قال المحقق الذي قاده من ذراعه نحو الطابق الأرضي في مبنى جانبهما تعلوه تلك العبارة في ضوء أحمر براق: «مركز شرطة».

- لندخل قليلًا.

- إلى هنا! لماذا؟

- علينا أن نتحدث قليلًا، وأعتقد أن هذا الحديث ليس ملائمًا في وسط الشارع.

احتج الرجل قائلًا:

- أنت مجنون! اتركني وشأني!

- أنا لست مجنونًا، ولن أتركك وشأنك.

رد □يكتور بشكل أكثر شراسة؛ فقد اشتد غضبه في تلك اللحظة عندما أدرك تخليه عن مغامرته مع سيدة السينما الجميلة من أجل ذلك الوغد. قاوم الغريب، ألقى لكمة، وتلقى اثنتين، وأخيرًا هُزِم، وتم اقتياده إلى غرفة يتجمع بها حوالي عشرين ضابط شرطة يرتدون نفس الزي الموحد.

- أنا المحقق □يكتور، من شرطة الآداب- أعلن □يكتور عند دخوله- هناك حادث ما يخص هذا السيد؟ هل لديك مانع في الانتباه إلينا يا سيدي الضابط؟

أثار اسم □يكتور حركة من التوتر والفضول بين الضباط؛ نظرًا لشهرته في دوائر الشرطة المختلفة، وضع كبير الضباط نفسه تحت خدمته على الفور، وبينما كان □يكتور يشرح له الأمر بإيجاز، انهار الشاب على مقعد خائر القوى.

- هل أنت متعب الآن؟ -صاح □يكتور- ولكن، لماذا كنت تركض بجنون منذ قليل؟ لقد فقدت أثر سارقتك على الفور، مم كنت تحاول الفرار إذن؟

قطع الآخر حديثه قائلًا:

- ما الذي يزعجك في هذا الأمر؟ لديَّ الحق في الركض خلف أي شخص ومن أجل أي شيء! اللعنة، ماذا فعلت لتجلبني إلى هنا؟

- ولكن ليس لك حق في إثارة فضيحة في مكان عام، كما أن لدينا الحق حسب قانون الطوارئ لإلقاء القبض عليك عند أي مبادرة منك لإثارة القلق دون سبب واضح.

- أنا لم أؤذِ أحدًا.

- بلى، ولكنك وضعت نفسك في دائرة الشك، والآن دعك من هذا الهراء وأعطِني أوراق هويتك.

- ليس لديَّ.

لم يمضِ وقت طويل، وبسرعة وحشية إلى حد ما، فتش □يكتور سترة الرجل، ثم أخذ محفظته، وفحصها، وتمتم:

- هل هذا اسمك، ألفونس أوديجراند؟ ألفونس أوديجراند! هل تعرف ذلك يا حضرة الضابط؟

- يمكننا القيام بالاتصال والاستعلام.

التقط □يكتور الهاتف، وطلب مبنى المقاطعة، وانتظر، ثم تابع:

- مرحبًا، الشرطة القضائية، من فضلك.. مرحبًا، هل هذا أنت ليفيبور؟ هنا □يكتور من شرطة الآداب، أخبِرني يا ليفيبور من فضلك، أنا أستعلم عن سيد يُدعَى أوديجراند، وهو لا يبدو كاثوليكيًّا إلى حد ما، هل هذا الاسم يعني لك شيئًا؟ ماذا؟ نعم ألفونس أوديجراند، ماذا برقية من ستراسبورغ؟ اقرأها لي من فضلك.. نعم، تمامًا، إنه هو، قصير وبدين، بشوارب متدلية، نعم نحن هناك، مَن الذي يتولي النبطشية في المكتب اليوم؟ المحقق هيدواين؟ أعلِمه بالأمر واجعله يأتي ليصطحب رجلنا المنشود من قسم الشرطة في آخر يورسين.

بعد قطع الاتصال التفت إلى أوديجراند، وقال:

- يا لك من شقي! أنت موظف البنك المركزي الشرقي الذي أصبح في عداد المفقودين منذ يوم الخميس الماضي، وهو نفس اليوم الذي سُرِقت فيه سندات الدفاع الوطني التسعة، ضربة رائعة بتسعمئة ألف فرنك! من الواضح أن هذه الأموال هي التي سُرِقت منك اليوم، في السينما، فمَن السارقة؟

تأثر أوديجراند وبدأ البكاء بحرارة، لم يكُن لديه قوة للدفاع عن نفسه، واعترف بسذاجة:

- التقيتها أول أمس في المترو، وأمس تناولنا الغداء والعشاء معًا.

لاحظت مرتين أنني كنت أخفي مظروفًا أصفر في جيبي، واليوم في السينما كانت تميل عليَّ وتُقبِّلني من حين لآخر.

- هذا المغلف يحتوي على السندات؟

- نعم.

- اسم المرأة؟

- إرنستين.

- إرنستين ماذا؟

- لا أعرف.

- هل لديها عائلة؟

- لا أعرف.

- هل تعمل؟

- كاتبة.

- أين؟

- في مستودع كيماويات.

- أين يقع؟

- لا أعلم، لقد التقينا في ميدان مادلين.

كان يبكي لدرجة أنه أصبح من المستحيل فهمه، نهض □يكتور الذي لم يعُد له حاجة لسماع المزيد، واتفق مع ضابط الشرطة حتى لا يغفل الاحتياطات اللازمة لحراسة الرجل، وهَم بالعودة للمنزل لتناوُل العشاء، في تلك اللحظة لم يعُد السيد أوديجراند مهمًّا بالنسبة له، حتى إنه ندم على الاهتمام به منذ البداية، وفقد التواصل بسيدة السينما الجميلة، تلك المخلوقة الرقيقة جدًّا والغامضة جدًّا! لماذا بحق الجحيم كان على هذا الغبي أوديجراند أن يتدخل ليفسد تلك اللحظة بينها وبين □يكتور، الذي كان مولعًا جدًّا بالغرباء وشغوفًا بفك رموز حياتهم؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان □يكتور يعيش في حي (تيرنز) في شقة صغيرة مريحة وأنيقة، برفقة خادم كبير السن، يمتلك ثروة بسيطة، يعيش حياة مستقلة للغاية، كان مسافرًا شغوفًا وقارئًا نهمًا، أما عن عمله فقد كان يشعر براحة شديدة في العمل مع شرطة المقاطعة في الآونة الأخيرة، حيث كان يحظى بتقدير كبير، كان يعمل هناك بصفته متعاونًا، تمامًا كموظف مستديم، يخضع للقواعد العادية، فإذا ضايقه أمر ما لا يُوجَد شيء في العالم، لا النظام ولا التهديد، ليمنعه من ملاحقته، لو سمع عن مجرم هارب أو شخص مشبوه يسعى خلفه، يمسك به ويدفعه بقوة ليسلمه إلى الشرطة القضائية، ثم لن نعود لنسمع عن المجرم أو عن الخبر بعد ذلك، فهو من الأشخاص غير المحبين للشهرة والصحافة.

في اليوم التالي، الاثنين، قرأ في جريدته الصباحية قصة الاعتقال التي رواها المفتش الرئيس هيدواين مع زخم من التفاصيل التي أزعجته، كان يعتقد أن على الشرطي الجيد أن يقوم بمهامه بتكتم، كان سينتقل إلى قراءة أي أحداث أخرى لو لم تذكر هذه الصحيفة نفسها خبر مرور أرسين لوبين بمدينة في الشرق، وما لم يكُن يعلمه أن هذه المدينة ليست سوى ستراسبورغ، نفس مكان سرقة السندات المالية، هل الأمر مجرد صدفة؟ بالطبع صدفة؛ لأنه لا يمكن أن تكون هناك علاقة بين هذا الأبله أوديجراند وأرسين لوبين.

قام على الفور بتتبع الأدلة في فترة ما بعد الظهر، استفسر عن مستودعات المواد الكيميائية بالقرب من منطقة مادلين، لم تكُن قد حانت الساعة الخامسة بعد حتى اكتشف أن هناك امرأة تُدعَى إرنستين تعمل في (مستودع الكيمياء المركزي) بشارع (مونت تابور)، اتصل هاتفيًّا بالمدير ودفعته الإجابات التي تلقاها إلى القيام بزيارة فورية إلى المكتب.

يتكون المكتب من غرف صغيرة للغاية، تفتقر إلى بعض المساحة ومنفصلة عن بعضها بمجموعة من الحواجز الضيقة، اصطدم في البداية باحتجاجات قوية داخل مكتب المدير الذي اعترض قائلًا:

- إرنستين بيليه لصة! هل يمكن أن تكون السارقة التي قرأت عن مغامرة هروبها في الصحف هذا الصباح؟ مستحيل أيها المحقق! والدا إرنستين أناس شرفاء جدًّا، وهي تعيش معهما.

- هل يمكنني أن أطرح عليها بعض الأسئلة؟

- ليس لديَّ مانع.

ضغط زر الاستدعاء، وقال:

- اطلبوا الآنسة إرنستين.

جاءت آنسة صغيرة، مظهرها متحفظ بعض الشيء، هادئة للغاية، وجهها متوتر قليلًا؛ تحسبًا لأسوأ الأحداث، ما لبثت أن انهارت المسكينة عند الضربة الأولى، عندما سألها □يكتور بطريقته الجافة عما فعلته بالمغلف الأصفر الذي سرقته في اليوم السابق من رفيقها، ودون مقاومة مثلما فعل السيد أوديجراند، خارت قواها وانهارت على الكرسي تبكي متلعثمة:

- لقد كذب، رأيت مظروفا أصفر على الأرض، حملته وقد علمت هذا الصباح من الصحيفة أنه يتهمني.

مد □يكتور يده قائلًا:

- أعطيني المغلف، هل هو معكِ؟

- نعم أحضرته معي، لم أكن أعرف أين أجد هذا الرجل حتى أعيده له، إنه هناك، فوق مكتبي، بالقرب من الآلة الكاتبة.

قال □يكتور:

- لنذهب.

قادته إلى مكتبها وكان يحتل ركنًا صغيرًا محاطًا بحاجز، رفعت حزمة من الخطابات من فوق نهاية الطاولة، بدت متفاجئة قليلًا، ثم قامت بحركة عصبية مبعثرة الأوراق من فوق المكتب.

قالت مندهشة:

- لا يُوجَد شيء، لم تعُد هنا.

- لا أحد يتحرك من مكانه. أمر □يكتور العشرات من الموظفين المحتشدين حولهما.

- سيدي المدير، هل كنت بمفردك في المكتب عندما اتصلت بك؟

- أعتقد هذا، بالأحرى لا، أتذكر أن المحاسبة كانت معي، السيدة شاسين.

- في هذه الحالة، يمكن أن تكون قد قلت كلمات معينة في أثناء حديثك أعلمتها بالأمر، لقد نعتني مرتين خلال اتصالنا بالمحقق، وذكرت اسم الآنسة إرنستين، كما أنه من المؤكد أن السيدة شاسين هذه قد علمت من الصحف مثل أي شخص آخر أننا نشتبه في الآنسة أرنستين، هل السيدة شاسين هنا؟

أجاب أحد الموظفين:

- السيدة شاسين تغادر دائمًا في الساعة السادسة إلا عشرين دقيقة؛ لتلحق بقطار الساعة السادسة. إنها تعيش بضاحية (سانت كلود).

سأل □يكتور الآنسة أرنستين:

- هل كانت قد غادرت عندما اتصل بكِ المدير لتحضري إلى مكتبه من عشر دقائق؟

- لا، كانت لا تزال هنا.

- هل رأيتِها تغادر يا آنسة؟

- نعم، كانت ترتدي قبعتها بينما كنا نتحدث معًا في ذلك الوقت.

- وفي نفس اللحظة تم استدعاؤكِ إلى الإدارة، فألقيتِ بالمظروف الأصفر فوق هذه الأوراق؟

- نعم، حتى ذلك الحين كنت أحتفظ به في صدريتي، ثم أخرجته ووضعته هنا.

- وهل استطاعت السيدة شاسين رؤيتكِ؟

- أعتقد ذلك.

نظر □يكتور في ساعته لتحديد الوقت، ثم قام بجمع بعض المعلومات عن السيدة شاسين، كانت سيدة في الأربعين من عمرها، ذات شعر أحمر، ممتلئة الجسد، ترتدي سترة من الصوف الأخضر، ثم هَم بمغادرة المستودع. في الطابق السفلي التقى بالمفتش هيوادن الذي كان قد ألقى القبض على ألفونس أوديجراند في اليوم السابق، والذي صرخ مرتبكًا عندما رأى □يكتور:

- أوه! كيف تمكنت من الوصول إلى هنا بهذه السرعة؟ ها أنت ذا بالفعل يا □يكتور! هل رأيت عشيقة أوديجراند؛ الشابة إرنستين؟

رد □يكتور باقتضاب وهو في عجلة من أمره:

- نعم، كل شيء على ما يُرام.

ودون أن يُضيع وقتًا أكثر، استقل سيارة أجرة، ووصل إلى القطار في الساعة السادسة. ومن النظرة الأولى أدرك أن العربة الطويلة حيث كان يجلس لا تُوجَد بها سيدة ترتدي سترة خضراء.

غادر القطار المحطة، كان جميع المسافرين من حوله يقرءون الصحف المسائية، جلس اثنان منهم بالقرب منه وتحدثا عن قضية المغلف الأصفر والسندات، من خلال تلك المحادثة أدرك كيف كانت أصغر التفاصيل معروفة بالفعل لدى الجميع. وفي غضون خمس عشرة دقيقة وصل إلى ضاحية (سانت كلود)، وعلى الفور تحدث □يكتور مع ناظر المحطة بينما كان يراقب خروج المسافرين من عربات القطار، وقد كانوا كثيرين بالفعل، عندما لمح سيدة ذات شعر أحمر، ترتدي سترة خضراء تتسلل في الزحام خلف معطف رمادي لرجل ما؛ أسرع وسط المارة وهو يحمل شارة عمله شرطيًّا في يده، ثم توجه إليها بصوت منخفض:

- أرجوكِ اتبعيني يا سيدتي، أنا من رجال الشرطة.

انتفضت السيدة وتمتمت ببعض الكلمات في ارتباك واضح، ثم رافقت المحقق، وناظر المحطة الذي أوصلها إلى مكتبه.

قال □يكتور:

- أنتِ موظفة في مستودع الكيمياء المركزي، وقد أخذتِ ربما عن طريق الخطأ مظروفًا أصفر تركته الكاتبة إرنستين بالقرب من الآلة الكاتبة فوق مكتبها.

- أنا؟ -قالت بهدوء نوعًا ما- من المؤكد أن هناك خطأ يا سيدي!

- في هذه الحالة سنضطر إلي...

- لتفتيشي؟ ولِم لا؟ أنا رهن إشارتكم.

أظهرت مثل هذه الثقة؛ لدرجة أنه تردد في البداية، ولكن من ناحية أخرى لو كانت بريئة، ألا يحق لها أن تدافع عن نفسها؟!

طُلِب منها الانتقال إلى غرفة مجاورة مع موظفة في المحطة لتقوم بتفتيشها، لم يتم العثور على المظروف الأصفر معها، ولا سندات الدفاع.

ولكن □يكتور لم يتوانَ، وقال لها بصرامة:

- أعطيني عنوانكِ من فضلك.

وعندما خرج إلى المحطة مرة أخرى كان هناك قطار آخر قادمًا من باريس، وسرعان ما خرج منه كبير المفتشين هيدواين، واصطدم على الفور بـ□يكتور، الذي قال له بهدوء:

- للأسف كان لدى السيدة شاسين الوقت الكافي لوضع المغلف في مكان آمن بعد خروجها من مكان عملها؛ أتدري يا هيدواين لو لم يتم تسريب المعلومات والثرثرة الكثيرة عن تفاصيل القضية في الليلة الماضية بداخل شرطة المقاطعة أمام الصحفيين، لم يكُن العامة ليدركوا شيئًا عن هذا المظروف الأصفر الذي يحتوي على ثروة، ولم تكُن السيدة شاسين لتفكر في سرقته، كنت سأنتزعه من صدرية الآنسة إرنستين بكل بساطة.

حاول هيدواين أن يحتج، ولكن □يكتور صده قائلًا بحزم:

- في النهاية كما ترى، ففي خلال أربع وعشرين ساعة تم تداوُل هذه الثروة الطائلة على أيدي ثلاثة هواة: أوديجراند، وإرنستين، وشاسين، والآن دعنا نبحث عن الرابع.

واستقل القطار الذاهب إلى باريس على الفور تاركًا خلفه رئيس المفتشين هيدواين يقف مذهولًا على رصيف المحطة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٣)

في صباح الثلاثاء ارتدى □يكتور سترته جيدًا، وانطلق بسيارته، كانت سيارة متواضعة مكشوفة ذات أربعة مقاعد، انطلق في طريقه لإجراء تحقيق دقيق ومفصل بضاحية سانت كلود.

اتبع عمله بناءً على هذا المنطق، كان المظروف الأصفر بحوزة السيدة شاسين يوم الاثنين السابق من الساعة الخامسة وأربعين دقيقة حتى الساعة السادسة، لا يمكن أن تضع شيئًا بهذه الأهمية في أول مكان يطرأ أمامها، منطقيًّا كان عليها تسليمه إلى شخص ما. وأين يمكن أن تلتقي بهذا الشخص إن لم يكُن في أثناء الرحلة من باريس إلى ضاحية سانت كلود؟ لذلك يجب أن يركز تحقيقه على الأشخاص الذين قاموا بهذه الرحلة وبنفس المقصورة التي كانت تُوجَد بها، وخاصة أولئك الذين تربطهم علاقة وثيقة بتلك السيدة.

ذهب □يكتور لرؤية السيدة شاسين، ولكن بلا فائدة؛ لأنها أصرت على الإنكار القاطع للأمر برمته، كانت تعيش مع والدتها منذ عام، بعد أن رفعت دعوى طلاق ضد زوجها، وهو تاجر للحديد والمعدات الثقيلة في بونتواز، كان كلٌ من الأم وابنتها تتمتعان بسمعة ممتازة، ولم يكُن لديهما علاقات كثيرة، ولا تسمحان لأحد بزيارتهما سوى لثلاثة أصدقاء قدامى فقط، لم يكُن أيٌّ من هؤلاء الأصدقاء في باريس في اليوم السابق. من جانب آخر، لم يسمح المظهر الفظ للسيدة شاسين بالشك في سوء سلوكها.

في يوم الأربعاء، لم تكُن تحقيقات □يكتور أكثر نجاحًا. أصبح الوضع مزعجًا؛ فاللص رقم أربعة توخى الحذر جيدًا من خلال تجربة أسلافه الثلاثة السابقين، كما كان لديه متسع من الوقت لاتخاذ الاحتياطات اللازمة. يوم الخميس، جلس في مقهى صغير بضاحية جاراش في بداية النهار، وهي بلدة مجاورة لسانت كلود، ثم بدأ في التحقق والبحث في المناطق المجاورة باقي اليوم، وفي النهاية عاد لتناوُل العشاء في نفس المقهى الصغير المقابل لمحطة جاراش، على الطريق الرئيس المؤدي لسانت كلود في فوكرسون.

عند الساعة التاسعة تفاجأ بقدوم غير متوقع لهيدواين، والذي قال على الفور عند رؤيته:

- أخيرًا، لقد كنت أبحث عنك منذ صباح اليوم في المنطقة بأكملها. المدير غاضب بشدة، لم نستطِع العثور عليك في أي مكان، أين كنت بحق الجحيم؟! لِم لا تهاتفنا على الأقل؟! هل تعرف أي شيء جديد؟

- وأنتم؟ همس □يكتور بهدوء.

- لا شيء البتة.

طلب □يكتور مشروبين، وشرب كأسًا من الكوراساو ([2]) ببطء، ثم قال بنبرة هادئة:

- السيدة شاسين لديها عشيق.

قفز هيدواين من مكانه مندهشًا:

- هل أنت مجنون؟ بهذا الوجه الدميم!

- لقد اعتادت هذه الأم وابنتها التنزه كل يوم أحد، تم رؤيتهما يوم الأحد الأخير من شهر أبريل المنصرم تتجولان وسط غابات (فوسيس ريبوس) بصحبة رجل نبيل، بعد ثمانية أيام؛ أي قبل أسبوعين من الآن، تم رؤية الثلاثة مرة أخرى بالقرب من فوكرسون، إنه كهل في الخامسة والخمسين من عمره، يسكن بالقرب من جاراش ليس ببعيد عن غابات سانت كوكوفا، يعيش في منزل صغير يُطلَق عليه في هذه المنطقة اسم (الكوخ)، استطعت رؤيته خلف السياج وهو داخل حديقته، نحيل الجسم ذي لحية رمادية كثة.

- لو هذه هي كل المعلومات التي تمكنت من الحصول عليها؛ فيؤسفني أن أبلغك أنها لا تعني شيئًا.

- أحد جيرانه وهو السيد فيلانت الذي يعمل في المحطة، بإمكانه إعطائي معلومات أكثر دقة من الآخرين، ولكنه ذهب هذا المساء لإيصال زوجته إلى فرساي لزيارة قريب مريض وأنا الآن في انتظار عودته.

انتظرا لساعات دون أن يتحدثا، لم يكُن □يكتور أبدًا في مزاج يؤهله لمواصلة الثرثرة، حتى إنه غفا قليلًا، بينما كان هيدواين يدخن السجائر بعصبية، أخيرًا في الساعة الثانية عشرة والنصف صباحًا وصل موظف المحطة، وصرخ على الفور عندما سأله □يكتور:

- الأب ليسكوت، تسألني إذا كنت أعرفه! نحن نعيش على بُعد مئة متر من بعضنا البعض، إنه رجل غليظ لا يهتم إلا بحديقته. في بعض الأحيان وفي وقت متأخر من الليل، كنت أرى سيدة تتسلل إلى منزله، لا تكاد تمكث أكثر من ساعة أو ساعتين. أما عنه فهو لا يخرج أبدًا من المنزل إلا أيام الأحد للذهاب في نزهة طويلة، ويوم واحد في الأسبوع للذهاب إلى باريس.

- أيُّ يوم؟

- عادةً يوم الاثنين.

- إذن، هل سافر الاثنين الماضي؟

- نعم، أتذكر. فأنا من قطعت تذكرته في طريق العودة.

- في أي وقت يعود؟

- دائمًا نفس القطار الذي يصل إلى جاراش في الساعة السادسة وتسع عشرة دقيقة مساءً.

سادت لحظات من الصمت نظر خلالها الشرطيان إلى بعضهما البعض، ثم سأل هيدواين:

- وهل رأيته منذ ذلك الحين؟

- ليس أنا بل زوجتي، فهي تعمل بصناعة الخبز وبيعه إلى سكان الضاحية، على الرغم من أنها تدعي أنه في آخر ليلتين الثلاثاء والأربعاء، بينما كانت تعمل...

- تدعي؟

- عندما كانت تمر بجوار منزل الأب ليسكوت لم يتوقف كلبه العجوز عن النباح؛ مما لفت انتباهها لمراقبة الأمر، وعند الاقتراب رأت زوجتي ظل رجل يرتدي قبعة.. قبعة رمادية.

- وهل تعرفت إلى هذا الرجل؟

- نعم، هي تعتقد ذلك، ولكنها لم تخبرني مَن هو.

- زوجتك في فرساي، أليس كذلك؟

- بلى، وحتى الغد.

أنهى حديثه وانسحب فيلانت إلى داخل منزله، وبعد دقيقة أو دقيقتين قال المفتش هيدواين:

- سنذهب لزيارة الأب ليسكوت في الصباح الباكر، وإلا فإننا نجازف بأن يتعرض اللص الرابع للسرقة هو الآخر.

- وماذا نفعل حتى هذا الوقت؟

- دعنا نأخذ جولة سريعة حول الكوخ.

سارا في صمت خلال الممرات المهجورة التي ترتفع نحو الهضبة، وتتبعا طريقًا تصطف على جانبَيه فيلات صغيرة، كان الليل دافئًا وهادئًا. تحت ضوء النجوم والسماء الصافية.

قال □يكتور:

- ها هو.

كان هناك سياج من قضبان حديدية ثم جدار منخفض، وعلى الجانب الآخر من العشب، يمكن تمييز منزل من طابقين، تصطف على جانبَيه ثلاثة شبابيك.

تمتم □يكتور:

- يبدو أن هناك ضوءًا.

- نعم، في الطابق العلوي من خلال النافذة الوسطى، يبدو أن الستائر لم يُحكَم إسدالها.

لكن ضوء آخر، أكثر إشراقًا، أضاء من ناحية النافذة اليمنى ثم انطفأ، وعاد مرة أخرى.

قال □يكتور بصوت منخفض:

- إنه أمر غريب، حتى الكلب لا ينبح على الرغم من وجودنا، مع أنني أرى حجرته أمامي هنا، إنها قريبة للغاية!

- ربما قتله أحدهم.

- مَن؟

- هذا الشبح المتجول أمس وأول أمس.

- إذن ربما سيجري شيء ما هذه الليلة، دعنا نتجول في الحديقة قليلًا، يُوجَد ممر خلفنا، دعنا...

- صه! أنصِت!

استمع □يكتور جيدًا، كنت هناك صيحة مكتومة بعيدة، وفجأة توالت صرخات أخرى مكتومة نوعًا ما، ولكن يمكن إدراكها بوضوح، ثم دوى صوت طلق ناري، لا بد أنه جاء من الطابق المضيء، والمزيد من الصرخات بعده، وبدفعة واحدة قوية قام □يكتور بكسر بوابة المدخل، اقتحم الرجلان الحديقة وعبرا النافذة التي كان عليهم فتحها فقط، صعد □يكتور الطابق الأول ومصباحه الكهربائي في يده، وعلى عتبة السلم وجد أمامه بابين. فتح الباب المقابل له على الفور، وعلى ضوء المصباح الضعيف رأى جسدًا ممددًا ينتفض بشدة على الأرض، هرب رجل ملثم إلى الغرفة المجاورة؛ فركض خلفه بينما كان المفتش هيدواين يراقب باب الحجرة الثانية، وقع الاشتباك بينهما هناك بالفعل، في تلك اللحظة رأى □يكتور شبح امرأة قد صعدت للتو فوق عتبة النافذة التي تطل على الواجهة الخلفية للمنزل وتهبط بسرعة وسهولة؛ فاستنتج أنه من المؤكد أنها تستخدم سلمًا مسندًا إلى الجدار من الخارج. ألقى عليها بضوء مصباحه الكهربائي، فتعرَّفها على الفور، إنها تلك المرأة الفاتنة من سينما بلازار. كان سيقفز خلفها على الفور عندما أوقفته صيحة استغاثة من هيدواين، ثم صوت طلق ناري ولعنات متكررة، وصل إلى السلم لدعم صديقه الذي كان ينهار بينما الرجل الذي أطلق النار كان قد هرب بالفعل إلى الطابق السفلي.

- اركض خلفه -تأوه هيدواين- ليس بي شيء، إنها إصابة في الكتف ليس إلا.

قال □يكتور بغضب، محاولًا عبثًا التخلص من قبضة زميله المتشبث بذراعه بشدة حتى لا يسقط:

- إذا لم يكُن بك شيء حقًّا فاتركني.

قام □يكتور بسحبه إلى أريكة في غرفة النوم الأولى، أراحه فوقها وتخلى عن مطاردة الهاربين، ثم جثا بركبتَيه جانب الرجل الممدد فوق الأرض، كان الأب ليسكوت، ولكنه لم يعُد يتحرك.

قال □يكتور بعد فحص سريع، لا مجال فيه للخطأ:

- لقد مات.

- عمل قذر! -تمتم هيدواين- والمغلف الأصفر؟ ابحث عنه.

كان □يكتور يفتش عنه بالفعل في جيوب الجثة، وفجأة قال:

- يُوجَد مغلف أصفر بالفعل، ولكنه مجعد وفارغ، لا بد أن الأب ليسكوت كان متمسكًا به جيدًا قبل أن يُسلب منه، وأنه كان مجبرًا على إيصاله إلى شخص ما.

- لا يُوجَد أي ختم أو عنوان على الظرف؟

- لا، ولكن العلامة التجارية واضحة للغاية (مكتبات جوسو بستراسبورغ). واختتم كلامه وهو يعالج زميله:

- كفى! ستراسبورغ، هذا هو المكان الذي تم فيه ارتكاب السرقة الأولى في البنك، وها نحن الآن أمام اللص الخامس، وهذه المرة رجل لا يخاف، اللعنة! إذ لم تُعطِنا الأرقام واحد واثنان وثلاثة وأربعة سوى ألغاز، فلن يكون الرقم خمسة بأفضل منها.

وفكر في تلك المرأة الفاتنة التي تفاجأ بها منغمسة في مسرح الجريمة. ماذا كانت تفعل هنا؟! ما الدور الذي تلعبه في تلك الدراما المأساوية؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثاني

القبعة الرمادية

(١)

استيقظ موظف المحطة واثنان من الجيران على أثر هذا الضجيج، أحدهم كان لديه هاتف في المنزل، فطلب منه □يكتور إبلاغ مركز شرطة سانت كلود، ذهب آخر لإحضار طبيب، تم تأكيد وفاة الأب ليسكوت بعد إصابته برصاصة في منطقة القلب، كما تم نقل هيدواين، الذي لم تكُن إصابته خطيرة، إلى باريس، عندما وصل مفوض شرطة سانت كلود مع معاونيه، أبلغه □يكتور -الذي كان حريصًا على الحفاظ على مسرح الجريمة كما هو- بكامل القصة، واتفق الاثنان أنه من الأفضل انتظار ضوء النهار لفحص الآثار التي خلَّفها الاثنان المتواطئان في الجريمة، وبالتالي عاد □يكتور إلى منزله في باريس. في الساعة التاسعة صباحًا، عاد إلى هناك مرة أخرى، ووجد الكوخ محاطًا بحشد من الناس، وقد أثار فضوله بقاء الشرطة على مسافة من المنزل، عندما دخل إلى الحديقة مارًّا بالممر ثم إلى المنزل وجد مفتشين وشرطيين آخرين، تم إبلاغه عن وصول نيابة فرساي نفسها للتحقيق في القضية، وفي نفس الوقت صدر أمر بأن جميع التحقيقات ستكون خاصة بنيابة باريس.

سواء كانت النتائج التي توصلت إليها نيابة باريس أو من خلال تحقيق □يكتور شخصيًّا بمفرده، فلم تكُن مجدية أبدًا، باختصار، ظلت القضية غامضة للغاية؛ لا يُوجَد أي دليل يمكن تتبُّعه لمعرفة الرجل الذي هرب من الطابق السفلي، أو المرأة التي فرت عبر النافذة. تم تتبُّع المكان الذي عبرت فيه المرأة السياج لتصل إلى الممر ثم إلى الطريق الرئيس خارج الحديقة، كما تم تتبع البصمات التي خلَّفتها أقدام السلم تحت الطابق الأول، من المؤكد أن يكون هذا السلم من الحديد القابل للطي، والذي يمكن حمله، إذ لم يُعثَر له على أثر، لم يعرف أحد كيف دخل المجرمان إلى المنزل وكيف فرا هاربين بهذه السهولة! ولكن أكد بعض الجيران أنه كان هناك سيارة متوقفة، منذ منتصف الليل على بعد ثلاثمئة متر على طول الجدار المجاور للكوخ، وتم تدوير محركها والمغادرة عند الساعة الواحدة والربع.

من الواضح أنها عادت إلى باريس عبر بوجيفال وضفاف نهر السين، تم العثور على كلب الأب ليسكوت نافقًا مسمومًا في منزله الصغير بالحديقة، على الرغم من عدم وجود لآثار أقدام على الحصى، كما تم انتزاع الرصاصة من الجثة، وكذلك الرصاصة المستخلصة من كتف المفتش هيدواين، فتم نسبها إلى مسدس براوننج عيار سبعة ملليمترات خمسة وستين، ولكن أين ذهب هذا المسدس؟ لا يُوجَد شيء إضافي بخلاف تلك الحقائق البسيطة، لم يتقدم التحقيق خطوة واحدة، كما تم اتخاذ إجراءات شديدة الحذر مع الصحفيين والمصورين المتطفلين.

لم يكُن □يكتور يميل للعمل في جماعة أو بشراكة محقق آخر، فالطريقة التي يتبعها دائمًا ما كانت تتعمق في جوانب البحث في نفسيات المجرمين وكل ما يتطلب تفكيرًا وذكاءً لتحليل شخصياتهم، أما بالنسبة لباقي الإجراءات، مثل: الملاحقات، والأماكن المشتبه بها، ومصنع الكيماويات، فقد انغمس فيها فقط على مضض لمتابعة التحقيق، ودائمًا كان وحده؛ من أجل التركيز على أبعاده الخاصة.

ذهب إلى منزل موظف المحطة فيلانت مرة أخرى بعد أن عادت زوجته من فرساي، ادعت عدم معرفتها أي شيء، وعدم تعرُّف الشخص الذي كان يطوف بالقرب من الكوخ خلال الأمسيات السابقة. لكنه لحق بفيلانت في أثناء وقت عمله في المحطة ودعاه لتناوُل كأس من الشراب في مقهى (الرياضة) المجاور للمحطة.

قال الرجل بمجرد أن خفف النبيذ من ثقل لسانه:

- بطبيعة الحال تذهب جيرترود زوجتي بصفتها بائعة خبز إلى جميع منازل الضاحية، وإذا علم أحدهم أنها ثرثرت بالكلام مع الشرطة؛ فمن الممكن أن يعود ذلك عليها بالخسارة، أما أنا، فإنه شيء آخر؛ فبصفتي عاملًا في السكة الحديد موظفًا حكوميًّا، فيجب عليَّ أن أساعد الشرطة لتحقيق العدالة.

- حسنًا، من الجيد سماع ذلك، ماذا بعد؟

قال فيلانت وهو يخفض صوته:

- قبل كل شيء، هناك قبعة رمادية التقطتها من فوق نباتات حديقتي جوار مكب النفايات الذي كنت أقوم بتنظيفه هذا الصباح، ربما ألقى بها الرجل عشوائيًّا في أثناء هروبه الليلة الماضية فوق سياج منزلي.

- وماذا أيضًا؟

- جيرترود متأكدة من أن هذا الرجل الذي رأته مساء يوم الثلاثاء؛ أي الرجل ذي القبعة الرمادية، إنما هو رجل محترم يعيش بالجوار تجلب زوجتي الخبز إلى منزله كل يوم.

- ما اسمه؟

- البارون ماكسيم أوتري، يسكن على الجانب الأيسر من الطريق، المنزل الوحيد على طريق سانت كلود من تلك الناحية، ربما على بعد خمسمئة متر من هنا يعيش في الطابق الرابع مع زوجته وخادمتهما العجوز، ولكنهم أناس طيبون للغاية، لدرجة أنني أتساءل عما إذا كانت جيرترود قد أخطأت حدسها.

- هل يعيش معتمدًا على دخله من عمله؟

- اللعنة! لا! إنه رجل غارق في الديون. كل يوم يذهب إلى باريس هاربًا من دائنيه.

- وفي أي وقت يعود؟

- بقطار الساعة السادسة، الذي يصل إلى هنا في تمام السادسة وتسع عشرة دقيقة.

- ماذا عن الاثنين الماضي؟ هل عاد على متن ذلك القطار؟

- دون شك، أمس فقط لا يمكنني أن أجزم بأي شيء؛ لأنني كنت أقود زوجتي إلى فرساي.

كان □يكتور صامتًا، يمكنه تخيُّل القصة على هذا النحو:

يوم الاثنين داخل مقصورة القطار، جلست مدام شاسين بالقرب من الأب ليسكوت في قطار الساعة السادسة الذي أعادها من باريس. وكعادة الزوجة المطلقة؛ فإنها تمتنع عن التحدث مع عشيقها عندما لا تكون مع والدتها؛ حفاظًا على سمعتها. ولكن في ذلك اليوم خصيصًا، سرقت بحركة خفيفة المغلف الأصفر من مكتب مستودع الكيماويات، وبهدوء ودون أن تثير الانتباه أخبرت عشيقها أن لديها وديعة

لتوكلها إليه، وشيئًا فشيئًا مررت له المغلف الذي ربما كان لديها الوقت للفه وربطه بحركة سريعة خفية، والتي من المؤكد أنها لفتت انتباه البارون أوتري الذي كان يركب معهم في نفس العربة، وكان قد قرأ في الصحف عن عملية السرقة والمغلف الأصفر بالتأكيد، هبطت السيدة شاسين من القطار في محطة سانت كلود، بينما واصل الأب ليسكوت إلى محطة جاراش، ومعه البارون الذي يسكن أيضًا في تلك المحطة، وقد قرر أن يتتبع الرجل ويحدد مكان منزله، ثم يجول حوله يومَي الثلاثاء والأربعاء، حتى يقرر يوم الخميس أن... كان هناك اعتراض واحد فقط فكر فيه □يكتور بعد أن ترك رفيقه وتوجه إلى منزله الخاص بباريس، كل هذه الأحداث وقعت بشكل سلس وبسرعة كبيرة.

على عكس الجرائم التي تقع على نفس الشاكلة، فلا تأتي الحقيقة أبدًا بشكل عفوي هكذا، ولا تتمتع بهذه البساطة والسهولة.

صعد □يكتور إلى الطابق الرابع ودق الجرس، فتحت له الباب خادمة كبيرة في السن، ذات نظارات وشعر أبيض، أدخلته إلى غرفة المعيشة دون أن تسأل عن اسمه.

قال لها ببساطة:

- مرري الكارت الخاص بي إلى سيد المنزل.

كانت الغرفة، والتي يبدو أنها كانت تُستخدَم أيضًا كونها غرفة طعام، تحتوي فقط على كراسي وطاولة طعام وخزانة جانبية ومنضدة صغيرة، كلها متواضعة في المظهر، ولكنها نظيفة لامعة، صور القديسين تملأ الجدران، فوق المدفأة بعض الكتب الدينية، أما النافذة فتتمتع بإطلالة ساحرة على منتزه سانت كلود بأكمله.

ظهرت سيدة تبدو متفاجئة إلى حد ما، لا تزال شابة متوردة الخدود، لا تضع مساحيق تجميل، مظهرها مبتذل نوعًا ما وتسريحة شعرها معقدة، ترتدي روب المنزل العادي؛ مما يدل على مفاجأتها بتلك الزيارة المفاجئة دون سابق موعد، على الرغم من كل شيء، فإنه لم يبدُ عليها الانزعاج الشديد، لولا تعبير متعجرف أبدته عن عمد، ووضعية رأسها وذقنها المرتفعان بعض الشيء لم يكُن ليعرف بأنها البارونة، قالت بإيجاز وصوت متحفظ قليلًا:

- هل تريد مقابلة السيد؟

- نعم، أود أن أتحدث إلى البارون أوتري فيما يتعلق ببعض الوقائع التي حدثت ليلة الاثنين في القطار.

- ربما تكون هذه الزيارة بخصوص سرقة المغلف الأصفر الذي نقرؤه في الصحف؟

- نعم، نتج عن هذه السرقة جريمة اغتيال تم ارتكابها في تلك الليلة في جاراش، وكان ضحيتها السيد ليسكوت.

- السيد ليسكوت؟ -رددت اسمه دون أي دهشة- ليس لديَّ أي فكرة عنه على الإطلاق، هل لدى الشرطة أي شكوك؟

- لا شيء حتى الآن، لكني تلقيت تعليمات للاستعلام عن الأشخاص الذين سافروا من باريس إلى جاراش يوم الاثنين على متن نفس القطار الذي يغادر في تمام السادسة، ومن ضمنهم البارون أوتري.

- سوف يجيبك زوجي بنفسه يا سيدي عند عودته، إنه في باريس الآن.

توقعت أن يتراجع □يكتور ويطلب الإذن للانسحاب، لكنه تابع:

- السيد أوتري يخرج أحيانًا بعد عشائه؟

- نادرًا.

- ومع ذلك فإنه يومَي الثلاثاء والأربعاء...

- في الواقع خلال هذين اليومين ذهب في نزهة على الأقدام، بعد أن داهمه صداع شديد.

- وماذا عن الليلة الماضية؟ الخميس؟

- مساء أمس أجبرته أعماله على البقاء في باريس.

- حيث مضى الليل بأكمله؟

- لا، لقد عاد.

- متى؟

- كنت نائمة، ولكني سمعت بعد وقت قصير من عودته دقات الساعة الحادية عشرة.

- الساعة الحادية عشرة؟ أي قبل وقوع الجريمة بساعتين فقط، هل أنتِ متأكدة من ذلك؟

شعرت البارونة، التي كانت تجيب بتلقائية شديدة وبأدب بالغ، بحدس مفاجئ لما كان يحدث، ألقت نظرة خاطفة على كارت التعريف الخاص بـ□يكتور، ثم أجابت باقتضاب، ولكن دون أن تفهم بعد:

- لا أقول سوى ما أثق منه تمامًا.

- هل دار بينكما أي حديث وقتها؟

- تبادلنا بعض الكلمات فقط.

- إذن يبدو أنكِ كنتِ مستيقظة في أثناء تلك الكلمات.

احمرت البارونة خجلًا ولم ترُد، تابع □يكتور:

- في أي وقت غادر البارون أوتري هذا الصباح؟

- عندما أغلق باب الدهليز، فتحت عينَيَّ، وكانت عقارب الساعة تشير إلى السادسة وعشر دقائق.

- لم يقُل لكِ وداعًا حينها؟

هذه المرة كانت غاضبة وتحولت نبرة صوتها إلى بعض الحدة وهي تقول:

- هل هذا استجواب؟

- يجبرنا التحقيق على أن نكون فضوليين أحيانًا، معذرة يا سيدتي، ولكن هناك شيء أخير.. ثم أخرج القبعة الرمادية من جيبه قائلًا:

- هل تعتقدين أن هذه القبعة تخص البارون أوتري؟

- نعم -قالت وهي تفحص القبعة- إنه غطاء رأس قديم لم يعُد يرتديه منذ سنوات، وإنني كنت قد حفظته في أسفل الخزانة.

بكل صراحة وتلقائية أدلت بهذه العلومة والتي تُعَد دليلًا دامغًا ضد زوجها، من ناحية أخرى أثبتت هذه الصراحة أنها صادقة تمامًا في كل ما قالته، اكتفى □يكتور بهذا القدر من الأسئلة، واعتذر متحججًا بضيق وقته، ومعلنًا عن زيارته مرة أخرى في نهاية اليوم.

أكد تحقيقه مع حارسة العقار، التي وجدها في غرفتها أسفل العقار، إجابات مدام أوتري، عاد البارون أمس في حوالي الساعة الحادية عشرة ليلًا، ورحل اليوم في السادسة صباحًا، كما أكدت أنه خلال الليل، لم يدخل أو يخرج أحد من المنزل أبدًا؛ حيث لم يكُن هناك سوى ثلاث شقق مستأجرة، ولم يخرج المستأجرون الآخرون في المساء أبدًا؛ لذلك كان التذكر سهلًا.

استكمل هيكتور استجوابه، قائلًا:

- هل يستطيع شخص غيركِ أن يفتح باب العقار من الداخل؟

- لا يمكن ذلك، يجب أن تذهب إلى غرفتي أولا من أجل ذلك، وأنا أغلقها جيدًا بالمفتاح والقفل.

- هل تخرج السيدة أوتري أحيانًا في الصباح؟

- أبدًا، إن خادمتهم العجوز أنا هي التي تذهب للتسوق، انظر، إنها تهبط من سلم الخدم هذا.

- هل يُوجَد هاتف في المنزل؟

- لا.

مضى □يكتور بعيدًا حائرًا، ممزقًا بين الأفكار المتناقضة، فمهما كانت التهم الموجهة إلى البارون، كان من المستحيل الشك في الذريعة التي فرضتها الظروف لصالحه، ففي لحظة ارتكاب الجريمة كان الرجل برفقة زوجته.

ولكن عندما عاد إلى المحطة بعد غدائه طرح هذا السؤال على العمال والموظفين: هل رأى أحدكم البارون أوتري والذي سيكون مروره شيء ملحوظ جدًّا، خصوصًا فترة ما قبل الزحام في الصباح الباكر؟ هل استقل أحد القطارات الأولى هذا الصباح؟ كان الجواب بالإجماع القاطع: لا.. إذن فكيف غادر جاراش؟

بعد ظهر اليوم أخذ □يكتور جولة حول منزل البارون، حيث جمع بعض المعلومات من البائعين والصيدلي وموظفي مكتب البريد، وقد أظهروا جميعًا نوعًا من التعاطف مع البارون وزوجته، وبالتالي قاده هذا الاستجواب بالضرورة إلى السيد جوستاف جيروم صاحب العقار الذي يسكنه البارون، عضو المجلس المحلي وتاجر الخشب والفحم المعروف، والذي كانت نزاعاته مع البارون والبارونة معروفة في الأنحاء.

كان السيد والسيدة جيروم يمتلكان فيلا جميلة تقع أيضًا فوق الهضبة، بمجرد عبوره البوابة الضخمة، شعر □يكتور بالراحة والثراء، بعد دخوله الدهليز، قرع الجرس عبثًا؛ فقد وجد الباب مفتوحًا، انتابه شعور بالتوتر والقلق، سمع صوت شجار في الطابق الأول، وصوت باب يُغلَق بشدة، وصوت رجل رتيب وهادي وصوت امرأة صارخًا وغاضبًا تقول:

- أنت مجرد رجل سكير! نعم أنت! أيها السيد جوستاف جيروم، عضو المجلس المحلي، مجرد سكير فاسق، أخبِرني ماذا كنت تفعل الليلة الماضية في باريس؟

- أنتِ تعرفين ذلك يا عزيزتي، قد كنت في عشاء عمل مع ديفال.

- ومع العاهرات أيضًا، أنا أعرف هذا الديفال الخاص بك، هذا العربيد الخبيث، وبعد العشاء، ها؟ نساء الفولي بيرجير العاريات؟ رقص وشمبانيا طول الليل؟

- هل أنتِ مجنونة يا هنرييت! كررت لكِ أكثر من مرة أنني قدت ديفال عائدًا إلى سوريسنيس ([3]) بالسيارة.

- متى؟

- لا أستطيع أن أتذكر...

- من الواضح أنك كنت في حالة سكر شديد، لا بد أنها كانت الثالثة أو الرابعة صباحًا، وقد انتهزت فرصة نومي وتسللت في الخفاء.

تحول النزاع بالكلمات بين الزوجين إلى قتال، فاندفع السيد جيروم إلى السلم يهبطه بسرعه، وتبعته زوجته تجري خلفه لمطاردته، حينئذٍ رأى الزائر الذي يقف في الرواق، والذي اعتذر على الفور:

- لقد دققت الجرس عدة مرات.. لا أحد يجيب، سمحت لنفسي بأن...

بدأ جوستاف جيروم في الضحك، وهو رجل في الأربعين من عمره، وسيم إلى حد ما، وذو وجه شديد الحمرة:

- هل سمعت؟ إنها مشادة عائلية بسيطة، لا يهم، هنرييت زوجتي هي أفضل النساء، لكن تعالَ إلى مكتبي، هل لي الشرف بالتعرف إليك؟

- المحقق □يكتور من شرطة الآداب.

- آه! قصة الأب ليسكوت المسكين؟

قاطعه □يكتور:

- في الواقع لقد جئت للسؤال عن المستأجر الخاص بك، البارون أوتري، ما طبيعة العلاقة بينكما؟

- آه! علاقة سيئة للغاية، لقد عشت أنا وزوجتي في الشقة التي نؤجرها لهما الآن في بنايتنا لمدة عشر سنوات في سلام تام، ولكن ما إن سكنا فيها، حتى بدأ طوفان من الشكاوى والمشاحنات بلا أسباب، على سبيل المثال: ظل المحضرون يطالبونني بالمفتاح الثاني للشقة، والذي أعطيته لهما بمجرد السكن فيها، ولكنهما يدعيان أنهما لا يملكانه، باختصار يرتكبان الكثير من الحماقات هو وزوجته.

قال □يكتور:

- وقد انتهت تلك الحماقات بالواقعة المعروفة؟

- إذن أنت تعرف؟ حسنًا، نعم -ضحك السيد جيروم، ثم استأنف كلامه- لقد تلقيت لكمة قوية بالأنف من البارونة، والتي سوف تندم عليها كثيرًا فيما بعد، أنا متأكد من ذلك.

- هي! لن تندم على شيء أبدًا! -صاحت السيدة جيروم- تلك الفاسقة المدعية، التي تقضي وقتها كله في الكنيسة! أما بالنسبة له أيها المحقق، فهو رجل مجنون، مفلس، لا يدفع إيجاره، يمكنه أن يقوم بأي شيء متهور ومخبول مثله.

كان وجهها جميلًا، ودودًا ومتعاطفًا، ولكن صوتها متوتر ومرتفع؛ بسبب العصبية والغضب علاوة على ذلك، كان على زوجها أن يوافقها ويدلي بمعلومات مؤسفة عن إفلاس البارون في غرونوبل، الكثير من القصص القذرة في ليون، وماضٍ ممتلئ بالاحتيال والعبث...

لم ينتظر □يكتور سماع المزيد وانسحب معتذرًا، سمع من ورائه الشجار يعود من جديد، وصوت السيدة تصرخ:

- أين كنت؟ ماذا فعلت بحق الجحيم؟ اخرس أيها الكاذب!

في نهاية فترة ما بعد الظهر، جلس □يكتور في مقهى (الرياضة)، وقرأ الصحف المسائية التي لم تنشر أي جديد، لكن بعد قليل، جاء إليه رجل نبيل ومعه سيدة من سكان جاراش، والتي وصلت لتوها من باريس، وشهدت أنها رأت البارون أوتري في حي الشمال بباريس داخل سيارة أجرة وبرفقة امرأة شابة في المقعد الخلفي، بينما على المقعد المجاور للسائق كان هناك حقيبتان. هل كانت هذه شهادة يمكن الوثوق بها؟ كان □يكتور يدرك أكثر من أي شخص آخر مدى أهمية التشكيك في هذا النوع من الشهادات.

على أي حال، يبدو أن الأمر سهل تخمينه، إما أن يكون البارون قد هرب إلى بلجيكا مع سندات البنك، وبصحبة سيدة يمكن أن تكون المرأة الفاتنة التي رآها للمرة الأخيرة وهي تتسلل من نافذة الأب ليسكوت، وإلا فسيكون هناك خطأ، وسيصل إلى هنا بعد قليل في قطاره المعتاد، وتكون كل هذه الشكوك، على الرغم من مظهرها الصادق، مبنية على غير أساس.

في المحطة، وجد □يكتور فيلانت يقف بالقرب من مخرج الركاب فوقف جانبه، تمت الإشارة إلى وصول القطار، وسرعان ما رأياه يخرج من المنعطف، هبط ما يقرب من الثلاثين مسافرًا، وبعد عدة لحظات دفع فيلانت □يكتور في مرفقه، وهو يغمغم:

- ها هو قادم، معطف رمادي غامق، قبعة ملساء، ها هو البارون.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٢)

لم يكُن يبدو عليه انطباع المنتصر، ووجهه الهادئ لم يكُن بوجه رجل قام بارتكاب جريمة قتل قبل ثماني عشرة ساعة، ترعبه الذكري، ويخشى ما قد يحدث له، بل كان وجهه يدل على رجل نبيل يقوم بروتينه اليومي وفقًا للإيقاع المعتاد. حيَّا موظف المحطة بإيماءة بسيطة، وانحرف يمينًا باتجاه منزله، كان يحمل جريدة مسائية مطوية في يده، ويعبث بها شارد الذهن على قضبان البوابات في أثناء مروره.

أسرع □يكتور الذي كان يتبعه من مسافة معينة من وتيرته، حتى وصل إلى المبنى في نفس الوقت معه تقريبًا عند وصوله إلى الطابق الرابع، وبينما يُخرِج الرجل مفتاحه، تنحنح □يكتور خلفه قائلًا بهدوء:

- البارون أوتري، أليس كذلك؟

- في خدمتك يا سيدي؟

- أريد بضع دقائق من وقتك إذا سمحت، أنا المحقق □يكتور من شرطة الآداب.

- لاحظ □يكتور لحظة الصدمة ومحاولة ضبط النفس التي مر بها الرجل، وقد ارتبك وانعقد فكاه، لم تدُم هذه اللحظات طويلًا، ربما يكن هذا الاضطراب الذي حدث له لا يدل على شيء محدد، وما هو إلا رد فعل طبيعي يمر به أغلب الناس نتيجة الزيارة غير المتوقعة للشرطة، حتى أكثرهم صدقًا.

كانت مدام أوتري تجلس بالقرب من النافذة في غرفة الطعام وتقوم ببعض أعمال الحياكة، ما إن طالعت □يكتور حتى نهضت من مكانها فجأة، قال زوجها بعد تقبيلها:

- اتركينا يا غابرييلا.

قال □يكتور:

- لقد تشرفت برؤية السيدة هذا الصباح، ولا يمكن لمحادثتنا أن تتم سوى في وجودها.

- آه!

قال البارون ببساطة، والذي لم تبدُ عليه الدهشة أو الانزعاج، ولكنه

استمر في مطالعة الصحيفة التي في يده:

- لقد قرأت اسمك هنا للتو أيها المحقق فيما يتعلق بالتحقيق الذي تتابعه، وأعتقد أنك ترغب في استجوابي كوني مشتركًا في الخط وبأني على دراية بقطار الساعة السادسة؟ أستطيع أن أخبرك مباشرةً أنني لم أعُد أتذكر مَن رأيت على متن القطار يوم الاثنين الماضي، وأنني لم ألاحظ أي حيل مشبوهة، ولا أي مغلفات صفراء.

تدخلت مدام أوتري بصوت عنيد:

- السيد المحقق أكثر تطلبًا يا عزيزي ماكسيم، إنه يرمي إلى أبعد من ذلك، يود أن يعرف أين كنت الليلة الماضية، بينما كانت الجريمة ترتكب في جاراش.

انتفض البارون قائلًا:

- ماذا يعني هذا؟

قدَّم □يكتور القبعة الرمادية إلى البارون، وهو يقول:

- هذه هي القبعة التي كان يرتديها المعتدي، والتي ألقى بها في حديقة قريبة، هذا الصباح أخبرتني السيدة أوتري أنها تخصك.

صحح البارون قائلًا:

- تعني أنها كانت تخصني، لم أعُد أرتديها منذ سنوات، أليس كذلك غابرييلا؟

- بلى، لقد وضعتها أسفل الخزانة ضمن الأشياء التي لم نعُد نرتديها منذ حوالي أسبوعين.

- ولكني أخذتها قبل أسبوع، وألقيت بها في سلة المهملات، ربما التقطها أحد المتشردين هناك، ها، وماذا أيضًا يا حضرة المحقق؟

- مساء الثلاثاء ومساء الأربعاء، في نفس الساعات التي خرجت فيها ليلًا، شُوهِد الرجل الذي كان يرتدي هذه القبعة، وهو يتجول حول كوخ المجني عليه.

- كنت أعاني من صداع شديد، فذهبت للمشي قليلًا، لكن ليس في هذه الجهة.

- من أين؟

- على الطريق الرئيس المؤدي إلى سانت كلود.

- هل قابلت أي شخص؟

- على الأرجح، لكنني لم أنتبه.

- وفي الليلة الماضية، الخميس، في أي وقت عدت إلى المنزل؟

- في الساعة الحادية عشرة؛ لقد تناولت العشاء في باريس، بينما كانت زوجتي نائمة عندما رجعت.

- وفقًا لأقوال زوجتك، لقد تبادلتما بضع كلمات عندما عدت.

- هل تعتقدين ذلك يا غابرييلا؟ لا أتذكر شيئًا.

قالت وهي تقترب منه:

- نعم، نعم أتذكر، ليس هناك عيب في القول بأنك قبَّلتني. كل ما أطلبه الآن هو التوقف عن الإجابة عن هذه الأسئلة، كل هذا لا يمكن تصوُّره، هذا درب من الغباء!

تصلب وجهه واحمر خداه من الإحراج، ولكنه قال بصوت مهذب:

- السيد يقوم بواجبه يا غابرييلا، وليس لديَّ سبب يمنعني من مساعدته في ذلك، هل يجب أن أبلغك بموعد مغادرتي هذا الصباح أيها المفتش؟ كانت حوالي الساعة السادسة.

- هل ركبت القطار؟

- نعم.

- ومع ذلك، لم يرَك أيٌّ من الموظفين.

- كان القطار قد غادر المحطة لتوه، ولم ألحقه، في هذه الحالة، أذهب عادةً إلى محطة سيفر سيرًا على الأقدام، والتي تبعد حوالي 25 دقيقة، وأركب القطار من هناك، بطاقة اشتراكي تسمح لي بذلك.

- هل يعرفك أحد في المحطة هناك؟

- لا أعتقد هذا يا سيدي، وعلى الرغم من أنه كان هناك الكثير من المسافرين فإنني قد كنت وحدي في مقصورتي.

قال رده هذا دون تردُّد دفعة واحدة وحاسمة، فجاءت إجابته منطقية، بحيث كان من الصعب عدم قبولها كونها حقيقة، بشكل مؤقت على الأقل.

- هل يمكنك مرافقتي غدًا إلى باريس يا سيدي؟ -قال □يكتور بنبرة هادئة إلى حد ما- ربما يمكننا مقابلة الأشخاص الذين تناولت العشاء معهم الليلة الماضية، والأشخاص الذين رأيتهم اليوم.

لم يكَد ينهي جملته حتى وقفت غابرييلا إلى جانبه، ملامحها تمتلئ بالسخط، تذكر اللكمة التي أصابت وجه السيد جيروم، كان على وشك الضحك، فقد بدت السيدة مضحكة للغاية بوجهها المحتقن ووقفتها المشدوهة، حيث امتدت ذراعها نحو الحائط الذي علقت عليه صورة قديس ما، وقالت:

- أقسم بخلاصي الأبدي...

لكن فكرة القسم في مثل تلك الهجمات المتسرعة، بدت لها بالتأكيد

غير لائقة، فرسمت علامة الصليب فوق صدرها، وتمتمت ببضع كلمات، ثم قبَّلت زوجها بحنان وانصرفت.

وقف الرجلان في مواجهة بعضهما البعض، بقي البارون صامتًا لفترة من الوقت، وعندما أمعن □يكتور النظر في وجهه؛ اندهش أن المظهر الجميل الهادئ لوجه البارون، كان غير طبيعي، اكتشف أنه كان يضع طبقة من أحمر الخدود فوق خدَّيه مثل العديد من النساء، وذلك لإخفاء شحوب وجهه، كما لاحظ على الفور التعب الاستثنائي لـعينَيه اللتين تحيطهما الهالات العميقة، يا له من تحوُّل مفاجئ بدا أنه يزداد وضوحًا كل ثانية!

قال البارون بجدية:

- أنت تسير على الطريق الخطأ أيها المحقق، إن تحقيقك يأخذ منحنى جائرًا، ويتدخل في صميم حياتي الشخصية، ويجبرني على الإدلاء لك باعتراف مؤلم. بصرف النظر عن زوجتي، التي أحبها وأُكِن لها بالغ الاحترام بالتأكيد، فأنا على علاقة عاطفية بفتاة في باريس منذ عدة أشهر، وهي تلك الشابة التي تناولت العشاء معها الليلة الماضية، وهي نفسها التي أوصلتني إلى محطة سان لازار، لقد التقيتها هذا الصباح في تمام السابعة.

قال □يكتور بلهجة آمرة:

- ستصطحبني إليها غدًا، سآتي لأقلك بالسيارة.

تردد البارون، ثم أجاب أخيرًا:

- فليكن.

تركت هذه المقابلة □يكتور في حالة من الشك والتردد، يتأرجح بين المشاعر والحجج المثبتة، والتي لا يتوافق أيٌّ منها مع الواقع.

في مساء هذا اليوم أمر أحد رجال شرطة سانت كلود بمراقبة المنزل طوال الليل، وبالتالي لم يحدث شيء مريب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثالث

عشيقة البارون

(١)

كانت المسافة بين جاراش وباريس عشرين دقيقة، قطعها الرجلان في صمت تام، ربما يكون ذلك الصمت والإذعان التام للبارون، هما ما أعطيا ثقلًا أكبر لشكوك □يكتور، لم يعُد يقنعه هدوء البارون وثباته منذ أن رأى مساحيق التجميل على وجهه في الليلة السابقة، كان يتطلع إليه من حين إلى آخر جانب عينه في خفاء، لقد اختفت طبقة الطلاء الأحمر فوق خدَّيه، كان وجهه شاحبًا وبشرته صفراء مرهقة، كشف ذلك عن ليلة عصيبة من الأرق والحمى.

سأل □يكتور بهدوء:

- في أي حي تسكن؟

- شارع دي فوجيرارد بالقرب من لوكسمبورج.

- ما اسمها؟

- إليز ماسون. لقد كانت راقصة في ملهى فولي بيرجير، ولكنها خسرت، ولذلك فهي ممتنة كثيرًا لما فعلته من أجلها.

- هل كلفك ذلك الكثير من المال؟

- ليس الكثير، إنها سيدة بسيطة جدًّا، أنا الذي لم أعُد أهتم بعملي كثيرًا في الآونة الأخيرة.

- لدرجة أنه لا يتبقى لديك ما يكفي لدفع إيجار مسكنك؟

لم يقولا شيئًا أكثر من ذلك. فكر □يكتور في عشيقة البارون وغزاه فضول قوي، هل كانت هذه المرأة هي فاتنة السينما؟ قاتلة الأب ليسكوت؟

في شارع فوجيرارد الضيق، كان هناك مبنى صغير عتيق الطراز، صعدا الدرج معًا، وفي الطابق الثالث جهة اليسار، طرق البارون الباب ورن الجرس.

فتحت امرأة شابة الباب بسرعة ومدت ذراعَيها، أدرك □يكتور على الفور أنها ليست السيدة الجميلة التي ما زال يتذكر ملامح وجهها جيدًا.

قالت بلهفة:

- أخيرًا أنت هنا! لكنك لست وحدك؟ أمعك أحد أصدقائك؟

قال:

- لا، السيد من رجال الشرطة، ونحن نبحث عن معلومات حول قضية سندات الدفاع الوطني؛ حيث تبين أنني ولسوء حظي متورط بها.

لم يتمكن □يكتور من رؤيتها جيدًا إلا عندما قادتهما إلى غرفة صغيرة يملؤها الضوء، كان وجهها شاحبًا يبدو عليها المرض، عيونها زرقاء كبيرة، تهدلت خصلات شعرها البني المجعد في شكل

فوضوي، وبرزت عظامِ وجنتَيها المطلية بلون أحمر زاهٍ، نفس اللون الأحمر الأرجواني الذي لاحظه في الليلة السابقة على خدَّي البارون. كانت ترتدي ثوبًا منزليًّا، تربط حول رقبتها وشاحًا برتقاليًّا كبيرًا مخططًا باللون الأخضر.

قال □يكتور بصوت جاد:

- مجرد إجراء شكلي يا آنسة، بعض الأسئلة البسيطة، هل رأيتِ السيد أوتري أول أمس الخميس؟

- أول أمس؟ اسمح لي أن أتذكر، آه! نعم، لقد جاء إلى هنا، تناولنا الغداء والعشاء معًا، ثم رافقته إلى المحطة في المساء.

- وأمس؟ الجمعة؟

- أمس جاء في السابعة صباحًا، لم ننتقل من تلك الغرفة قبل الساعة الرابعة، وبعدها أوصلته إلى المحطة كما هي العادة.

كان □يكتور مقتنعًا بأن كل هذه الإجابات قد تم إعداها مسبقًا، لكن ألا يمكن للمرء أن يقول الحقيقة بنفس نبرة الكذب؟

أخذ يتجول في أنحاء الشقة التي كانت تحتوي فقط على حمام غير مُجهز بشكل جيد، ومطبخ، وخزانة بسيطة؛ حيث رأى داخلها بعد أن دفع الفساتين جانبًا حقيبة سفر وحقيبة أخرى من القماش، استدار فجأة ونظر إلى الفتاة وعشيقها، ولمح نظرة ذات مغزى بينهما، ففتح الحقيبة.

كانت إحداهما تحتوي على ملابس داخلية نسائية، وزوج من الأحذية النسائية الطويلة وفساتين. والأخرى تحتوي على سترة وقمصان رجالية، وبيجامة نوم، وخف منزلي، ومستلزمات المرحاض.

- كنتما تنويان المغادرة إذن؟

نهض البارون، وتقدَّم إلى الأمام وهو ينظر إلى □يكتور بعيون ثاقبة، ثم تمتم:

- أخبِرني أيها المحقق، مَن سمح لك بالتفتيش هكذا؟ وبأي حق؟ هل معك إذن بما تفعل؟

شعر □يكتور بالخطر أمام هذا الرجل الذي لا يمكن للمرء أن يخمن سخطه، حيث رأى في عينَيه بتلك اللحظة رغبة شديدة في القتل.

قبض على مسدسه في جيبه، ووقف في مواجهة خصمه:

- تمت رؤيتك أمس بالقرب من محطة الشمال برفقة عشيقتك وهذه الحقائب.

- هراء! -صاح البارون- يا له من هراء! لأنني لم أستقل أي قطار، إنني حتى لم أتحرك من هنا! دعنا نكون صريحين الآن، بماذا تتهمني؟ بسرقة المغلف الأصفر، أم...

تمهل قليلًا، ثم أستأنف:

- أو حتى بقتل الأب ليسكوت؟ هذا هو كل شيء، أليس كذلك؟

دوت صرخة غاضبة من إليز ماسون، ثم نطقت لاهثة متلعثمة:

- ماذا تقول؟! هل يتهمك بالقتل؟ بقتل الرجل في جاراش؟

بدأ البارون في الضحك:

- حسنًا، في الواقع لا يمكنني تصديق ذلك حتى الآن! لا أظن أنك جاد في شكوكك أيها المحقق، يا للشيطان! لقد استجوبت زوجتي، ماذا تريد أكثر من ذلك؟!

سيطر على نفسه وهدأ قليلًا بينما أفلت □يكتور قبضته من مسدسه، واتجه نحو الصالون الذي كان بمثابة حجرة الانتظار، استمر أوتري في السخرية قائلًا:

- أوه! رجال الشرطة، هذه أول مرة أراهم يعملون بها، ولكن اللعنة على عملهم إذا كانوا سيرتكبون أخطاء فادحة من هذا القبيل، أنصِت أيها المحقق! تلك الحقائب معدة هكذا منذ أسابيع، لقد حلمت أنا وصغيرتي برحلة إلى الجنوب للراحة والاستشفاء، ولكنها لم تنجح بعد.

استمعت الشابة وعيناها الزرقاوان مذهولتان، ارتعدت فرائصها وسيطر عليها هلع واضح وهي تقول:

- كيف يجرؤ على اتهامك؟! أنت تقتل؟!

في هذه اللحظة طرأت خطة واضحة المعالم في رأس □يكتور: قبل كل شيء، لا بد من فصل العاشقين، اصطحاب البارون إلى شرطة المقاطعة، والتوصل إلى اتفاق مع رؤسائه بحيث يتم إجراء تحقيق واسع حول البارون وعشيقته، لقد كانت مهمة لا يحب القيام بها بنفسه، لكنها كانت ضرورية. فلو كانت سندات الدفاع موجودة مع البارون؛ لا بد من عدم السماح له بالهروب مرة أخرى.

قال للفتاة:

- أنتِ سوف تنتظريني هنا، أما أنت يا سيدي...

وأشار إلى الباب المفتوح بكل حزم، مر البارون الخاضع تمامًا من خلاله وهبط الأدوار الثلاثة، ثم استقر في المقعد الخلفي للسيارة.

عند زاوية الشارع، كان هناك شرطي يراقب حركة المرور، عرَّفه □يكتور بنفسه، وطلب منه ألا يغفل عن السيارة، ومراقبة الرجل الذي داخلها، ثم ذهب إلى تاجر نبيذ تشغل غرفته الطابق الأرضي من نفس المبنى، والذي كان لديه هاتف في غرفته الخلفية. طلب □يكتور شرطة المقاطعة، لكنه اضطر إلى الانتظار لفترة طويلة قبل أن يتم تحويله إلى الشرطة القضائية.

- أوه! أخيرًا، هل هذا أنت يا ليفبور؟ إنه أنا □يكتور من شرطة الآداب. هل من الممكن أن ترسلوا لي شرطيين دون تأخير عند زاوية شارع دي فوجيرارد؟ مرحبًا! تكلم بصوت أعلى أيها العجوز، ماذا تقول؟ هل كنت تبحث عني في سانت كلود؟ لكنني لست في سانت كلود الآن، ماذا هناك؟ تريد التحدث معي؟ مَن؟ المدير؟ حسنًا سوف آتي إليكم، لكن أولًا، أرسِل لي اثنين من الرفاق على الفور، هل سمعتني؟ آه! شيء آخر يا ليفبور، حاوِل أن ترسل إلى قسم إثبات الهوية القانونية إذا كان هناك

ملف خاص أو سوابق جنائية باسم السيدة الشابة إليز ماسون الراقصة السابقة في ملهى فولي بيريجير.

بعد خمسة عشر دقيقة، وصل اثنان من رجال الشرطة على دراجتين. أوضح لهم □يكتور أن عليهم مراقبة المدعوة إليز ماسون التي كانت تعيش في الطابق الثالث، ومنع خروجها لأي سبب كان، قدَّم لهم وصفًا دقيقًا لها، أخذ □يكتور البارون أوتري إلى شرطة المقاطعة، وعهد به إلى زملائه هناك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٢)

السيد (غوتييه) مدير الشرطة رجل حكيم وماهر جدًّا، كان ينتظر □يكتور في مكتبه برفقة رجل بدين وقصير، عجوز إلى حد ما، لكنه لا يزال يحتفظ بقوة مظهره، له رقبة قوية ومنكبان عريضان، كان أحد المنافسين المباشرين لـ□يكتور، وهو المحقق موليون.

صاح المدير بنبرة قوية:

- حسنًا يا □يكتور! فلتخبرني على الفور ماذا تقصد جرَّاء أفعالك هذه؟ لقد أوصيتك عشرين مرة بالبقاء على اتصال معنا، ومع ذلك، لم نستطِع الوصول إليك لمدة يومين، ولا يُوجَد أي أخبار منك، مركز شرطة سانت كلود يبحث في اتجاه ومركز شرطة باريس يمضون في بحثهم دونك، وأنت تبحث بمفردك في اتجاه لا يعلمه سواك، لا يُوجَد هدف واضح، ولا تُوجَد خطط منسقة.

رد □يكتور بنبرة باردة دون أن يبدو عليه الغضب:

- هذا يعني أن قضية سندات الدفاع وجريمة الكوخ لا تتقدم حسب رغبتك يا سيدي؟

- أوه! ماذا عنك يا □يكتور؟

- أنا لا أتذمر، ولكنني أعترف أنني لا أعمل بكل كفاءتي بها، القضية تسليني، لكنها لا تثيرني. مشتتة للغاية، مجرمون من الدرجة الثالثة، يتصرفون بفوضوية، ويركمون العديد من الأخطاء الفادحة. لا يُوجَد خصم جاد هنا يمكنه أن يثير حماستي.

- أحترم صراحتك، في هذه الحالة عليك ترك القضية، موليون لا يعرف أرسين لوبين، لكن سبق له أن عمل في قضاياه، وعرف أسلوبه واعتاد شخصيته لفترة طويلة، وهو مؤهل بشكل أفضل من أي أحد.

توجه □يكتور إلى المدير، بدا عليه الاضطراب والحيرة، وقال:

- ماذا تقول يا سيدي؟ أرسين لوبين؟ هل أنت متأكد؟ هل لديك دليل على أنه متورط في هذه القضية؟

- دليل رسمي ومؤكد، ألا تعلم أن أرسين لوبين قد شُوهِد في ستراسبورغ، وكنا على وشك إلقاء القبض عليه لكنه هرب في اللحظة الأخيرة، وأن المظروف الأصفر الذي عُهِد به إلى البنك وكان مدير البنك من الحماقة حتى لا يستطيع الحفاظ عليه، وجد لأول مرة في خزنة الشخص الذي تنتمي إليه، السندات التسعة، وهو رجل أعمال وصناعة في ستراسبورغ، نحن نعلم الآن أنه في اليوم التالي لقيام رجل الصناعة بإيداع هذا المظروف في البنك تم اقتحام خزنته، من قِبَل مَن؟ بقايا الرسالة التي جمعناها تخبرنا بهذا: إنها من أرسين لوبين بنفسه.

- هل كانت الرسالة من أرسين لوبين حقًّا؟

- نعم.

- لمَن؟

- لامرأة تبدو أنها عشيقته، يُبلغها بعدة أمور:

«لديَّ من الأسباب ما يجعلني متيقنًا أن الغنائم التي أخفقت في الحصول عليها تمت سرقتها على يدَي أحد موظفي البنك والذي يُدعَى ألفونس أوديجراند، إذا كان هذا الأمر من شأنه أن يسليكِ أو يثير اهتمامكِ؛ فحاوِلي اقتفاء أثر هذا الرجل حتى موعد وصولي إلى باريس، حيث سأصل مساء الأحد، بالنسبة لي، لم يعُد الأمر يهمني كثيرًا، لا يشغل بالي الآن سوى القضية الأخرى التي تعرفينها، تلك المتعلقة بعشرة الملايين؛ فهي ما تستحق العناء حقًّا».

- دون توقيع بالطبع؟

- انظر، أرس. ل.

أضاف السيد غوتييه:

- يوم الأحد هو اليوم نفسه الذي كنت فيه بسينما بلازار حيث كان ألفونس أوديجراند هناك مع عشيقته؟

صاح □يكتور:

- كانت هناك امرأة أخرى أيضًا يا سيدي، وهي امرأة جميلة جدًّا، كانت بلا شك تراقب أوديجراند، وهي المرأة نفسها التي رأيتها في الليل عندما كانت تهرب من النافذة بعد اغتيال الأب ليسكوت.

قطع □يكتور الغرفة ذهابًا وإيابًا، دون أدنى محاولة منه لإخفاء الانفعالات التي انتابته على ذِكر اسم أرسين لوبين، وأخيرًا اتجه إلى المدير يقول:

- سيدي الرئيس عندما يتعلق الأمر بهذه الشخصية اللعينة؛ فلن أتخلى عن القضية.

- أتكرهه إلى هذه الدرجة؟

- لم أرَه من قبل قط، وهو لا يعرفني أيضًا.

- ماذا إذن؟

قال وهو يجز على أسنانه:

- هذا لا يمنع بأن بيننا حسابًا مفتوحًا لا بد من تصفيته، ولكن دعنا من هذا الآن؛ لنتحدث عما وصلنا إليه في القضية.

ودون المزيد من اللغط، روى كل ما فعله في اليوم السابق وفي الصباح بالتفصيل، وتحقيقاته في جاراش، ومقابلاته مع أسرة أوتري، وأسرة جيروم والآنسة إليزا ماسون، ولهذا أظهر المستند الذي بحوزته الخاص بها، الذي حصل عليه من مكتب تحقيق الهوية:

«يتيمة، من أب مدمن على الكحول، وأم مصابة بالسل، طُردت من فولي بيرجير بعد ارتكابها لعدة سرقات في غرفة تبديل الملابس الخاصة برفيقاتها، مريضة بداء السل مثل والدتها، وهي الآن في

المرحلة الثانية من المرض».

ساد صمت تام لعدة لحظات، تبيَّن □يكتور من خلاله مدى رضا السيد غوتييه عن نتائج التحقيق التي حصل عليها.

- رأيك يا موليون؟

- عمل جيد -أجاب المحقق الذي كان لديه بعض التحفظات بطبيعة الحال- ولكن العمل الجيد يتطلب تحقيقًا دقيقًا. إذا سمحت لي فسوف أتولى مهمة استجواب البارون بنفسي.

أجابه □يكتور بصراحته المعتادة:

- لا بأس، فلتتولَّ الأمر، سأنتظرك في سيارتي بالخارج.

واختتم المدير:

- سنلتقي هنا الليلة، يمكننا حينها الاتفاق على بعض المهام اللازمة لاستكمال التحقيق الذي فتحه مكتب المدعي العام للتو في باريس.

بعد مرور ساعة، أعاد موليون البارون إلى السيارة، وأخبر □يكتور:

- لا علاقة لهذا الوغد بأي شيء.

اقترح □يكتور:

- لنذهب إلى منزل الآنسة إليز ماسون.

اعترض المحقق:

- كلا، إنها تحت المراقبة. وسيجري التحقيق معها بالتأكيد، وربما حتى قبل وصولنا إليها، هناك أمر آخر أكثر إلحاحًا في رأيي.

- ما هو؟

- ما الذي كان يفعله غوستاف جيروم عضو المجلس المحلي في جاراش وقت ارتكاب الجريمة؟ إنه نفس السؤال الذي تطرحه زوجته على نفسها وعليه؛ لذلك أود أن أستجوب صديقه فليكس ديفال الذي يزعم بأنه كان معه وقتها، وهو تاجر عقارات، وسمسار مشهور في سانت كلود، لقد تلقيت عنوانه للتو.

هز □يكتور كتفَيه في لا مبالاة، وجلس خلف عجلة القيادة، جانب موليون. بينما جلس البارون أوتري، وبصحبته جندي لمراقبته في الخلف.

في سانت كلود، التقى ضابطا الشرطة مع فيليكس ديفال في مكتبه، وهو رجل طويل القامة ذو شعر داكن وله لحية منمقة، ما لبث أن انفجر ضاحكًا عند سماعه الكلمات الأولى:

- أوه! يا إلهي! ماذا يجري بحق الجحيم مع صديقي جيروم؟ اتصال هاتفي مزعج من زوجته في الصباح الباكر، وحتى الآن زيارتان من الصحفيين.

- حول ماذا؟

- عن الوقت الذي عاد فيه إلى المنزل أول أمس الخميس.

- وبماذا أجبت؟

- اللعنة! لقد أبلغتهم الحقيقة بلا شك، وسأكررها لك الآن، كانت الساعة العاشرة والنصف عندما أوصلني إلى باب منزلي.

- ولكن زوجته تدعي أنه لم يعُد إلى المنزل إلا في منتصف الليل.

- نعم، أعلم أنها تصرخ من فوق أسطح المنزل منذ الصباح، مثل امرأة أصابها الجنون وقتلتها الغيرة: «ماذا فعلت بعد العاشرة والنصف ليلًا؟ أين كنت؟ مَن كان معك؟»، الكثير من الأسئلة التي تثير الشكوك؛ لذلك تدخلت الشرطة، وحضر الصحفيون إلى منزلي، وبما أن هناك جريمة ارتُكِبت في هذه الساعات، فقد غدا غوستاف المسكين مشتبهًا به!

ضحك من قلبه، ثم استطرد قائلًا:

- غوستاف، لص وقاتل؟! غوستاف، الذي لا يستطيع أن يؤذي طيرًا؟!

- هل كان صديقك ثملًا؟

- أوه! بالكاد، فإن رأسه خفيف يتأثر بسهولة! حتى إنه أراد أن يأخذني على بُعْد 500 متر من هنا لنستكمل سهرتنا في حانة (كارفور)، والتي لا تُغلَق سوى في منتصف الليل.

ذهب الشرطيان إلى هناك، قيل لهم إنه قبل يومين، جاء السيد غوستاف جيروم ليشرب كأسًا من النبيذ بعد العاشرة والنصف بقليل.

وهكذا بقي السؤال الأهم أكثر إلحاحًا:

«أين ذهب غوستاف جيروم من العاشرة والنصف حتى منتصف الليل؟».

عادا إلى السيارة، وأوصلا البارون أوتري إلى منزله، وكذلك الجندي المسئول عن حراسته، وأراد موليون الذهاب إلى فيلا جيروم لإعادة استجوابه، ولكن كلا الزوجين كانا غائبين.

قال موليون:

- دعنا نتناول الغداء، لقد تأخر الوقت.

تناولا الغداء في مقهى (الرياضة)، ولم يتبادلا سوى بضع جمل، كان □يكتور في حالة مزاجية سيئة جعلته يُؤثِر الصمت على نقد أفكار المفتش موليون التي بدت له طائشة؛ فكان يرد باقتضاب على أسئلته.

قال موليون:

- ألا تعتقد أن هناك شيئًا غريبًا في سلوك هذا الشخص؟

- أي شخص؟

- غوستاف جيروم.

- غوستاف جيروم يأتي في المرتبة الثانية بالنسبة لي.

- لكن... اللعنة، أخبِرني عما يدور برأسك.

- أن نذهب مباشرةً إلى إليز ماسون.

صاح موليون ونهض محتدًّا، وهو يقول بعناد:

- وأنا أرى أن نذهب إلى السيدة أوتري، لنذهب.

قال □يكتور في لا مبالاة:

- لنذهب.

كان هناك جندي مسئول عن المراقبة يقف على الرصيف أسفل المبنى للمراقبة. صعدا، ورن موليون الجرس، فُتِح لهما وكانا على وشك الدخول عندما تم استدعاؤهما للهبوط من أسفل، كان هناك شخص يصعد السلم بأقصى سرعة، أحد الضباط راكبي الدراجات الذين كلفهم □يكتور بحراسة المبنى في شارع دي فوجيرارد، حيث تعيش إليز ماسون.

- ماذا هناك؟ سأل □يكتور بجزع.

- لقد قُتِلت، ربما خُنِقت...

- إليز ماسون؟

- نعم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٣)

أدرك موليون أنه كان مخطئًا عندما رفض أن يبدأ التحقيق من شارع دي فوجيرارد حيث كانت إليز كما أراد رفيقه، تملَّكه غضب عارم، ولم يعرف على مَن يلقي اللوم، اقتحم الغرفة التي كان فيها في منزل أوتري، وبدأ في الصراخ على البارون؛ على أمل إثارة رد فعله:

- لقد قتلوها، لماذا لم تحذرنا من الخطر الذي كانت تواجهه، يا لسوء حظها جراء معرفتك! فقد قُتِلت لأنك عهدت إليها بالسندات أيها البارون المغفل، وأحدهم كان يعرف ذلك. مَن هو؟ ألم يحِن الوقت لكي تعترف بعد؟

أراد □يكتور التدخل، لكن موليون استمر في الصراخ:

- مَن قتل عشيقتك؟ عليك الآن أن تعترف بما فعلته، هل تعرف من قتلها؟ نعم أو لا؟ هيا! تكلم!

إذا كان هناك رد فعل، فهو بالطبع ليس من جانب البارون أوتري، الذي ظل مدهوشًا، جاحظ العينين، وكأنه يحاول فهم معنى الكلمات المنطوقة. لكن زوجته غابرييلا نهضت ببطء، وهي تُحدِّق في زوجها بصرامة، متوقعةً احتجاجًا، اعتراضًا، أو على الأقل أي إيماءة رفض، كان عليها أن تتكئ لكي لا تسقط، بينما ظل موليون صامتًا يراقب ما يحدث، قالت متلعثمة:

- كان لديك عشيقة! أنت! أنت يا ماكسيم! عشيقة! هي مَن كنت تذهب إليها كل يوم في باريس.

كررت بصوت منخفض كأنها تتحدث إلى نفسها، بينما تحول لون خدَّيها إلى الشحوب:

- عشيقة! لقد كنت تخونني طوال هذه الفترة! كيف استطعت ذلك؟! كان لديك عشيقة!

أجاب أخيرًا بنبرة تأوُّه نادمة:

- سامحيني يا غابرييلا، لا أعرف كيف حدث ذلك! والآن لقد ماتت.

صنعت علامة الصليب فوق صدرها، وقالت:

- تقصد قُتِلت، لقد سمعت.

- لقد مررت بأحداث بشعة منذ يومين، ولا أفهم شيئًا عنها! إنني أعيش كابوسًا مرعبًا، لماذا أتعذب بهذا الشكل؟ لماذا هؤلاء الناس يريدون اعتقالي؟

أجفلت البارونة قائلة:

- يعتقلونك! هل أنت مجنون؟ لماذا؟!

انتابتها نوبة من اليأس، وألقت بنفسها على الأرض، جثت على ركبتَيها، شبكت يدَيها أمام وجهها وأخذت تتوسل إلى المحقق:

- لا يا سيدي، أنت مخطئ، ليس لك الحق في ذلك، أقسم لك إنه بريء من قتل الأب ليسكوت؟ لقد كان بالقرب مني وقتها، لقد قبَّلني، وبعد ذلك.. وبعد ذلك نمت بين ذراعَيه، نعم بين ذراعَيه، فكيف يمكن

ذلك؟ إنه شيء مستحيل!

غمغمت ببضع كلمات أخرى، وبعدها أصبح صوتها منهكًا متقطعًا غير واضح. ثم غابت عن الوعي، حزنها كونها امرأة مخدوعة، خوفها وتضرُّعها، إغماؤها، كل شيء كان طبيعيًّا جدًّا وصادقًا بعمق. لم يخالجهما أي شك في أنها تكذب.

بكى ماكسيم أوتري بدوره دون أن يفكر في معالجتها أو محاولة إفاقتها، بعد فترة بدت شبه مستيقظة، أخذت تبكي وتتنهد في صوت متهدج، سحب موليون ذراع □يكتور وقاده بعيدًا في الرواق، حيث وجدا الخادمة العجوز أنا تتنصت عند الباب، فألقى عليها أوامره بصوت حازم:

- ستبلغيهم ألا يتحركوا الليلة من المنزل وحتى الغد، كما يُوجَد هناك بعض الجنود بالأسفل لمراقبتهم جيدًا.

في السيارة تحدَّث موليون بنبرة غاضبة:

- هل هي تكذب؟ وكيف نعرف ذلك؟! لقد رأيت العديد من المخادعات! ماذا تظن في رأيك؟

لكن □يكتور ظل صامتًا، كان يقود سيارته بسرعة كبيرة، بسرعة كبيرة لدرجة أن موليون كان يرغب في إبطائه، ولكنه لم يجرؤ خوفًا من أن يعانده □يكتور، ويزيد من سرعته أكثر، كانا غاضبين على بعضهما البعض، لقد كان جليًّا أن المحققين اللذين أوكلهما مدير الشرطة القضائية للعمل على القضية، لم يتوافقا معًا.

استمر غضب موليون في أثناء مرورهما عبر الحشد المتجمع في زاوية شارع دي فوجيرارد، وحتى عندما وصلا إلى المنزل، على عكس □يكتور الذي كان هادئًا وقادرًا على تمالك نفسه، وهذه هي المعلومات التي تم إبلاغه بها، بالإضافة إلى بعض الوقائع التي سجلها بنفسه:

في تمام الساعة الواحدة قرع ضباط الشرطة المسئولون عن إجراء التحقيق الرسمي باب السيدة إليز في الطابق الثالث، ولكن دون جدوى، وعند هبوطهم عرفوا من راكبي الدراجات الذين كلفهم □يكتور بمراقبة باب المبنى أن إليز ماسون لم تغادر منزلها، فذهبوا للاستعلام عن أقرب صانع أقفال. فُتِح الباب وبمجرد دخولهم رأوا إليز ماسون مستلقية في سريرها، بشرتها داكنة، متدلية الرأس، ذراعاها متصلبتان وملتويتان من أثر المقاومة. ليس هناك دماء ولا سلاح، ولا يُوجَد أثر لحدوث صراع في الحجرة بين الأثاث أو الأشياء الأخرى، كما كان وجهها منتفخًا ومغطًّى بالبقع السوداء.

قال الطبيب الشرعي:

- هذه البقع الكبيرة تدل على أنه تم خنقها إما بحبل أو ربما وشاح.

وعلى الفور لاحظ □يكتور عدم وجود الوشاح البرتقالي والأخضر الذي كانت تضعه الضحية حول رقبتها، وعندما سأل عنه تبين أنه لم تتم رؤيته، كان من الغريب أن الأدراج لم يتم لمسها، ولا حتى خزانة الملابس ذات المرايا.

وجد □يكتور حقيبة السفر والحقيبة الأخرى تمامًا في نفس الحالة التي تركهما فيها في الصباح، فهل هذا يعني أن القاتل لم يكُن يسعى خلف سندات الدفاع؟ أو أنه يعلم مسبقًا أنها لم تكن في الشقة؟

وعند استجواب حارسة العقار أشارت إلى أن مكان غرفتها أسفل العقار لا يساعدها كثيرًا في تمييز الأشخاص الذين يدخلون أو يغادرون، ونظرًا لعدد الشقق الكبير؛ كان هناك الكثير من الأشخاص على الدوام، باختصار لم تلاحظ أي شيء غير طبيعي، ولم تُدلِ بأي شيء يفيد التحقيق.

لكن موليون أخذ □يكتور جانبًا؛ لكي يعرض عليه شهادة أحد المستأجرين في الطابق الخامس، فقبل الظهر بقليل صادف هذا الرجل امرأة بين الطابقين الثاني والثالث كانت تصعد الدرج، كما أنه سمع حينها أحد أبواب الطابق الثالث وقد أُغلِق للتو، كانت هذه المرأة ترتدي ملابس بسيطة، ولم يستطِع رؤية وجهها الذي كان واضحًا أنها تحاول إخفاءه.

وأضاف موليون:

- وفقًا للطبيب الشرعي، لقد تمت الوفاة تقريبًا بعد الظهر منذ حوالي ساعتين أو ثلاث ساعات، لم يتم تحديد الوقت تمامًا؛ نظرًا لسوء حالة الضحية، من ناحية أخرى ونتيجة الفحص المبدئي للغرفة، لم يكُن هناك أي بصمات للأصابع، وذلك يدل على استخدام القاتل الإجراء الاحتياطي اللازم، وهو ارتداء القفازات. جلس □يكتور في زاوية الغرفة يراقب ما يدور حوله بعينين جاحظتين ملأهما اليقظة وشغلهما التفكير، كان يُحدِّق في الضباط الذين كانوا يفتشون الغرفة بشكل منهجي، يرفعون كل حلية، ويتفحصون الجدران، ويفتشون الستائر وما خلفها وفوقها، تم فتح وإفراغ علبة سجائر قديمة مصنوعة من القش المنسوج. كانت تحتوي على خمس عشرة صورة شاحبة وسيئة لإليز ماسون، التُقِطت خلال حفلة ما بينما كانت مع زملائها بملهى فولي بيرجير، ولكن عندما تناول □يكتور العلبة ليفحصها اكتشف في أسفل العلبة صورة أخرى مطوية إلى أربعة، على الرغم من أنها صورة من نفس النوع، ولكنها لم تكُن صورة لإليز ماسون؛ فقد كان على يقين من أنها صورة تلك الفاتنة الشقراء من سينما بلازار، وضع □يكتور العلبة بجيبه ولم يتحدث عن الأمر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الرابع

اعتقالات

(١)

تم عقد الاجتماع الذي حدده مدير الشرطة القضائية في مكتب السيد (فاليدو) قاضي التحقيقات، الذي وصل لتوه من الكوخ مكان وقوع جريمة الأب ليسكوت، حيث كان قد بدأ تحقيقه وجمع الشهادات.

كان اجتماعًا محيرًا إلى حد ما، استولت قضية سندات الدفاع، والتي أسفرت عن جريمتَي قتل بالفعل حتى الآن، على اهتمام الرأي العام. احتدمت الصحف والمجلات بالآراء والمقالات، بالإضافة إلى ظهور اسم أرسين لوبين وسط حالة من الاضطراب وعدم الترابط، أحداث متناقضة وافتراضات غير معقولة، اتهامات لا أساس لها، وأقاويل مثيرة. كل هذا، تم جمعه في فترة قصيرة، أقل من أسبوع واحد، كل يوم حدث جديد ومثير يزيد من غموض القضية وصعوبتها.

- يجب أن نتحرك بسرعة ونحقق بعض النتائج الفورية.

قال مدير الشرطة، والذي جاء بنفسه للاستماع إلى تقرير المفتش موليون، ثم انسحب إلى مكتبه بعد استدعائه؛ ليجيب على مكالمة عاجلة.

- نتحرك بسرعة؟! -تذمر السيد فاليدو الذي بدا عليه الاضطراب والعصبية، فهو من أنصار النظرية القائلة إنه يجب على المرء أن يترك نفسه لتقوده الأحداث- ثم ردد مرة أخرى:

- لنتصرف بسرعة إذن، ولكن في أي اتجاه؟ وكيف نحقق نتائج فورية؟ فعلى الرغم من معرفتنا بكل الوقائع؛ فإنه لا يبدو لنا شيء يقيني، الحجج متعارضة مع بعضها البعض، كلها منطقية، وكلها هشة لا يمكننا الاعتماد عليها.

أولًا ليس هناك دليل قاطع يجمع بين قضيتَي سرقة سندات الدفاع، وجريمة قتل الأب ليسكوت، لم ينكر كلٌّ من ألفونس أوديجراند وإرنستين دورَيهما في سرقة السندات، لكن السيدة ساشين أنكرت، وعلى الرغم من حقيقة علاقتها العاطفية مع الأب ليسكوت، فإنه لا يمكننا تأكيد أن المغلف الأصفر قد انتقل إليه عن طريقها، من ناحية أخرى فإذا كانت هناك شبهات قوية ضد البارون أوتري، فإن دوافع جريمته بقيت دون تفسير محدد.

وأخيرًا سيظل السؤال الأكثر منطقية يتردد بشدة: ما العلاقة بين مقتل الأب ليسكوت وإليز ماسون؟

قال المحقق موليون متهكمًا بغل واضح:

- ربما من الممكن أن يوضح لنا المفتش □يكتور العظيم وجهة نظره إزاء كل هذه الحجج غير المترابطة وغير المؤكدة، فقد بدأت الأحداث معه في يوم الأحد الماضي منذ أن غادر سينما بلازار لتنتهي اليوم بالقرب من جسد إليز ماسون.

اكتفى □يكتور بهز كتفَيه بلا اكتراث؛ ردًّا على كلام موليون، متجاهلًا هذه التصريحات ليضع صمته العنيد حدًّا للنقاش.

في يوم الأحد، أرسل □يكتور طلبًا لأحد ضباط الشرطة السابقين الذين لم يغادروا شرطة المقاطعة ولم يتوقفوا عن العمل بها حتى بعد تقاعُدهم؛ بسبب إخلاصهم والخدمات التي قدموها في أثناء فترة

خدمتهم، وهو المحقق لارمونت المساعد السابق والوفي دائمًا له، فلطالما كان على استعداد دائمًا لإنجاز المهام الدقيقة التي يوكلها إليه □يكتور.

وكان الطلب عبارة عن:

«تقصَّ أدق التفاصيل عن حياة إليز ماسون السابقة، وحاوِل معرفة إذا لم يكُن لديها صديق أكثر حميمية بخلاف ماكسيم أوتري».

يوم الاثنين، ذهب □يكتور إلى جاراش ليلتقي بالمدعي العام والذي أنهى تحقيقه في الصباح في شقة إليز ماسون بالفعل، ولكنه ذهب مع □يكتور إلى الكوخ؛ ليعيدا تمثيل جريمة مقتل الأب ليسكوت.

تم استدعاء البارون أوتري، والذي بدا في مظهر أنيق وحالة جيدة، وقد دافع عن نفسه بقوة مؤثرة. ومع ذلك، فقد تم إثبات رؤيته بالفعل في اليوم التالي للجريمة، وهو داخل سيارة أجرة، بالقرب من محطة الشمال، ومعه الحقيبتان الجاهزتان حيث تم العثور عليهما في منزل عشيقته، بالإضافة إلى قبعته الرمادية بالقرب من مكان الجريمة، تلك الدلائل تدحض أخطر الشكوك تجاهه.

أراد المحققون أن يستجوبوا كلًّا من الزوج والزوجة، فتم استدعاء البارونة أيضًا، وعندما حضرت أثار دخولها المنزل الصغير دهشة الجميع.

كانت إحدى عينَيها متورمة، جرح دامٍ في خدها، فكها ملتوٍ، ومنحنية. على الفور، قطعت الخادمة العجوز أنا، التي كانت تدعمها هذا الصمت، ولوَّحت بيدها في وجه البارون، وهي تصيح:

- إنه مَن فعل ذلك يا سيدي القاضي، هو مَن جعلها على هذه الحالة هذا الصباح. كان سيطردها إلى الشارع إذا لم أفصل بينهما، إنه رجل مجنون يا سيدي، انقض عليها بالضرب بكل قوته ودون أن تنبس ببنت شفة.

رفض ماكسيم أوتري تبرير موقفه، وبصوت مرهق اعترفت البارونة بكلمات موجزة بأنها لم تفهم شيئًا مما حدث، اتجه زوجها ليقف جوارها عندما بدأت في الكلام:

- إنه شخص تعيس! كل ما يحدث له يجعله يفقد صوابه، لم يضربني من قبل قط، أرجوك لا تحكم عليه من هذا الموقف.

أمسكت بيده، ونظرت إليه بحنان، وهو دامع العينين، أخذ يبكي كطفل بالغ من العمر عشر سنوات.

توجه □يكتور إلى البارونة سائلًا:

- أما زلتِ محتفظة بأقوالكِ بأن زوجكِ قد عاد إلى المنزل في الساعة الحادية عشرة مساء الخميس؟

- بلى.

- وبعد ذهابه إلى الفراش، قام بتقبيلك؟

- نعم.

- حسن، لكن هل أنتِ متأكدة من أنه لم يستيقظ بعد ذلك بنصف ساعة أو ساعة؟

- بالتأكيد لم يحدث.

- لماذا أنتِ متيقنة؟

- لو لم يكُن جواري، لكنت شعرت بذلك؛ لأنني كنت بين ذراعَيه، بالإضافة إلى...

احمرت خجلًا، كما حدث لها كثيرًا في أثناء التحقيق، وتمتمت:

- بعد ساعة، وكنت ما زلت نعسانة، قلت له: هل تعلم أن اليوم هو عيد ميلادي؟

- وبعد ذلك؟

- لذا قبَّلني مرة أخرى.

كان لخجلها وتواضُعها في أثناء الحديث بالغ الأثر في نفوس المستمعين، لكن عاد هذا السؤال ليراود ذهن □يكتور من جديد: ألم تكُن تلعب دورها جيدًا ليس إلا؟ حديثها التلقائي والعميق يوحي بصدق شديد، فهل يمكن أن تكون مجيدة لكل هذه الانفعالات لكي تحمي زوجها فقط؟

ظل المفتشون حائرين حتى الوصول المفاجئ للمحقق موليون، الذي جاء للتو من شرطة المقاطعة ليحمل أخبارًا جديدة، سحب المحققين إلى الحديقة، وقال بحماسة:

- معلومات جديدة ظهرت في القضية، حقيقتان مهمتان، في الواقع ثلاث حقائق؛ أولًا: السلم الحديدي الذي تم استعماله من قِبَل المرأة التي شاهدها □يكتور تهبط من نافذة الطابق الأول، تم العثور عليه صباح اليوم في حديقة منزل مهجور تقع على طول الساحل الذي ينحدر إلى مدينة بوجيفال، فقد ألقت الهاربة أو الهاربان به فوق سور الحديقة، وعلى الفور أرسلت مواصفات السلم إلى الشركة المُصنِّعة وعلمت من خلالهم أنه قد تم بيعه لامرأة، وقد تطابقت أوصافها مع المرأة التي تم رؤيتها وهي تهبط الدرج بمنزل إليز ماسون وقت ارتكاب الجريمة في شارع دي فوجيرارد.

التقط موليون أنفاسه، واستكمل حديثه:

- ثانيًا: تقدَّم سائق سيارة أجرة إلى الشرطة في الصباح للإدلاء بشهادته، إنه في ظهر يوم الجمعة؛ أي في اليوم التالي لمقتل ليسكوت في لوكسمبورغ، استقل رجل نبيل يحمل حقيبة سفر، وسيدة تحمل حقيبة قماشية في يدها سيارة أجرة، وقال السيد:

- محطة الشمال.

- صالة المغادرة؟

قال الرجل:

- نعم.

لا بد أنهما كانا قد وصلا قبل ميعاد قطارهم؛ لأنهما بقيا لمدة ساعة في السيارة بالقرب من المحطة. ثم جلسا في شرفة أحد المقاهى، ورآهما السائق يشتريان صحيفة مسائية من بائع صحف متجول، في النهاية أعاد الرجل السيدة إلى السيارة مرة أخرى، فركبت بمفردها ومعها الحقائب، وعادت إلى لوكسمبورغ بالقرب من شارع دي فوجيرارد.

المواصفات مطابقة تمامًا للبارون وعشيقته، وكانت في الساعة الخامسة والنصف تمامًا، وبعد أن عدلا عن رأيهما بالفرار إلى الخارج -لا نعلم لماذا حتى الآن- أعاد البارون أوتري عشيقته إلى المنزل ثم استقل سيارة أجرة بدوره، من المؤكد بأننا سنعثر عليها يومًا ما، أقلته إلى محطة سان لازار لكي يصعد على متن قطار الساعة السادسة الذي يوصله إلى جاراش، حيث عاد إلى منزله رجلًا عاقلًا مصممًا على مواجهة الأحداث.

- ماذا عن الحدث الثالث؟ سأل قاضي التحقيقات.

- مكالمة هاتفية مجهولة تستهدف عضو المجلس المحلي غوستاف جيروم، نحن على علم جيدًا بأهمية تعقُّب هذا الدليل الذي أصر المفتش □يكتور على تجاهُله، ذكر المتصل المجهول أنه إذا استمررنا في التحقيق في ذلك الاتجاه سوف نعرف ما فعله غوستاف جيروم بعدما خرج من حانة كارفور، وعلى وجه الخصوص، سيكون من المفيد لنا التفتيش في مكتبه.

أنهى موليون حديثه وبعدها تم إعطاؤه الأمر بالذهاب مع المحقق □يكتور إلى فيلا السيد جيروم لاستجوابه بطريقة رسمية، ما إن انطلقا معًا حتى شعر بأن □يكتور يرافقه إلى هناك على مضض.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٢)

وجدا غوستاف جيروم في مكتبه برفقة زوجته، تعرف إلى □يكتور على الفور، بينما قدَّم المحقق موليون نفسه، عقد غوستاف ذراعَيه، وصاح بغضب استطاع أن يخبئه تحت قناع من المرح:

- أوه! ألم تنتهِ هذه المهزلة بعد؟ إنها مستمرة منذ ثلاثة أيام، هل تعتقد بأنني أعيش حياة طبيعية يا سيدي؟ اسمي يتصدر كل الصحف في جريمة قتل! الناس لا يحيونني في الشارع، ما رأيكِ يا هنرييت؟ هذا ما جنيته أنا من الثرثرة التي تُطلِعين الناس بها عما يحدث في منزلنا! لقد انقلب الجميع علينا اليوم.

كانت هنرييت، التي رآها □يكتور شديدة الانفعال في المرة السابقة، تبدو مستسلمة، خفضت رأسها، وتمتمت بصوت منهزم:

- أنت على حق، فقد سيطرت عليَّ حينها فكرة أن هذا الملعون ديفال قد أغواك إلى طريق الخلاعة والمجون؛ مما أفقدني عقلي، إنه أمر سخيف! خاصة وأنني كنت مخطئةً، وقد عدت إلى المنزل قبل منتصف الليل بوقت طويل.

أشار المحقق موليون إلى المكتب المصنوع من خشب الماهوجني، وقال بنبرة حازمة:

- هل لديك مفتاح هذا المكتب يا سيدي؟

- بالتأكيد.

- افتحه من فضلك.

قال غوستاف بلا مبالاة:

- ولِم لا؟

أخرج سلسلة من المفاتيح من جيبه وأدار الجزء الأمامي من مكتب الكتابة، والذي كشف عن نصف دزينة من الأدراج الصغيرة، قام موليون بتفتيشها، وجد في أحدها كيسًا أسود من القماش مربوطًا بخيط. داخل هذا الكيس كان هناك مادة بيضاء...

قال موليون:

- إنه إستركنين ([4])، من أين لك كل هذا؟

أجاب غوستاف جيروم:

- بكل بساطة، لقد اشتريته من بولندا خصيصًا؛ من أجل القضاء على الحشرات.

- هل تعلم أن كلب الأب ليسكوت قد تسمم بالإستركنين؟

بدأ غوستاف جيروم في الضحك بعصبية، وقال:

- وماذا في ذلك؟ هل أنا الوحيد الذي يملكها؟

لم تكن هنرييت تضحك، بل اعتلى وجهها تعبير من الرهبة والفزع.

أمره موليون بنبرة قوية:

- افتح الجزء الآخر من مكتبك.

تردد جيروم لحظات، ثم أطاعه، تجول موليون بعينَيه بين الأوراق، وألقى نظرة سريعة على الملفات والسجلات، حتى رأى مسدس براوننج مندسًا في خفاء، أمسكه وقام بفحص عياره، ثم قال:

- إنه مسدس براوننج عيار سبعة مليمترات وخمسة وستين.

أكد جيروم:

- سبعة مليمترات وخمسة وستون، نعم.

- إذن فهو نفس السلاح الذي انطلقت منه رصاصتان، إحداهما قتلت الأب ليسكوت على الفور، والأخرى أصابت المفتش هادوين.

صاح جيروم منفعلًا:

- ما هذا الذي تقوله؟ لم أستخدمه أبدًا منذ أن اشتريته، ولا مرة واحدة، وذلك قبل خمس أو ست سنوات.

سحب موليون خزينة السلاح، فوجدها ناقصة رصاصتين.

قال المحقق بنبرة ذات مغزى:

- رصاصتان مفقودتان.

وبعد فحص جديد استأنف:

- مهما قلت يا سيدي، يبدو لي أن الماسورة من الداخل تحمل آثار بارود محترق حديثًا، سيُقدِّر الخبراء متى تحديدًا.

ارتبك غوستاف جيروم لفترة طويلة، أخذ يفكر، ثم هز كتفَيه في توتُّر وهو يقول:

- كل هذا لا معنى له يا سيدي، ربما تجدون عشرين دليلًا من هذا القبيل هنا، ولكنها لن تغير الحقيقة، على العكس من ذلك، إذا كنت مذنبًا حقًّا، فإنني لست من السذاجة لأجعلك تجد إستركنين في هذا المكتب بكل سهولة، أو سلاح الجريمة الذي ينقصه رصاصتين.

- حسنًا، ما تفسيرك لذلك؟

- أنا لن أفسر شيئًا، بمنتهى البساطة، لقد تم ارتكاب الجريمة على ما يبدو في الساعة الواحدة صباحًا. ومع ذلك، فإن البستاني الذي يعمل لدى (ألفريد)، والذي تقع غرفته على بُعْد ثلاثين خطوة من المرآب الخاص بي، أكد لي بأنني في هذه الليلة قد عدت إلى المنزل نحو الحادية عشرة.

ثم قام واتجه إلى النافذة ينادي:

- ألفريد!

كان البستاني ألفريد رجلًا خجولًا، مضطربًا، أخذ يُقلِّب قبعته عشرين مرة بين أصابعه في حركة عصبية، قبل أن يجيب، نفد صبر موليون، وصاح عليه بقوة:

- اسمعني جيدًا، عندما يعود سيدك بسيارته من الخارج كل ليلة، هل تسمعه؟ نعم أو لا؟

- يا للعنة! لا أستطيع أن أجزم بشيء، على حسب، فأيام يمكنني...

قاطعه موليون في عصبية:

- ولكن هذا اليوم تحديدًا؟

- لست متأكدًا تمامًا، أعتقد...

- كيف؟! -صاح غوستاف جيروم- ألست متأكدًا؟

تدخَّل موليون واقترب من البستاني، وقال بنبرة شديدة:

- الأمر لا يتعلق بالولاء، يمكن أن تصبح شهادة الزور هي أسوأ ما فعلته في حياتك يومًا ما، قل الحقيقة تمامًا، في أي وقت سمعت صوت السيارة هذا المساء؟

ربَّت ألفريد على قبعته مرة أخرى، ابتلع لعابه، استنشق بعض الهواء، وفي النهاية تلعثم قائلًا:

- حوالي الساعة الواحدة والربع، أو ربما الواحدة والنصف.

ما كاد ينهي جملته حتى اندفع غوستاف نحوه بكلتا يديه يدفعه نحو باب الغرفة، ويركله قائلًا:

- ابتعِد عن وجهي! لا تدعني أراك مرة أخرى، هذه الليلة ستكون آخر ليلة تعمل بها هنا.

ثم هدأ سريعًا، وعاد إلى موليون في محاولة للسيطرة على انفعاله، وقال له:

- لن تظفر مني بكلمة واحدة، ليس لديَّ ما أقوله، فافعل ما يحلو لك الآن.

ألقت زوجته بنفسها بين ذراعَيه وهي تبكي، بينما تبع موليون و□يكتور إلى خارج الفيلا.

في اليوم نفسه تم إلقاء القبض على البارون أوتري وجوستاف جيروم واقتيادهما إلى مبنى الشرطة القضائية، وعُهِد بهما إلى قاضي التحقيقات.

في ذلك المساء، قال السيد غوتييه، مدير الشرطة القضائية عند لقائه □يكتور:

- حسنًا يا □يكتور، نحن نبلي بلاءً حسنًا في تلك القضية، أليس كذلك؟

- إنه تقدُّم سريع ومتكلف بعض الشيء يا سيدي.

- فسِّر لي ماذا تقصد؟

- وما الفائدة؟ كان لا بد من إرضاء الرأي العام. وهذا ما قد تم بالفعل بناءً على رغبة المحقق موليون، فقد أصبح الوضع الآن تمامًا كما يحلو له: يحيا موليون! يسقط □يكتور! وعليك تصديقي في قولي إن هذا الأمر لا يشغلني بتاتًا، ولكن لي رجاء منك يا سيدي، وهو ما يشغلني حقًّا، بمجرد أن تعرف السائق الذي أخذ البارون من محطة سان لازار في اليوم التالي للجريمة، عِدني بأنك ستُخبِرني على الفور.

- ماذا تأمل من وراء ذلك؟

- سأصل إلى مكان سندات الدفاع بعد معرفة هذا السائق بنصف ساعة على الأكثر.

- اللعنة! أعِدك أني سأخبرك على الفور، ولكن حتى يحدث ذلك؟

- في غضون ذلك، سوف أسعى خلف أرسين لوبين، كل هذه الأحداث الملتوية والمعقدة تُشكِّل أجزاءً وقطعًا مثل الأحجية الصغيرة، ولن تكتمل وترسم صورة واضحة المعالم، إلا عندما نعرف الدور الذي يلعبه أرسين لوبين بشكل محدد.

في الواقع، جعلت هذه النتائج الرأي العام راضيًا إلى حد ما، على الرغم من أن الأحداث لم تسلط الضوء على جريمة بعينها سواء جريمة الكوخ، أو جريمة شارع دو فوجيرارد، أو على سرقة سندات الدفاع؛ وفي اليوم التالي، بعد استجواب عديم الفائدة لم يتم الرد خلاله على أي سؤال، احتُجِز البارون أوتري والسيد جيروم في سجن (لا سانتيه)، أما بالنسبة للصحف؛ كما هو الحال بالنسبة للجمهور؛ كان كلاهما متيقنًا بأن تلك الجرائم كلها مترابطة في سلسلة واحدة صنعها بلا شك أرسين لوبين، وحلقة الوصل الوحيدة الموجودة بينها جميعًا هي المرأة الفاتنة التي لعبت دور الوسيط بينه وبين الضحايا والمجرمين الآخرين.

كان □يكتور متيقنًا في قرارة نفسه بأن الوصول إلى تلك النتائج لم يكُن سيئًا للغاية، أهم ما يسعى إليه الآن هو الوصول إلى أرسين لوبين، وكيف سيحدث ذلك إن لم يكُن عن طريق عشيقته؟ كما عليه أن يتأكد من أن سيدة السينما، والمرأة التي رآها في الكوخ، ومَن ابتاعت السلم، والمرأة التي كانت تهبط على الدرج في منزل إليز ماسون جميعهن نفس السيدة. عرض الصورة التي كانت بحوزته على صاحب المتجر الذي باع السلم، ثم على الساكن بمنزل إليز ماسون وكلاهما أكدا أنها هي نفسها مَن التقيا بها، وأخيرًا، ذات صباح تلقى برقية عاجلة من صديقه المخلص لارمونت يقول فيها:

«إنني أتبع دليلًا جديدًا، بينما أنا ذاهب بالقرب من شارتر لحضور جنازة إليز ماسون. أراك الليلة».

في المساء، أحضر له لارمونت صديقة لإليز، وهي الصديقة الوحيدة التي حرصت على توديع صديقتها ومرافقتها إلى مثواها الأخير، كانت (أرماندي دوتريك) فتاة جميلة ذات شعر أسود، تلقائية وصريحة للغاية، تعرفت إلى إليز بالملهى واعتادت رؤيتها كثيرًا، قالت إنه لطالما بدت لها رفيقتها غامضة إلى حد ما، كانت تتورط في علاقات غرامية دائمًا. طلب منها □يكتور إلقاء نظرة على الصور، وعندما وصلت إلى الصورة الأخيرة جاء رد فعلها مباشرًا، وقالت بكل تلقائية:

- أوه! أنا أعرف تلك المرأة، رأيتها ذات مرة، إنها طويلة، شاحبة الوجه، ذات عيون لا يمكن نسيانها، كنت على موعد مع إليز بالقرب من الأوبرا، نزلت إليز من سيارة ما حيث كانت السيدة هي التي

تقود.

- ألم تخبرك إليز عنها أبدًا؟

- بلى، ولكن ذات مرة، رأيت خطابًا كانت قد وضعته إليز في البريد تحت هذا الاسم: الأميرة... ثم اسم روسي أخطأت في قراءته، واسم فندق بميدان الكونكورد، أنا متأكدة من أن هذه الرسالة كانت إليها.

- أكان هذا منذ وقت طويل؟

- منذ ثلاثة أسابيع مضت، لم أرَ إليز منذ ذلك الحين، لقد جعلتها علاقتها مع هذا البارون أوتري مشغولة دائمًا، وبعد ذلك داهمها المرض بشكل قوي، ففكرت فقط في الاعتناء بنفسها والاستشفاء؛ بالسفر والذهاب إلى الجبال.

في هذا المساء نفسه، علم □يكتور أن الأميرة الروسية ألكسندرا باسيليف كانت تقيم في فندق كونكورد الكبير في تلك الفترة، وأنها انتقلت بعد ذلك إلى فندق كامبريدج بشارع الشانزليزيه.

الأميرة باسيليف! كان يوم واحد كافيًا لـ□يكتور ولارمونت أن يعرفا أنها في باريس، ويقوما بجمع معلومات عنها:

«السليلة الوحيدة المتبقية لعائلة روسية كبيرة تحمل هذا اللقب، تم ذبح أبيها وأمها وأخواتها الرجال بأمر من البوليس السري الروسي، بينما تُركت ألكسندرا باسيليف بين الحياة والموت، ولكنها نجت في النهاية، وتمكنت من الفرار وعبور الحدود. وبما أن عائلتها كانت تملك عقارات وممتلكات متنوعة في أوربا؛ أصبحت غنية في باريس، تعيش وفق هواها في بذخ وترف، تملك شخصية قوية وجريئة، لديها الكثير من العلاقات مع بعض السيدات الروسيات في باريس، أطلقن عليها اسم الأميرة ألكسندرا. كانت تبلغ من العمر ثلاثين عامًا».

تحرى لارمونت عنها في فندق كامبريدج، فكانت نادرًا ما تخرج الأميرة باسيليف من الفندق، وفي كثير من الأحيان تتناول الشاي في قاعة الرقص، ودائمًا تتناول العشاء في مطعم الفندق. لم يحدث أن تحدثت مع أي نزيل قط.

بعد ظهر أحد الأيام، ذهب □يكتور في سرية ليستقر بين الحشد الأنيق الذي التف يثرثر حول فرقة الموسيقى في قاعة الرقص بفندق الكامبريدج، مرت امرأة شاحبة، طويلة القامة، ذات شعر أشقر للغاية، وأخذت مكانها بعيدًا. كانت هي! نعم كانت هي، سيدة سينما بلازار! المرأة التي رآها عند نافذة الكوخ، ومع ذلك للوهلة الأولى لم ينتَبه الشك بأنها هي نفسها، فلا يمكن لامرأتين أن تتطابقا إلى تلك الدرجة، حاملتين تلك الملامح الملائكية، هذه الطلة الساحرة، هذا الشحوب والخجل، تمامًا نفس المظهر الخارجي، ولكن هذا الشعر الأشقر بلون القش والمجعد، تناقضت مع صورتها التي ارتبطت في ذاكرة □يكتور بشعرها الأصهب المسترسل.

منذ ذلك الحين، أصبح أكثر ترددًا على الفندق، عاد مرتين دون أن يتيقن من مطابقة ذاكرته لتلك الحسناء أمامه، اصطحب صديقة إليز ماسون إلى الفندق في مرة، فقالت على الفور عند رؤيتها:

- نعم، إنها السيدة التي رأيتها مع إليز في سيارتها.. نعم، أعتقد أنها هي.

بعد يومين، وصل نزيل جديد إلى كامبريدج، قدَّم نفسه على أنه ماركوس أفيستو، يبلغ من العمر 62 عامًا، من بيرو.

لا يمكن لأحد أن يتعرف في هذا الرجل النبيل، هادئ الملامح وبالغ الأناقة والوقار على الشرطي □يكتور محقق شرطة الآداب، الرجل القاسي، وغير الجذاب بالمرة، بدا وكأنه زاد عشر سنوات في العمر، شعره أشيب بالكامل، وتبدو عليه حياة الترف والسعادة.

أعطيت له غرفة في الطابق الثالث وكانت غرفة الأميرة في نفس الطابق على بعد نحو عشرة أبواب.

قال □يكتور في نفسه:

- لا بأس، لكن لم يعُد هناك وقت لأضيعه. ينبغي عليَّ أن أبدأ الهجوم.. وفورًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الخامس

الأميرة باسيليف

(١)

داخل هذا الفندق الضخم المكون من خمسمئة غرفة، حيث يتكدس النزلاء في فترة ما بعد الظهر، وفي المساء في البهو أو في المطعم، لا يستطيع رجل مثل ماركوس أفيستو أن يلفت إليه الانتباه بشكل خاص، كان من السهل ألا تلاحظه امرأة مشتتة مثل الأميرة ألكسندرا باسيليف، والتي بدت مستغرقة في عالمها الخاص أكثر من أي شيء آخر؛ مما سمح له بمراقبتها أطولِ فترة ممكنة ودون انقطاع تقريبًا. خلال تلك الأيام الأربعة الأولى، لم تغادر الفندق بالتأكيد، ولم تتلقَّ أي زيارات ولا مراسلات. فإذا كان من الممكن أن تتواصل مع العالم الخارجي، فلن يكون بإمكانها القيام بذلك إلا عن طريق الهاتف في غرفتها؛ مثلما يفعل □يكتور مع رفيقه لارمونت.

كان وقت العشاء هو الوقت الذي يتطلع إليه كل يوم بشوق بالغ، على الرغم من حرصه على تجنُّب أن تلتقي نظراتهم أبدًا، لم يكُن يحول عينَيه عنها أبدًا، كان ذلك مشهدًا مأثورًا، يمكن للمرء أن يرى تحت هذا المظهر العملي لرجل مثل المفتش □يكتور، الكثير من العواطف والإعجاب المتأصل، كلما تأمل جمالها غضب بشدة؛ لاحتمال أن تكون مثل هذه المخلوقة الرقيقة فريسة لهذا المغامر الأفاق لوبين، وتذمر في نفسه قائلًا:

- لا، ليس من الممكن لامرأة من أصولها وبقدر جمالها بأن تكون عشيقة لبائس نصاب مثل لوبين.

كان عليه أن يعترف لنفسه حتى لو لم تكُن كذلك، فهي نفسها اللصة التي رآها في الكوخ تتسلل من النافذة، وهي قاتلة شارع دي فوجيرارد، هل يمكن لامرأة كتلك أن تقتل لسرقة مئات الآلاف من الفرنكات وهي بالفعل ثرية تمتلك الكثير من الأموال، وتمتلك مثل تلك الأيدي الأرستقراطية النحيلة والبيضاء المتلألئة بالألماس؟

في المساء الرابع، عندما كانت تهم بالصعود إلى الطابق العلوي بعد تدخين بضع سجائر في زاوية القاعة، تمكَّن من الدخول إلى المصعد الذي كانت على وشك أن تستقله، كان واقفًا عند دخولها؛ فانحنى على الفور، لكنه لم ينظر إليها. حدث الأمر نفسه في مساء اليوم الخامس، كما لو كان صدفةً. وقد حدث بشكل طبيعي جدًّا لدرجة أنه لو تكرر هذا الموقف عشرين مرة، لكانت تلك الصدفة ستحدث بنفس الطريقة من التلقائية ودون إثارة أي شك.

كانت دائمًا تقف بالقرب من صبي المصعد، بالقرب من الباب و□يكتور خلفها.

في مساء اليوم السادس لم تكرر الصدفة نفسها، ولكن في اليوم السابع، ظهر □يكتور بينما كان باب المصعد يغلق وأخذ مكانه المعتاد في الجزء الخلفي من المقصورة، وفي الطابق الثالث، نزلت الأميرة باسيليف وذهبت إلى غرفتها على اليمين. تبعها □يكتور، الذي كان يسكن في نفس الجانب، ولكن بعيدًا.

لم تكُن قد خطت عشر درجات في الردهة الفارغة، عندما وضعت يدها فجأة على مؤخرة رأسها، وتوقفت.

كان □يكتور قادمًا خلفها، أمسكت بذراعه بسرعة، ورددت بصوت هائج:

- سيدي، لقد سُرِق مني مشبك من الزمرد، كان هنا في شعري، حدث ذلك في المصعد، آنا متأكدة.

انتابتها رجفة وكان صوتها مضطربًا.

- أنا آسف لحدوث ذلك يا سيدتي.

التقت عيونهما لمدة ثلاث ثوانٍ في صمت، ثم سيطرت على نفسها.

قالت بصوت متهدج:

- سوف أذهب للبحث عنه، لا شك أن المشبك قد سقط مني هناك.

أمسك بذراعها بدوره، وقال لها:

- معذرة يا سيدتي، قبل أن تذهبي لتلقي نظرة، سيكون من الأفضل توضيح نقطة ما، هل شعرت بيد تلمس شعرك؟

- نعم بالفعل، ولكني لم أعِر الأمر اهتمامًا في تلك اللحظة.

- إذن، لم يكُن هناك غيري أنا وصبي المصعد فقط.

- أوه! لا، هذا الصبي لم يكُن يستطيع فعل ذلك.

- لذلك سيكون أنا؟

ساد صمت التقت أعينهما خلاله، وكأنهما يراقبن بعضهما البعض.

تمتمت معتذرة:

- لقد كنت مخطئة بالتأكيد يا سيدي، ربما لم يكُن هذا المشبك في شعري من الأساس، سأبحث عنه فوق مرآة مرحاضي.

- عندما نفترق يا سيدتي، سيكون الأوان قد فات، وسوف يساورك شك حيالي لا يمكنني تحمُّله، فالأفضل الآن أن ننزل معًا إلى مكتب مدير الفندق حيث يمكنك تقديم شكوى.. حتى لو كانت ضدي.

تفكرت قليلًا، ثم قالت:

- لا يا سيدي، لا داعي لذلك. هل تنزل في الفندق؟

- غرفة رقم 345.. السيد ماركوس أفيستو.

مضت في طريقها وهي تكرر هذا الاسم.

ذهب □يكتور إلى غرفته حيث كان صديقه لارمونت ينتظره هناك.

- ماذا حدث؟

قال □يكتور:

- حسنًا، لقد أنجزت الأمر، لكنها انتبهت إلى ما حدث بسرعة، فجرى حديث بيننا على الفور.

- وبعدها؟

- لقد تراجعت.

- تراجعت؟!

- نعم، لم تتابع شكوكها.

أخرج المشبك من جيبه، ووضعه في درج منضدة جانبه، قائلًا:

- هذا بالضبط ما أردت.

- ماذا أردت؟

صاح □يكتور:

- يا إلهي! ألم تفطن إلى هدف خطتي بعد؟

- ليس تمامًا.

- إنها خطة بسيطة جدًّا! أجذب انتباه الأميرة، وأثير فضولها، ومن ثَم تبدأ بيننا صداقة أستطيع خلالها أن أكسب ثقتها، ومن ثَم أستطيع أن أجعلها تُعرِّفني إلى أرسين لوبين.

- ستكون خطة طويلة المدى.

- لهذا السبب أفعل ذلك بخطوات سريعة، لكن اللعنة! الأمر يتطلب الكثير من الحذر والمهارة! يا لها من مناورة مثيرة! فكرة الاقتراب من لوبين، وأن أصبح شريكه، وذراعه اليمنى، حتى يأتي اليوم الذي سيحصل فيه على عشرة الملايين التي يسعى إليها، وعندها سأكون هناك، أنا! □يكتور محقق شرطة الآداب، لقد تملكتني هذه الفكرة تمامًا، بالإضافة إلى... يا إلهي! كم فتنتني تلك الأميرة الغامضة!

- ماذا تقول يا □يكتور؟ هل تهتم لتلك الهذيانات حقًّا؟

- لا، لم أعُد كذلك منذ زمن فات، ولكن هذا لا يمنع أن لدي عينين أستطيع أن أميز بهما الجمال وأقدره، المهم الآن أنني سأعيده إليها بمجرد حدوث رد الفعل الذي أتوقعه، ولن يمضي وقت طويل على حدوث ذلك.

في تلك اللحظة رن جرس الهاتف، أجاب □يكتور على الفور.

- مرحبًا.. نعم، إنه أنا، أهلًا يا سيدتي؟ المشبك؟ وجدتِه.. آه! حسنًا، أنا سعيد حقًّا.. كل احترامي لكِ يا سيدتي.

أغلق الخط وبدأ في الضحك:

- إنها تزعم أنها وجدت المشبك ذا الجوهرة، الموجود في هذا الدرج، في مرحاض غرفتها الخاصة يا لارمونت؛ مما يعني أنها بلا ريب لا تجرؤ على تقديم شكوى؛ لأن ذلك سيجذب الانتباه لها، وتخاطر بفضيحة.

- ومع ذلك، فهي تعلم أن المشبك قد فُقِد.

- بالتأكيد.

- وهي تعتقد أنه سُرِق منها؟

- نعم.

- بواسطتك أنت؟

- نعم.

- إذن فهي تعتقد أنك لص! أنت تلعب لعبة خطيرة يا □يكتور، احذر من الاقتراب أكثر.

- على العكس تمامًا! كلما تقربت منها وسحرني جمالها، زاد غضبي ضد هذا الوغد البائس لوبين، يا له من محظوظ!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٢)

مر يومان لم يرَ □يكتور ألكسندرا باسيليف خلالهما ولا مرة، وعندما سأل عنها؛ تبيَّن أنها لم تخرج من غرفتها قط.

في المساء التالي، حضرت لتناوُل العشاء في المطعم، جلس □يكتور

على طاولة قريبة من طاولتها، ولكنه تجنب أن ينظر إليها، أما هي فلم تستطع تجنُّب رؤيته، كانت ملامحه جادة، وهادئًا جدًّا، مهتمًّا فقط بكأس البورغندي الذي كان يتجرعه في تمهُّل.

كانا يدخنان في نفس القاعة بعد العشاء، ولا يزالان غريبين عن بعضهما البعض. أخذ □يكتور يتأمل كل الرجال الذين مروا أو الجالسين في القاعة من حوله، وحاول أن يميز ما إذا كان من بينهم رجل تنطبق عليه أوصاف أرسين لوبين، لم يكُن هناك مَن يمكن أن يكون أقرب لأناقته، أو ملامحه المتداولة، أو حتى وقاحته وكبريائه، لم يكُن هناك أحد يشبه الشخص الذي كان يبحث عنه في سخط، على أي حال بدت ألكسندرا غير مبالية بكل هؤلاء الرجال أيضًا.

في اليوم التالي، تكرر نفس الحدث، ولكن بعد يومين بينما كانت تهبط لتناوُل العشاء في الطابق السفلي، وجدا نفسيهما معًا في المصعد، لم يبادر أي طرف منهما بأي حركة، كان كل واحد منهما يعتقد أن الآخر لم يرَه.

قال □يكتور لنفسه:

- لا بأس يا أميرة بأن أكون في عينَيكِ مجرد لص بارع، وأن تعتقدي أنه من الطبيعي جدًّا ألا أجرؤ على أن أنبس بكلمة في أثناء القرب منك، لا يهمني ذلك، فقد اتخذت الخطوة الأولى، متى يا تُرَى ستكون الثانية؟ أنني أترقب بفارغ الصبر.

مر يومان آخران دون أحداث تُذكَر، ثم وقع شيء لم يكُن لـ□يكتور أي دخل به بأي شكل من الأشكال، ولكنه لعب دورًا مهمًّا لصالح خطته، ذات صباح في الطابق الأول من الفندق، تم سرقة صندوق يحتوي على ذهب ومجوهرات من أحد نزلاء الفندق، وهي سيدة أمريكية الجنسية.

نشرت صحيفة المساء في ذلك اليوم خبر السرقة، وكشفت عن ظروف الواقعة، والتي تشير إلى أن السارق رجل خبير في مهنته، يعمل بمهارة ورباطة جأش غير عادية.

وجدت الأميرة الطبعة الثانية من هذه المجلة المسائية على طاولتها، نظرت إليها بذهول شارد. قرأت الخبر في الصفحة الأولى، وعلى الفور وجهت نظرها تلقائيًّا نحو □يكتور، وكأنها تقول لنفسها: «هذا هو اللص».

وجَّه إليها □يكتور، الذي لاحظ نظرتها إليه، تحية انحناء خفيفة برأسه، لكنه لم ينتظر لمعرفة ما إذا كانت ستجيب هذا الميل الرصين تجاهها أم لا، فأدار رأسه على الفور، بينما استأنفت قراءتها بمزيد من الاهتمام.

قال لنفسه:

- من المؤكد الآن أنها تعتقد بأنني لص ماهر وتصنفني من فئة اللصوص المخضرمين، لصوص الطبقة الأولى، مَن يسرقون القصور والفنادق، وليس لديَّ شك في أن هذا الخبر أثار انتباهها وستكون الآن معجبة بشجاعتي، فبعد ما حدث ما زلت أجلس في الفندق بكل جرأة.

كان التقارب بينهما حتميًّا، سهَّل □يكتور الأمر من خلال المضي قدمًا ناحية الأميرة، والجلوس على أريكة منعزلة، مقابل الكرسي الكبير ذي الذراعين حيث كانت تجلس.

ظلت مترددة للحظة، ثم جاءت لتجلس جواره على الأريكة، ساد صمت للحظات طويلة بما يكفي لتشعل سيجارتها، وتنفث القليل من الدخان، ثم مدت يدها إلى مؤخرة رأسها مثلما فعلت في تلك الأمسية الأخرى، أخرجت المشبك الذي كان بشعرها قائلة:

- انظر يا سيدي، لقد وجدته مثلما أخبرتك.

- يا إلهي!

قالها □يكتور بنبرة يصبغها الاندهاش، ثم أخرج من جيبه المشبك الذي أخذه وهو يقول:

- لقد ظننت أنني وجدته بدوري أنا أيضًا.

تفاجأت الأميرة من هذه الجرأة، لم تكُن تتوقع هذا الرد الذي كان بمثابة اعتراف، وشعرت ببعض الإهانة بالنسبة لشخصيتها التي اعتادت السيطرة والتحكم دائمًا في مواجهة خصومها، لقد أوضح لها مدى كذبها، وكشف خداعها، استكمل □يكتور حديثه قائلًا:

- عمومًا يا سيدتي، لقد أصبح لديكِ الزوجان الآن، يا لها من خسارة إن لم تُبقِ تلك القطعتين الرائعتين في حوزتكِ!

- نعم، إنها خسارة حقًّا.

قالت باختصار وهي تسحق سيجارتها على منفضة سجائر، وتنهي تلك المحادثة القصيرة بعصبية.

لكنها في اليوم التالي انضمت إلى □يكتور في نفس المكان. ترتدي فستانًا أنيقًا عاري الذراعين والأكتاف، كانت تبدو أكثر طبيعية وأقل تحفظًا، وقالت له بتلقائية بالغة ولهجة نقية جدًّا، بالكاد تخلت عن لكنتها الأجنبية قليلًا:

- لا بد أنك تظنني الآن امرأة غريبة الأطوار، معقدة الفهم إلى حد ما، أليس كذلك؟

أجابها مبتسمًا:

- لستِ غريبة الأطوار أو معقدة أبدًا يا سيدتي، لقد أخبروني أنكِ روسية الجنسية، كما أنكِ أميرة، والأميرات الروسيات في عصرنا هذا لسن مستقرات إلى حد ما.

- نعم، لقد مررت بظروف قاسية للغاية، كانت الحياة صعبة بالنسبة لي ولعائلتي أيضًا؛ لأننا في يوم ما كنا سعداء جدًّا. لطالما أحببت الجميع وكان الجميع يحبونني، نشأت فتاة صغيرة واثقة من نفسها، خالية من الهموم، لطيفة وعفوية، تستمتع بكل شيء ولا تخاف من أي شيء، على استعداد دائمًا

للضحك والغناء واللهو، كنت مخطوبة منذ أن كان عمري خمسة عشر عامًا وبعد ذلك، في وقت لاحق، وفي خضم كل هذه السعادة والحياة الراغدة، جاءت المصيبة فجأة مثل عاصفة جائحة، ذبحوا أبي وأمي أمام عينَيَّ، عذبوا إخوتي وخطيبي حتى الموت، حتى أنا...

مرت بيدها فوق جبهتها، وأخذت نفسًا عميقًا، ثم تابعت حديثها:

- أنا آسفة، دعنا لا نتحدث عن ذلك، لا أريد أن أتذكر، لم أستطِع التعافي أبدًا. في الظاهر، ربما، لكن في أعماقي لم أعرف الهدوء أبدًا، أحيانًا أتساءل هل يمكنني تحمُّل هذا الهدوء على أي حال؟ لا، لقد تجرعت مرارة الخوف والقلق والانفعالات النفسية، فلن أستطيع أبدًا أن أشعر بالراحة.

- بناءً على ما أخبرتِني به الآن، فذكرى هذا الماضي ما زالت ترعبكِ ولا تفارقكِ، ولذلك فأنتِ بحاجة إلى مشاعر قوية؛ لذا، فإذا ما وضع القدر رجلًا نبيلًا في طريقك، ليس متدينًا جدًّا، رجل نبيل نعم، ولكنه خارج عن المألوف، حياته تحفها المخاطر، فإن هذا سيثير فضولك، لقد فهمت الآن، كل شيء يبدو لي طبيعيًّا جدًّا.

- كل شيء يبدو طبيعيًّا؟!

- أوه! يا إلهي! نعم، لقد واجهتِ الكثير من المخاطر وشهدتِ الكثير من اللحظات الحاسمة، تلك اللحظات تقودكِ لتشعري بجو من الدراما من حولكِ، فقد أثار فضولكِ أن تتحدثي مع شخص مُهدَّد بإلقاء القبض عليه في أي لحظة، ولكنكِ تراقبين وجهه بحثًا عن أعراض القلق أو الخوف، فتتفاجئين بأنه ليس كذلك، فمثله مثل أي رجل آخر يدخن سيجارته بكل سرور وصوته لا بأس به.

استمعت إليه بفارغ الصبر دون أن تقاطعه، ونظرت إليه وهي تنحني فوقه، استطرد مازحًا:

- ولكن يا سيدتي، لا تكوني متساهلة جدًّا تجاه هذا النوع من الأشخاص، ولا تري فيهم نماذج إنسانية متفوقة، فهم فقط لديهم جرأة أكثر بقليل من الآخرين، وأعصاب أكثر إحكامًا؛ نظرًا لطبيعة عملهم وحياتهم، مثلًا في تلك اللحظة...

- ماذا هناك في تلك اللحظة؟!

- لا، لا شيء.

- ماذا هناك أرجوك؟

قال بصوت منخفض جدًّا:

- ابتعدي عني قليلًا، هذا أفضل.

- لماذا؟ همست، وهي تمتثل لأمره.

- أترين ذلك الرجل البدين السخيف الذي يرتدي بدلة أنيقة ويمشي هناك جهة اليسار؟

- مَن هذا؟

- شرطي.

- ماذا؟! قالت بذهول.

- إنه المفتش موليون، هو المسئول عن التحقيق في سرقة صندوق المجوهرات، وهو هنا الآن ليستجوب الناس.

كانت تتكئ على الطاولة، ودون أن يبدو أنها تختبئ، أخفت جبهتها بيدها الممدودة، وفي الوقت نفسه كانت تراقب رد فعل □يكتور لترى تأثير اقتراب الخطر عليه.

تمتمت قائلة:

- هيا، اذهب بعيدًا.

- لماذا أذهب؟ لو كنتِ تعرفين فقط مدى غباء هؤلاء الأوغاد!

موليون هذا مثلًا، إنه أحمق لا يفقه شيئًا، لا يُوجَد سوى شخص واحد فقط قد تصيبني القشعريرة إذا ما وجدته هنا.

- مَن هو؟

- رجل يُدعَى □يكتور، من شرطة الآداب.

- □يكتور محقق شرطة الآداب، لقد قرأت اسمه في الصحف.

- هو الذي يحقق مع موليون في قضية سندات الدفاع، وقضية الكوخ، والجريمة البشعة لتلك المسكينة إليز ماسون التي قُتِلت.

لم تتوانَ، وسألت مباشرةً:

- كيف يبدو □يكتور هذا؟

- أقصر مني قليلًا، يرتدي بدلة ضيقة كمدرب السيرك، له عينان ثاقبتان تفحصك من الرأس حتى أخمص القدمين، عيناه مخيفتان حقًّا، أما موليون! انظري إليه، إنه يتطلع ناحيتنا.

في الواقع، جال موليون بعينَيه على كل الحاضرين، ثم استقرتا على الأميرة و□يكتور، وما لبث أن تحول عنهما إلى آخرين، كانت تلك نهاية تفتيشه، وابتعد.

تنهدت الأميرة، بدت منهكة وكأن حملًا ثقيلًا قد أُزِيح من فوق كاهلها:

- وها هو ذا! إنه يتخيل هكذا أنه قد أنجز مهمته، ولم يتمكن أحد من الهروب من تحت عينه الثاقبة، آه! ربما ليس سارق الصندوق هو مَن يبحث عنه اليوم.

- عمن إذا؟

- ربما يبحث عن قاتل الأب ليسكوت أو قاتل شارع دو فوجيرارد، لا يشغل باله سوى هذا الأمر، رجال الشرطة جميعهم مهووسون بالبحث في تلك القضايا.

تجرعت كأسًا من النبيذ، ودخنت سيجارة بيد مرتعشة، وما إن انتهت حتى استعاد وجهها الشاحب الجميل ثقته بنفسه وصفاءه. ولكن كما خمن □يكتور؛ يبدو أن في أعماقها زوبعة من الأفكار.

وعندما همت بالنهوض لتذهب إلى غرفتها، لاحظ لأول مرة بأنها تبادلت بعض النظرات الخاطفة مع شخصين آخرين. جلس اثنان من السادة على مسافة منهما، توقع أن أرسين لوبين يجب أن يكون أحدهما، الأول ذو وجه أحمر، ملابسه مبتذلة نوعًا ما، إنجليزي ربما، وقد رآه □يكتور بالفعل في الفندق من قبل، أما الآخر فلم يرَه من قبل، كانت تنطبق عليه أوصاف أرسين لوبين، تبدو عليه الأناقة والثقة، كان يضحك مع رفيقه في ابتهاج ومرح، وفي نفس الوقت كانت تبدو عليه دلائل الصلابة والقوة.

مرة أخرى ألقت الأميرة ألكسندرا نظرة تجاههما، ثم أدارت رأسها وابتعدت، وبعد خمس دقائق، قام الرفيقان بدورهما. في الردهة وأمام البهو الداخلي للفندق، أشعل الأصغر سنًّا سيجارًا حتى تم إحضار قبعته ومعطفه، وغادر الفندق، بينما مشى الإنجليزي باتجاه المصعد ليذهب إلى غرفته، جلس □يكتور، وقال للنادل:

- ما اسم السيد الذي صعد للتو؟ إنه إنجليزي، أليس كذلك؟

- السيد من الغرفة رقم 337؟

- بلى.

- السيد بيميش.

- هل كان هنا منذ فترة طويلة؟

- نعم، ربما أسبوعين.

إذن كان هذا الرجل يقيم في الفندق في نفس الوقت الذي تقيم فيه الأميرة باسيليف، وفي نفس الطابق أيضًا.

في تلك اللحظة بدلًا من الانعطاف يسارًا للذهاب إلى الغرفة رقم 337، استدار الرجل يمينًا للانضمام إلى ألكسندرا في غرفتها.

مر □يكتور أمام غرفة نومها خفية، وعندما وصل إلى غرفته ترك الباب مواربًا، وانتظر لعله يستمع إلى أي حركة بالخارج، ومع طول الانتظار ذهب إلى الفراش، وكان مزاجه سيئًا للغاية، لم يكُن لديه شك في أن رفيق الرجل الإنجليزي بيميش ما هو إلا أرسين لوبين، عشيق الأميرة ألكسندرا. كان هذا بالتاكيد تقدمًا هائلًا في التحقيق الصعب الذي كان يتابعه، ولكن في الوقت نفسه، كان على □يكتور أن يعترف بأن هذا الرجل كان شابًّا حسن المظهر. وقد أغضبه ذلك كثيرًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

(٣)

استدعى □يكتور لارمونت بعد ظهر اليوم التالي، وقال له:

- هل أنت على اتصال مع موليون؟

- نعم.

- هو لا يعرف أين أنا؟ أليس كذلك؟

- بلى.

- هل جاء الليلة الماضية لمتابعة الاستجواب في قضية صندوق المجوهرات؟

- نعم، إن السارق هو حامل حقائب يعمل في الفندق، ونحن متيقنون أن لديه شريكًا من الخارج، وقد هرب بعيدًا. ولكن موليون مشغول للغاية بمهمة أخرى، بعيدة تمامًا عن قصة صندوق المجوهرات، يتعلق الأمر بمحاصرة ملهى ظهر اليوم، حيث تجتمع عصابة أرسين لوبين، يخططون لعملية عشرة الملايين التي ذكرها في رسالته.

- أوه! أوه! وعنوان هذا الملهى؟

- لقد تعهد موليون بمعرفته، سوف يحصل عليه في أي لحظة الآن.

أخبر □يكتور لارمونت بما كان يجري في الفندق مع ألكسندرا باسيليف، وتحدَّث معه عن الإنجليزي بيميش، فقال له:

- يبدو أنه يخرج كل صباح على ما يبدو، وعادةً لا يعود حتى المساء. ستتأكد من ذلك بنفسك، حتى ذلك الحين، أريدك أن تفتش غرفته.

- غير ممكن! سيستغرق الأمر بعض الأوامر من شرطة المقاطعة، مذكرة بالتفتيش.

- لا مزيد من هذا الهراء! إذا تدخلت شرطة المقاطعة، سيخرب كل شيء! لوبين رجل ذكي مختلف عن البارون أوتري أو غوستاف جيروم، وأنا وحدي مَن يجب أن أعتني به، لقد أصبح هدفي في الحياة أن أُلقِي القبض عليه، وأن أسلمه بيدي إلى العدالة، فهذه قضيتي أنا دون غيري.

- إذن؟

- اليوم هو يوم الأحد، عدد الموظفين محدود، فلو توخيت الحذر لن يلاحظك أحد، في أسوأ الحالات إذا ما تم كشفك، ستُظهِر بطاقتك وسيدركون أنك ضابط شرطة، بقي أمر واحد: مفتاح الغرفة.

أخرج لارمونت من جيبه سلسلة مفاتيح كاملة، وقال وهو يضحك ساخرًا:

- إنه أمر بسيط، فعلى الشرطي الجيد أن يكون ماهرًا في تلك الأمور؛ كالسارق تمامًا، بل أكثر مهارة، إنها 337، أليس كذلك؟

- بلى، احرص على أن تعيد كل شيء لمكانه، يجب ألا ينتاب الإنجليزي أي شك.

من خلال الباب نصف المفتوح، شاهده □يكتور يمشي بعيدًا، حتى نهاية الرواق ثم توقف، فتح باب الغرفة ودخل.

مرت نصف ساعة، وبعدها عاد لارمونت:

- كنت على صواب بالتأكيد؟ قالها عند عودته وهو يغمز لـ□يكتور بعينه.

- ماذا وجدت؟

- وسط كومة من القمصان، وجدت وشاحًا، وشاحًا برتقاليًّا به خطوط خضراء، مجعدًا للغاية.

ذُهِل □يكتور قائلًا:

- وشاح إليز ماسون! لم أكن مخطئًا.

- يبدو أن هذا الإنجليزي يعمل مع الأميرة الروسية، فهذا دليل ثانٍ على أنها هي التي أتت إلى شارع دي فوجيرارد، إما بمفردها أو مع بيميش.

لقد بات الدليل رسميًّا، لا يمكن تفسير الأمر بأي صورة أخرى، لم يعُد هناك أدنى شك بأن تلك الأميرة الروسية هي قاتلة إليز ماسون.

قبل العشاء بقليل، نزل □يكتور إلى الشارع، وقام بشراء الطبعة الثانية من جريدة المساء، وقرأ في الصفحة الأولى ما يلي:

«أُعلِن في الساعة الماضية، أنه بعد ظهر اليوم أحاط المحقق موليون، وثلاثة من مساعديه حانة في شارع ماربوف، حيث يلتقي عدد قليل من المحتالين الإنجليز، وقد علموا من مصادر خاصة بأن هؤلاء الرجال يشكلون أفراد إحدى العصابات الدولية الخطيرة، كانوا يلتفون حول طاولة وقت الهجوم، تم إلقاء القبض على ثلاثة، بينما تمكن اثنان منهم من الفرار من الباب الخلفي، وقد أُصِيب أحدهم بجروح خطيرة إلى حد ما، تشير بعض الدلائل إلى أن أرسين لوبين هو واحد منهم، نحن في انتظار ضباط الشرطة المتنقلة الذين رصدوه مؤخرًا في ستراسبورغ في تنكُّره الجديد، لنتأكد من أنه أحد المقبوض عليهم، فكما نعلم الملف الخاص لقياسات وأوصاف أرسين لوبين تمت سرقته من إدارة تحديد الهوية، ولا وجود له».

ارتدى □يكتور ملابسه، وهبط إلى المطعم، لاحظ أنه فوق طاولة ألكسندرا باسيليف كانت هناك نسخة من جريدة المساء، وصلت متأخرة وبدت وكأنها لا تعرف شيئًا بعد، ولا تشعر بالقلق بأي حال من الأحوال. لم تفتح الجريدة حتى نهاية الوجبة، ثم قامت بقراءة الصفحة الأولى، على الفور مالت برأسها وتململت في كرسيها. استكملت القراءة، وعندما وصلت للسطر الأخير، اعتقد □يكتور أنها ستصاب بالإغماء. دفعت جريدتها في لا مبالاة نحو الطاولة مرة أخرى، ولم تنظر مرة واحدة إلى □يكتور، كانت تعتقد أنه لم يلاحظ أي شيء.

كان الإنجليزي بيميش موجودًا في المطعم، هل كان أحد أفراد العصابة الذين هربوا من موليون في تلك الحانة في شارع ماربوف القريب جدًّا من الفندق؟ وهل سيبلغ الأميرة باسيليف أي أخبار عن

آرسين لوبين؟

صعد □يكتور قبله وذهب إلى غرفته، لكنه بقي مختبئًا خلف باب الغرفة الموارب ليراقب الموقف، رأى الأميرة تأتي أولًا، كانت تنتظر خارج غرفتها بجزع وتوتر، لم يمضِ وقت طويل حتى خرج الإنجليزي من المصعد. جال بعينَيه في الرواق، ثم بسرعة ركض نحوها.

تبادلا بضع كلمات؛ انفجرت الروسية ضاحكة على إثرها، ثم ابتعد الرجل. عرف □يكتور من ذلك اللقاء القصير أن أرسين لوبين ما زال بخير.

وأكدت تصريحات الشرطة اللاحقة أنه لم يتم التعرف إلى أرسين لوبين بين المعتقلين الثلاثة. كانوا روسيي الجنسية، اعترفوا بمشاركتهم في بعض السرقات التي ارتُكِبت في الخارج، لكنهم تظاهروا بعدم معرفة أسماء قادة العصابة الدولية التي يعملون لصالحها، أما بالنسبة لرفيقَيهما الهاربين، كان أحدهما إنجليزيًّا. بينما الآخر كانوا يرونه للمرة الأولى، ولم يتحدث بكلمة واحدة خلال الاجتماع. لا بد أنه هو الذي أُصِيب، تطابق وصفه مع وصف الشاب الذي رآه □يكتور في الفندق مع بيميش.

لم يستطِع الروس الثلاثة قول المزيد، من الواضح أنهم كانوا متواطئين معًا في الاتفاق على تلك الاعترافات.

تم تسليط الضوء على حقيقة واحدة فقط تم نشرها بعد ثماني وأربعين ساعة، كان أحد الروس الثلاثة عشيقًا سريًّا لإليز ماسون، وكان يتلقى منها أموالًا في الخفاء.

وجدنا رسالة بحوذته من إليز ماسون كتبتها له قبل موتها بيومين:

«إن البارون أوتري العجوز في طريقه للحصول على صفقة ضخمة، سيجني من خلفها أموالًا طائلة، إذا تمت هذه الصفقة بنجاح؛ سيأخذني في اليوم التالي إلى بروكسل، ستنضم إليَّ هناك بالتأكيد، أليس كذلك يا حبيبي؟ وعند أول فرصة تسنح لنا، نستطيع الفرار بهذا المبلغ الضخم.. أحبك!».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل السادس

سندات الدفاع

(١)

ظل حادث شارع ماربوف يؤرق □يكتور، فعندما كان يحقق في قضية الكوخ، وجريمة شارع دي فوجيرارد، لم يكن مهتمًّا إلا بما يتعلق بأرسين لوبين، لقد أصبح هذا الوغد ضالته هو، وعليه وحده أن يتولى التحريات الخاصة بتلك العصابة، وخاصة الأميرة باسيليف والإنجليزي بيميش؛ لذلك انزعج كثيرًا عندما تدخلت الشرطة في تلك القضية. دفعته هذه الاعتبارات إلى ضرورة إلقاء نظرة فاحصة على ما كان يحدث في شارع أورفيفر، ومحاولة اكتشاف خطة موليون، وقد وضع في اعتباره أن ألكسندرا وبيميش ليسا من الحماقة لكي يخرجا من غرفهما لفترة، وذلك تجنبًا للمخاطر والشكوك، مشى إلى المرآب القريب حيث كانت سيارته مركونة بعيدًا، أدار محركها، وقاد حتى وصل إلى ركن معزول في الغابة، تأكد من أنه لا أحد يتبعه، ثم أخرج ملابسه من صندوق السيارة، أزال تنكره وعاد المحقق □يكتور مرة أخرى.

شعر □يكتور، من خلال الترحيب والابتسامة المتكلفين للمحقق موليون، بموقفه الضعيف، قال موليون في سخرية:

- حسنًا يا □يكتور، بماذا سوف تمدنا اليوم؟ ليس الكثير، أليس كذلك؟ أنا لا أسألك شيئًا، فأنا أعلم أنك شخص متوحد وكتوم، فكلٌ منا لديه طريقته الخاصة في العمل، أنا مثلًا أعمل في وضح النهار كما ترى، لقد مررت بنجاح عظيم، ما رأيك بعمليتي الأخيرة بشارع ماربوف؟ ثلاثة رجال من العصابة، وسينضم إليهم رئيسهم قريبًا، وأنا أقسم على ذلك، لقد فلت مني هذه المرة، ولكن بقي بعصابته مَن تم إثبات علاقته بإليز ماسون، والآن إليز ماسون بنفسها، من أعماق قبرها، تتهم البارون أوتري، ولن أخبرك لأي مدى كان السيد غوتييه مدير الشرطة سعيدًا بتلك النتائج.

- وقاضي التحقيقات؟

- السيد فاليدو؟ لقد أخذته الشجاعة وقرر أن يواجه البارون أوتري برسالة إليز ماسون الرهيبة، أنت تعرفها بالتاكيد: «أوتري العجوز يخطط لصفقة كبيرة...». لا يُوجَد دليل أبلغ من ذلك، دعنا نذهب لرؤيته الآن، لقد جئت في موعدك.

حين وصلوا إلى مكتب القاضي وجدوا البارون أوتري والسيد جيروم هناك، اندهش □يكتور من منظر البارون كثيرًا، والذي كان مُدمَّرًا بالفعل في وقت الاعتقال، وقد تعرَّض لمزيد من التعب وبدا عليه الإرهاق والألم النفسي، كان غير قادر على الوقوف، وظل مستلقيًا شاردًا فوق كرسي.

كانت مواجهة السيد فاليدو عنيفة؛ إذ ألقى رسالة إليز ماسون دفعة واحدة على مسمع البارون، وعلى الفور وفي مواجهة رعب السجين الهائل، زادت نبرته قسوةً وهو يقول:

- أنت تفهم ماذا يعني ذلك، أليس كذلك يا أوتري؟ اسمح لي أن أوضح الأمر قليلًا؟ في مساء يوم الاثنين لعبت الصدفة دورها في أن تصبح سندات الدفاع بين أيدي الأب ليسكوت، مساء الأربعاء، وهو اليوم السابق للجريمة، كتبت إليز ماسون، عشيقتك التي تقضي كامل نهارك معها، والتي لا تُخفِي عنها سرًّا من أسرارك، إلى عشيقها المحتال الروسي، أن أوتري العجوز مُقدِم على صفقة هائلة، إذا نجحت سوف نذهب معًا إلى بروكسل، إلخ. يوم الخميس ارتكبت الجريمة وسرقت

السندات، ويوم الجمعة تم رؤيتك آنت وعشيقتك المغدور بها بالقرب من محطة الشمال مع الحقائب التي وجدناها في منزلها بعد يومين! أليست القصة واضحة، وبأدلة دامغة أيضًا؟ اعترِف بذلك أيها البارون أوتري. لماذا تنكر ما هو واضح بشدة؟

كان يبدو على البارون في تلك اللحظة أنه سيُصاب بالإغماء، تقلصت ملامح وجهه، وبدأ يثرثر بكلمات متلعثمة لا يمكن فهمها سوى أنها بداية اعتراف ما، ولكنه طالَب بمسك الرسالة قائلًا:

- أعطِها لي، لا أستطيع أن أصدق، أريد أن أقرأ بنفسي.

قرأ الخطاب، ثم تمتم:

- العاهرة! لها عشيق آخر! إليز تفعل ذلك؟! لقد انتشلتها من الوحل التي كانت غارقة به، وبعد كل ذلك كانت ستهرب معه؟!

لم يرَ من الخطاب سوى تلك النقطة فقط، هذه الخيانة، خطة الهروب مع شخص آخر. أما بالنسبة للبقية، السرقة والجريمة، لم يبالِ لها إطلاقًا.

صاح السيد فاليدو:

- أنت معترف، أليس كذلك يا أوتري؟ أنت مَن قتل الأب ليسكوت؟

لم يجد جوابًا، ظل متشبثًا مرة أخرى بصمته، محطمًا تحت

أنقاض تلك العاطفة الكاذبة التي كرسها لهذه الفتاة.

توجه السيد فاليدو إلى جيروم قائلًا:

- بما أنك كنت مشتركًا في تلك القضية المستعصية؛ يمكنك أن تخبرنا بالحقيقة.

لكن غوستاف جيروم، الذي بدا أنه لم يتأثر بأي شكل من الأشكال بسجنه، فما زال يحتفظ بحمرة وجهه وكبريائه، اعترض بنبرة قوية:

- لم أشارك في أي شيء على الإطلاق! لقد عدت إلى المنزل وأويت إلى فراشي عند منتصف الليل.

- ومع ذلك، لديَّ اعتراف جديد من البستاني الخاص بك ألفريد، فهو لا يؤكد فقط أنك لم تعُد إلا قرابة الساعة الثالثة فجرًا، لكنه يعترف أنه في صباح يوم القبض عليك وعدته بمبلغ خمسة آلاف فرنك إذا قال إنك عدت قبل منتصف الليل.

ارتبك غوستاف جيروم للحظة، ثم صاح ضاحكًا بسخرية:

- حسنًا.. نعم، هذا صحيح، اللعنة! لقد سئمت من مضايقات رجال الشرطة، فطلبت منه أن يفعل ذلك لأتخلص من كل وجع الرأس هذا.

- إذن فأنت تقر بأن هناك محاولة رشوة منك تُضاف إلى كل التهم التي تورطت بها؟

امتثل جيروم بثبات أمام السيد فاليدو قائلًا:

- ماذا الآن؟ فهل أنا مَن يمتلك سلاح القاتل السيد أوتري ويجب عليَّ أن أستسلم تحت وطأة الندم مثلما يفعل؟

كانت ملامح وجهه توحي بالعند والثبات، تدخَّل □يكتور يطلب الإذن من قاضي التحقيق:

- سيدي القاضي، هل تسمح لي بتوجيه سؤال إلى المتهم؟

- تفضل.

- أود أن أعرف، بناءً على الجملة الأخيرة التي نطق بها المُدعَى عليه للتو، هل السيد غوستاف يعُد البارون أوتري مذنبًا بقتل الأب ليسكوت؟

قام جيروم بإيماءة توحي باستعداده للتعبير عن رأيه، لكنه تراجع، وقال ببساطة:

- هذا لا يشغلني، دع العدالة تأخذ مجراها.

قال □يكتور:

- أنا أصر، وإذا رفضت الإجابة؛ فذلك يدل أن لديك أسبابًا تمنعك من الكشف عن رأيك.

كرر جيروم:

- دع العدالة تأخذ مجراها أيها المحقق.

في ذلك المساء، حاول ماكسيم أوتري الانتحار عن طريق ضرب رأسه بجدار زنزانته؛ فكان على رجال الشرطة أن يمنعوه بالقوة من إيذاء نفسه، وألبسوه ثياب المجانين، كان يصرخ:

- عاهرة! بائسة! ومن أجلها أنا هنا.. آه! يا للقذارة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٢)

قال موليون لـ□يكتور:

- بالنسبة إلى هذا الرجل هنا، فقد استنفد قواه، لن يمر أربع وعشرون ساعة قبل أن يعترف، خطاب إليز ماسون، الذي وجدته، سيُعجِّل من تجاوُبه معنا.

قال □يكتور:

- دون شك، وعن طريق شركائه الروس الثلاثة، سوف تستطيع الوصول إلى لوبين.

قال هذه الكلمات دون أن يُلقِي لها بالًا، ولكن لفت انتباهه بقاء موليون صامتًا، فقال مرة أخرى:

- أليس هناك جديد من تلك الجهة؟

لكن موليون ادعى عبثًا أنه لا يريد أن يفصح عن خططه، قال □يكتور بينه وبين نفسه: «الوغد يعلن صراحةً أنه لا يثق بي».

منذ تلك اللحظة راقبا الاثنان بعضهما البعض بتوجس وقلق، كان كلاهما يشعر بالغيرة على حد سواء، كونهما رجلين يعلمان بأن مصيرهما على المحك، وكل منهما محبط تجاه ما حققه الآخر من غنائم في عمله.

قضيا معًا يومًا طويلًا في جاراش، يقسمان وقتهما في استجواب زوجات المتهمين.

لدهشته الكبيرة، وجد □يكتور غابرييلا أوتري زوجة البارون أكثر شجاعة وصلابة، هل كان ذلك نتيجة إيمان المرأة وقوة ارتباطها بواجباتها الدينية، وحرصها على الذهاب للكنيسة؟ هل حثتها هذه الأزمة التي مرت بها على زيادة إيمانها وأعمالها الخيرية؟ لم تعُد مختبئة دائمًا داخل منزلها كما كانت من قبل؛ فبعد أن طردت خادمتها، أصبحت تتسوق بنفسها، ورأسها مرفوع، غير مبالية للعلامات الزرقاء والصفراء البادية على وجهها نتيجة ضربات زوجها، والتي لا يمكن تفسيرها.

ظلت تردد:

- إنه بريء أيها المحقق، لقد سيطرت عليه تلك الباغية، ووقع في شباكها بكل سذاجة، فأنا أعرفه جيدًا، لطالما أحبني بعمق.. نعم، نعم، ما زلت أؤكد ذلك ربما أكثر من ذي قبل.

فحصها □يكتور بعيونه الثاقبة، أعرب وجه الزوجة المكتظ عن مشاعر مختلطة وغير متوقعة، فعيناها مليئتان بالفخر، والانتصار، والحنان الجارف لزوجها المذنب، فعلى الرغم من تورُّطه في الكثير من المصائب؛ فإنه لا يزال رفيق حياتها.

أما بالنسبة لهنرييت جيروم فقد أرهقت نفسها بالصراخ والجدال في صيحات نارية يملؤها اليأس والألم:

- غوستاف؟ إنه مثال للصراحة والأمانة أيها المحقق، فبرغم كل ما حدث، فأنا أعلم جيدًا أنه لم يتركني طوال الليل! نعم، أعلم أنني تفوهت ببعض الحماقات حقًّا، ولكن كلها كانت بدافع الغيرة ليس

إلا.

مَن كان يكذب بينهما؟ لا أحد؟ أو ربما كلاهما؟ كان □يكتور شغوفًا بقوة ملاحظته لانفعالات الأشخاص وتتبُّع ردود أفعالهم، وهو بالفعل ما كان يبرع فيه، أدرك من خلال ذلك أن الأحداث الحقيقة قد بدأت في الظهور شيئًا فشيئًا، وسوف تبدأ الحقيقة بالفعل بكشف نفسها تلقائيًّا. وأخيرًا، قرر الذهاب إلى الشقة في شارع دو فوجيرارد بمفرده؛ لأن التحقيق ورؤية الأحداث من تلك الزاوية ستقود موليون بالتأكيد نحو ألكسندرا ونحو لوبين.

كان هناك جنديان من رجال الشرطة يقفان أمام باب الشقة، وبمجرد أن فتح □يكتور الباب، رأى موليون يفتش الخزائن.

صاح موليون بنبرة متغطرسة:

- ها أنت ذا، لقد كانت فكرتك منذ البداية أن نأتي إلى هنا، ربما يكون هناك شيء يمكن استخلاصه من هذا الجانب، أليس كذلك؟ آه! بالمناسبة، أحد المفتشين يقول إنه يوم وقوع الجريمة، عندما أتينا كلانا إلى هنا، كان هناك عشرات الصور الفوتوغرافية، ويتذكر أنك قمت بفحصها.

قال □يكتور بلا مبالاة:

- إنه مخطئ.

- شيء آخر، إليز ماسون كانت ترتدي دائمًا وشاحًا برتقاليًّا وأخضر في المنزل، لا شك أن هذا الوشاح هو ما تم خنقها به، ألم ترَه بالصدفة؟

وجَّه عينَيه إلى □يكتور متفحصًا رد فعله، فأجاب بنفس اللا مبالاة:

- لم أرَه.

- ألم تكُن ترتديه قبل ساعات قليلة من موتها، عندما كانت برفقة البارون هنا معك؟

- لم أرَه، ماذا قال هو عنه؟

- لا شيء.

تذمر موليون:

- شيء غريب!

- ما الشيء الغريب؟

- ألم تقابل أي صديقة لإليز ماسون؟

- صديقة؟

- تم إخباري عن الآنسة أرماندي دوتريك. ألا تعرفها؟

- بلى.

- استجوبها أحد رجالي، وقالت إنه قد تم استجوابها بالفعل من قِبَل رجل من الشرطة، اعتقدت أنه أنت.

- لست أنا.

من المؤكد أن حضور □يكتور قد أثار غضب موليون، فبادره بتلك الأسئلة ليربكه، ومع ذلك لم يبتعد □يكتور، استطرد موليون حديثه قائلًا:

- سوف يأتونني بها في أي لحظة.

- بمَن؟

- تلك الفتاة، أنصِت! إنني أسمع خطى أقدام.

لم يتأثر □يكتور، هل كل ترتيباته وخططه لمنع زملائه من أن يقحموا أنوفهم في هذا الجزء من القضية، سيتم كشفها الآن علانية؟ وهل سينجح موليون في كشف الشخصية الحقيقية لسيدة سينما بلازار؟

لو كان موليون ذكيًّا بما فيه الكفاية؛ كان ليراقب رد فعل □يكتور بدلًا من التطلع إلى الفتاة التي دخلت من الباب المفتوح، لكن هذه الفكرة جاءته بعد فوات الأوان. فبنظرة واحدة، أمر □يكتور الشابة بالتزام الصمت، ارتبكت في البداية، وظلت مترددة لحظات، ثم فهمت. ومن هنا، بدأت اللعبة وكانت معظم إجاباتها مبهمة للغاية: «نعم بالتأكيد كنت أعرف تلك المسكينة إليز، لكنها لم تكُن تأتمني على أسرارها، لا أعرف أي شيء عنها ولا عن الأشخاص الذين ترتبط بهم، وشاح برتقالي وأخضر؟ مجموعة صور فوتوغرافية؟ لا أعرف شيئًا عن ذلك».

عاد الشرطيان إلى مبنى شرطة المقاطعة، ظل موليون في حالة من الغضب، ولكنه بقي صامتًا، وعندما وصلا، قال □يكتور بصوت مرِح:

- لقد حان الوقت لأودعك، سأرحل.

قال موليون:

- حقًّا! أوه لقد نسيت أن أخبرك أن المدير يريد التحدث إليك.

- لماذا؟

- بخصوص السائق، الشخص الذي قاد البارون أوتري من محطة الشمال إلى محطة سان لازار. لقد وجدناه.

- يا إلهي! لماذا لم تخبرني من قبل؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

(٣)

صعد الدرج على عجل بمجرد أن علم تلك المعلومة، تبعه موليون، ودخلا مكتب المدير، قال □يكتور:

- هل بالفعل وجدتم السائق يا سيدي؟

- نعم، ألم يخبرك موليون؟ إنه اليوم فقط عندما رأى السائق صورة البارون أوتري في إحدى الصحف، قرأ أن الشرطة تبحث عن السائق الذي قاد البارون من محطة إلى أخرى يوم الجمعة؛ أي اليوم التالي لوقوع الجريمة، من ثَم جاء إلى هنا ليدلي بشهادته، لقد واجهناه بـالبارون الذي عرفه على الفور، كما أن السيد فاليدو استجوبه.

- هل قاد البارون إلى المحطة مباشرةً؟

- لا.

- هل نزل في الطريق؟

- لا.

- ماذا حدث إذن؟

- لقد قاده من محطة الشمال، ثم أمره بأن يذهب إلى ميدان إيتوال ويقوم بجولة كبيرة حوله، لم يفهم السائق سبب تلك الجولة عديمة الفائدة، وفي النهاية قاده إلى محطة سان لازار.

- ليست عديمة الفائدة؟ تمتم □يكتور، ثم سأل:

- أين هذا السائق؟

- هنا في المكتب المجاور. فقد أبقيت عليه كما أخبرتني؛ أملًا في أنه ربما يساعدك في أثناء تحقيقك في الحصول على السندات.

- ألم يتحدث إلى أحد منذ وصوله؟

- لا أحد سوى السيد فاليدو.

- ما اسمه؟

- نيكولاس، إنه شاب صغير السن لا يمتلك سوى تلك السيارة التي جاء بها إلى هنا، إنها في الفناء الخارجي.

غرق □يكتور في تفكير عميق، وجَّه إليه رئيسه، وكذلك موليون، نظرات يملؤها الفضول، لدرجة أن السيد غوتييه صاح:

- ماذا هناك يا □يكتور، هل هناك أمر جاد من شأنه أن يفيدنا في تلك القصة؟

- قطعًا.

- هل أنت متأكد؟

- لا يمكن للمرء أن يكون متأكدًا من تأويله إلا عندما يعتمد على المنطق.

- المنطق فقط؟

- في عملنا هذا يا سيدي، كل ما نقوم به يعتمد كليًّا إما على المنطق أو على الصدفة.

- يكفي كلامًا عشوائيًّا يا □يكتور. اشرح لنا الأمر.

- ليس شرحًا مطولًا، يكفي بضع كلمات.

وبدأ في توضيح الأمر بهدوء:

- نحن نتبع سندات الدفاع من ستراسبورغ حتى حادثة الكوخ؛ أي حتى الليلة التي وضعها فيها أوتري في جيبه، لديَّ بعض التخيلات عما حدث بعد ذلك، لن أطيل عليك يا سيدي، وصل أوتري إلى منزل عشيقته صباح يوم الجمعة وبحوذته ما نهب، بالإضافة إلى الحقائب المجهزة، ثم توجه العشيقان إلى محطة الشمال، وبينما هما ينتظران ميعاد وصول القطار، ولسبب نجهله حتى الآن قاما بتغيير رأيهما، وغادرا المحطة في تمام الخامسة وخمس وعشرين دقيقة، أرسل عشيقته إلى منزلها ومعها الحقائب، واستقل سيارة أجرة إلى محطة سان لازار؛ ليلحق بقطار السادسة إلى منزله، خلال ذلك الوقت قرأ صحيفة المساء، وعرف أنه من المشتبهين بهم وأن الشرطة تتربص له في محطة جاراش، هل سيغامر ويصل إلى المحطة ومعه سندات الدفاع؟ بالتأكيد لا، وبناءً على تلك الفرضية؛ فمن المؤكد أنه قد أودع غنيمته في مكان ما آمن بين الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة حتى الساعة السادسة.

- لكن السيارة لم تتوقف في أي مكان.

- ولذلك فلا بد أنه اختار إحدى الطريقتين التاليتين؛ إما أن ينسجم مع السائق ويبرم معه اتفاقًا ليعهد إليه بالسندات...

- غير ممكن!

- أو أن يتركها بالسيارة.

- مستحيل!

- لماذا؟

- لأن الوافد الأول كان سيأخذها! لا أحد يترك مليون جنيه على مقعد سيارة أجرة.

قال المحقق موليون بنبرة ساخرة:

- من المستحيل إخفاؤها هناك، لديك خيال واسع □يكتور.

على عكس السيد غوتييه الذي تساءل في جدية:

- كيف تستطيع إخفاء شيء كهذا في هذا المكان؟!

- عن طريق فك عشرة سنتيمترات من طرف الوسادة من الأسفل، ثم إعادة تخييطه.

- الأمر يتطلب بعض الوقت.

- تمامًا يا سيدي، وهذا هو سبب قيام أوتري بما وصفته منذ قليل بجولة غير ضرورية، ثم عاد إلى جاراش، مطمئنًا إلى أمان وديعته، وقرر الحصول على السندات فور انقضاء تلك الفترة الحرجة.

- ومع ذلك فقد كان يشعر بأنه مشتبه به.

- نعم، لكنه لم يكُن يتخيل حجم وخطورة التهم التي أُلقِيت على كاهله دفعة واحدة، ولم يتنبأ بتطور الوضع بهذه السرعة.

- ثم؟

- الآن سيارة السائق نيكولاس في الفناء الخارجي، حيث سنجد سندات الدفاع.

هز موليون كتفَيه بسخرية. لكن المدير، الذي اندهش بشدة من تفسير □يكتور دعا السائق نيكولاس على الفور، ثم طلب منه أن يقودهم إلى سيارته بالخارج، كانت سيارة كوبيه قديمة، باهتة اللون، مغطاة بقشور الطلاء، تبدو لحالتها البائسة وكأنها شاركت في معركة مارن ([5]).

- هل عليَّ تشغيلها؟ قال السائق نيكولاس.

- لا يا صديقي.

فتح □يكتور أحد الأبواب، وأمسك بالوسادة اليسرى، قلبها وفحصها.

ثم وسادة على اليمين، كان هناك شيء غير طبيعي داخل القماش أسفل هذه الوسادة بمحاذاة الإطار الجلدي يزيد طوله على عشرة سنتيمترات، كما كان هناك رتق تم باستخدام خيط رمادي غامق، وهو رتق غير منتظم، تمتم غوتييه:

- يا إلهي!

قام □يكتور بسحب سكينة صغيرة من جيبه وقطع الخيوط، ثم قام بتوسيع الشق.

وأدخل إصبعه في شعر الخيل داخل الوسادة، وبعد أربع أو خمس ثوانٍ، صاح قائلًا:

- إنها هناك.

وبسهولة كان قادرًا على استخراج ورقة واحدة بدلًا من السندات، فلتت منه صرخة غضب، كانت بطاقة من أرسين لوبين تحمل هذه الكلمات:

«أعتذر منكم، لقد سبقتكم، مع خالص تحياتي».

اجتاحت موليون نوبة من الضحك، وهو يقول بنبرة دهاء:

- يا إلهي! كم هو أمر مضحك! الحيلة القديمة لصديقنا لوبين الذي يعاود الظهور مجددًا وبكل قوة! قطعة من الورق المقوى بدلًا من تسعمئة ألف فرنك! ضربة حظ قذرة للوبين مرة أخرى! لقد أضعت وقتنا هباءً يا □يكتور، تبدو سخيفًا للغاية الآن.

- لست أوافقك الرأي على الإطلاق يا موليون -اعترض السيد غوتييه- تلك الحادثة تثبت أن □يكتور كان بعيد النظر بشكل هائل، فقد صدق حدسه تمامًا، وأنا مقتنع بأن الجمهور سيعتقد ذلك أيضًا.

قال □يكتور بهدوء شديد:

- تلك الحادثة تثبت قوة ومهارة خصمي أيضًا يا سيدي، فإذا كنت بعيد النظر وصادق الحدس، فهو بالتأكيد أكثر مني؛ لأنه سبقني بمفرده، ولم يكُن تحت تصرُّفه جميع مساعدات الشرطة مثلي.

- آمل ألا تستسلم يا □يكتور.

ابتسم □يكتور، وقال:

- إنها مسألة وقت، ليس إلا يا سيدي، أسبوعين على الأكثر وسيقع تحت يدَيَّ.

ثم توجه إلى موليون:

- عليك بالإسراع أيها المحقق موليون، إذا كنت لا تريدني أن أحرق خططك.

ضم قدمَيه وألقى تحية عسكرية لرئيسه، ثم استدار وابتعد عن المكان بطريقته الصلبة والمتزمتة.

تناول العشاء في منزله، واستغرق في نوم هادئ وعميق حتى صباح اليوم التالي، روت الصحف المغامرة بكامل تفاصيلها التي قدَّمها لهم بالطبع المحقق موليون، كما أضاف رأي المدير فيما يتعلق بالإنجاز الرائع الذي قام به المحقق □يكتور محقق شرطة الآداب.

ولكن، من ناحية أخرى أيضًا، وكما توقع □يكتور، كم كان هذا الحدث يصب في مصلحة أرسين لوبين! فكم من مقالات مادحة في قوة ملاحظته ومهارته! مقالات عن الجرأة غير المتوقعة دائمًا للمغامر الشهير! العقلية الإجرامية الرائعة في حل هذا اللغز العظيم!

تمتم □يكتور بغل دفين:

- سوف أنال من لوبين خاصتكم هذا في أسرع وقت.

في نهاية اليوم علموا بانتحار البارون أوتري، فخبر اختفاء السندات، اختفاء هذه الثروة، التي كان يتوقع أن ينعم بها كونها تعويضًا عن عذابه الحالي، قد دمره، تمكن منه اليأس والإحباط؛ فاستلقى في سريره، في مواجهة الحائط، وقطع عروق معصمه بقطعة من الزجاج، ومات دون أن يشعر به أحد، كان هذا الانتحار بمثابة الاعتراف الذي كنا ننتظره، لكن هل كان هذا الاعتراف كافيًا لحل لغز جريمتَي الكوخ وشارع فوجيرارد تمامًا؟

لم يكترث الرأي العام بطرح هذا السؤال، عاد الاهتمام مرة أخرى ليرتكز على آرسين لوبين، وكيف سينجو من شباك المحقق □يكتور.

عاد □يكتور إلى سيارته، قاد إلى الغابة، خلع لباس □يكتور الصلب، وارتدى زي ماركوس أفيستو الأنيق والهادئ من بيرو، ثم توجه إلى فندق كامبريدج ودخل غرفته.

في المساء جلس بكامل أناقته لا تشوبه شائبة في مظهره الهادئ اللطيف يتناول العشاء في المطعم كالعادة.

لم يرَ الأميرة ألكسندرا هناك، كما أنها لم تظهر في قاعة التدخين أيضًا، ولكن في حوالي الساعة العاشرة بعد أن عاد إلى غرفته، تلقى مكالمة هاتفية.

- السيد ماركوس أفيستو؟

- نعم.

- أنا الأميرة ألكسندرا باسيليف، لو لم يكُن لديك شيء لتقوم به

يا سيدي، وإذا لم يزعجك ذلك، فأنا أدعوك لتأتي إلى غرفتي للتحدث معي قليلًا، سأكون سعيدة جدًّا لرؤيتك.

- الآن؟

- الآن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل السابع

المتواطئون

(١)

فرك □يكتور يدَيه جزلًا وهو يتساءل:

- تُرَى ماذا تريد مني؟ هل سأجد امرأة قلقة وخائفة، في حاجة إلى المساعدة، ومستعدة للثقة؟ من غير المرجح أن يحدث ذلك الآن، نحن ما زلنا في المرحلة الثانية فقط، ولا شك أنه سيكون هناك ثالثة ورابعة قبل أن أصل إلى هدفي. لكن لا يهم الآن! المهم هو أنها شعرت بالحاجة لرؤيتي. أما بالنسبة للباقي، فعليَّ بالصبر قليلًا.

حدَّق إلى نفسه في المرآة، عدل عقدة ربطة عنقه، وتنهد:

- يا للأسف! رجل نبيل، ولكنه يبلغ من العمر ستين عامًا!

على الرغم من عينَيه الحادتين وصدره الذي ما زال منتفخًا تحت سترته الأنيقة لكن مع ذلك، ستون عامًا حقًّا.

اتجه نحو المصعد، وأمام باب الأميرة الذي كان مواربًا وقف لحظة، ثم دخل إلى غرفة انتظار صغيرة قادته إلى المخدع، كانت ألكسندرا تنتظره واقفة على العتبة، مدت يدها إليه مبتسمة، كما كانت ستفعل في صالون ما وهي تقوم بتحية رجل نبيل.

ثم قالت وهي تشير إليه بالجلوس:

- شكرًا لقدومك.

كانت ترتدي فستانًا من الحرير الأبيض، عاري الذراعين والأكتاف، لم يكُن وجهها هو ذلك الوجه المثير للشفقة والحزين الذي تبديه للجميع، لم يكُن هناك غطرسة أو تشتُّت، بل كان هناك تعبير ودود ولطيف لامرأة ترغب في أن تنال إعجاب رجل وكسب صداقته.

كان المخدع يشبه مخدع القصور العظيمة، يسوده الأناقة والرقي، أضفى الضوء الخافت لمحة من البهاء إلى الغرفة، بالإضافة إلى بعض الحلي الباهظة الثمن، كان هناك تمثال مرصع بالذهب وبعض الكتب الأنيقة الغلاف فوق الطاولة، كما عمت رائحة التبغ الأجنبي الرائعة في المكان بأكمله.

قالت ببراءة:

- أنا مُحرَجة قليلًا.

- مُحرَجة!

- نعم، لقد اتصلت بك لتأتي إلى هنا ولا أعرف لماذا؟!

- أنا أعرف.

- آوه! ولماذا في رأيك؟

- أنتِ تشعرين بالملل.

قالت:

- إنها حقيقة، لكن الملل الذي تتحدث عنه، والذي يُعَد من أساسيات حياتي، ليس هذا النوع من الملل الذي يمكن أن تبدده محادثة هادئة في هذا المخدع الأنيق.

- إنه ضجر لا يزول إلا بعنف الأفعال، وبما يتناسب مع الأخطار الجارية.

- إذن لا يمكنك فعل أي شيء من أجلي؟

- بل يمكنني.

- كيف؟

قال مازحًا:

- يمكنني أن أكدس فوق رأسك أكثر الأخطار رعبًا، وأُطلِق العنان لـجميع الكوارث والعواصف التي أعرفها لأسردها عليكِ بكامل تفاصيلها، وبذلك يذهب هذا الملل.

اقترب منها، وقال بصوت أعمق:

- ولكن هل يستحق الأمر هذا العناء حقًّا؟ عندما أفكر فيكِ -وأنا أفكر فيكِ كثيرًا حقًّا- أتساءل عما إذا كانت حياتك كلها ليست سوى سلسلة من الأخطار المتواصلة.

بدا له أنها كانت تحمر خجلًا قليلًا.

- ما الذي يجعلك تفترض ذلك؟

- أعطيني يدكِ.

قدمت له يدها، فحص كفها طويلًا متكئًا عليها، ثم قال:

- هذا ما اعتقدته تمامًا، على الرغم من مظهرك وأسلوبك الذي يبدو معقدًا وصعبًا، فطبيعتك يسهل فهمها، وهذا ما عرفته بالفعل من خلال عينَيك، والآن قد حصلت على الدليل الأقوى في خطوط يدك الواضحة للغاية، فالغريب الذي أراه هنا، هو هذا المزيج داخلك بين الجرأة والضعف، هذا البحث المستمر عن الخطر، وهذه الحاجة القصوى إلى الشعور بالأمان، أنتِ تحبين الوحدة، ولكن هناك أوقات تخيفكِ هذه الوحدة إلى حد كبير، وحينها تطلبين من أي شخص كان أن يدافع عنكِ ضد الكوابيس التي أوجدها خيالكِ، تحبين السيطرة على الأمور، وفي نفس الوقت يجب أن يكون لديكِ مَن يسيطر على أفعالك، لديكِ كبرياء قوي في مواجهة المحن، وعاجزة عن مواجهة الملل والروتين، والعادات اليومية الكئيبة، ورتابة الحياة. فكل ما فيكِ تناقُض، هدوئكِ وعصبيتكِ، وعقلكِ السليم، وانفعالاتكِ العنيفة، برودتكِ ومشاعركِ المتأججة، رغبتكِ في الحب ورغبتكِ في الاستقلال.

ثم ترك يدها بهدوء.

- أنا لست مخطئًا، أليس كذلك؟ أنتِ تمامًا كما أراكِ الآن.

نظرت بعيدًا، محرجة من النظرة الحادة التي تغلغلت في روحها، أشعلت سيجارة، ثم غيرت المحادثة، عرضت الصحف، وقالت بنبرة هادئة لدرجة أنه أدرك أن هذا هو بالضبط ما كانت تريده أن يأتي من أجله:

- ما رأيك في قضية السندات تلك؟

كان هذا أول تلميح بينهما إلى المغامرة التي تشكل حقيقة أفكارهما وشواغلهما، قال بلا مبالاة مثلما يفعل تمامًا:

- غامضة جدًّا.

- ومع ذلك، إليك بعض الحقائق الجديدة.

- جديدة؟

- نعم، على سبيل المثال، يُعَد انتحار البارون أوتري اعترافًا.

- هل أنتِ متأكدة من ذلك؟ قتل نفسه لأن عشيقته خانته، ولأنه لم يكُن لديه أمل في استعادة أمواله. ولكن هل كان حقًّا هو مَن قتل الأب ليسكوت؟

- مَن كان سيقتله إذن؟

- متواطئ.

- أيُّ متواطئ؟

- الرجل الذي فر من الباب، والذي يمكن أن يكون إما غوستاف جيروم أو عشيق هذه المرأة التي هربت من النافذة.

- عشيق المرأة؟!

- نعم، أرسين لوبين.

اعترضت قائلة:

- لكن أرسين لوبين ليس مجرمًا، كل الناس تعلم أنه لا يقتل.

- ربما كان يتوجب عليه فعلها هذه المرة من أجل مصلحته الخاصة.

على الرغم من الجهود التي بذلها كلٌّ منهما للسيطرة على انفعالاته في أثناء الحديث والاستمرار في نفس النبرة غير المبالية، فقد استطاع □يكتور ملاحظة اضطرابها، لم يكُن ينظر إليها، لكنه خمن أنها ترتجف، وشعر بالاهتمام الشديد الذي طرحت به هذا السؤال بصوت متهدج:

- ما رأيك في هذه المرأة؟

- أي امرأة؟ سيدة السينما؟

- هل تعتقد أن المرأة التي كانت في السينما هي نفسها مَن كانت بالكوخ؟

- اللعنة!

- وهي مَن كانت على الدرج في شارع دي فوجيرارد؟

- بالطبع.

- إذن من المفترض...

لم تذهب لأبعد من ذلك، لا بد أنها لا تحتمل أن تلفظ باقي الكلمات، فكان □يكتور هو مَن أنهى جملتها:

- من المُفترَض أنها هي التي قتلت إليز ماسون.

تحدَّث كرجل يعرض فكرة ليس متيقنًا منها تمامًا، وسقطت الجملة في صمت حيث سمعها تتنهد، وتابع بنبرة صوته الرخيم:

- أنا لا أفهم تلك المرأة بوضوح، فهي تدهشني بخرقها، إنها تبدو مبتدئة، من الغباء جدًّا أن تقتل من أجل لا شيء، في النهاية لو كانت هي القاتلة بالفعل، فمن المؤكد أن هدفها كان سرقة سندات الدفاع، ومع ذلك لم تكُن هذه السندات لدى إليز ماسون، كانت جريمة سخيفة وغبية مثل الكثير من الأحداث في تلك القضية، في الحقيقة ليست مثيرة جدًّا للاهتمام بالنسبة لي.

- وما الذي يثير اهتمامك في القضية إذن؟

- رجلان! رجلان حقيقيان ليسا كهذين الأخرقين أوتري وجيروم، ولكن رجلان جريئان يسعيان خلف هدفهما بكل إصرار دون خطأ أو ضجة، إنهما أرسين لوبين و□يكتور.

- أرسين لوبين؟

- إنه البطل الخفي وراء هذه الأحداث جميعًا، الطريقة التي عثر من خلالها على سندات الدفاع مثيرة للإعجاب حقًّا، و□يكتور أيضًا يباريه مهارةً؛ لأنه وصل إلى مخبأ السيارة.

- هل تعتقد أن هذا الرجل سوف يتغلب على لوبين؟

- أنا أعتقد هذا، بصراحة هذا ما أتوقعه عاجلًا أم آجلًا. لقد تابعت بالفعل في قضايا أخرى، ومن خلال الصحف، أو من خلال بعض الأشخاص الذين تعاملوا مع هذ الرجل، كيفية عمله، وذكاءه البالغ، لن يستطيع لوبين أبدًا الصمود أمام هذا النوع من الهجمات الخفية والمتقنة، فهو رجل عنيد لن يستسلم بسهولة، لن يترك لوبين مهما حدث.

- آه! أنت تعتقد ذلك إذن. تمتمت بهدوء.

- نعم، لا بد أنه أكثر تقدمًا مما نفترض الآن.

- والمحقق موليون أيضًا؟

- نعم، الوضع سيئ بالنسبة للوبين، سيتم محاصرته جيدًا.

ظلت صامتة مرفقاها فوق ركبتَيها، في النهاية حاولت أن تبتسم وهي تقول:

- لو حدث ذلك، ستكون خسارة كبيرة.

قال:

- بالطبع يأسرك لوبين مثل كل النساء.

- كل مَن لديه فكر ووجود منفصل وشخصية قوية مثله يعجبني، فمثله قد مر بالكثير من التجارب القاسية والخطيرة، والمشاعر القوية التي جعلت منه هذا الشخص الآن.

صاح قائلًا وهو يضحك:

- لا، لا، لا؛ فأنت مخطئة تمامًا، إنها مجرد عواطف قد اعتادها، وينتهي به الأمر إلى فِعل تلك الأشياء مثلما يؤدي أي شخص واجبه علانيةً في وضح النهار، من المؤكد أن هناك دقائق مؤلمة لكنها نادرة.

ما إن نضع أيدينا عليها حتى تسير بسلاسة، تتم أي مهمة بكل بساطة لو درسناها بشكل جيد، مثلًا: لقد تم إبلاغي...

ثم توقف عن الكلام، ووقف استعدادًا للمغادرة:

- عفوًا، أنا أضيع وقتكِ.

تحركت على الفور تُرجِعه للخلف، وتقول بنبرة يملؤها الفضول:

- ما الذي تم إبلاغك به؟

- أوه! لا شيء.

- هيا أخبِرني...

- لا، أؤكد لكِ أنه شيء ليس ذا قيمة، مجرد سوار مرصع بالألماس، وحسب ما قيل لي فليس عليَّ سوى التقاطه فقط، إنها نزهة بسيطة ليس بها ما تنشدينه من خطورة وانفعالات.

كان سيفتح الباب ويمضي في طريقه، أمسكت بذراعه؛ فاستدار مواجهًا لها، سألت بعينين جريئتين وبكل فضول ولهفة لامرأة لا تسمح بالرفض:

- متى تكون تلك النزهة؟

- لماذا؟ هل تريدين أن تكوني جزءًا منها؟

- نعم، سوف أفعل، فإن الملل يكاد يقتلني هنا.

- هل تجدين في ذلك تسلية لكِ؟

- سأرى على كل حال.

قال بنبرة صارمة:

- بعد غد في تمام الثانية عشرة، شارع ريفولي في ميدان سان جاك.

ودون انتظار إجابة، غادر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٢)

وصلت إلى هناك في الموعد المحدد، قال بين أسنانه وهو يراها تأتي من بعيد:

- ها أنتِ يا صغيرتي.

كانت تبدو وكأنها فتاة صغيرة جدًّا، تمشي بمرح وكأنها قادمة في حفل للتو، سعيدة بالمغامرة التي كانت على وشك الإقدام عليها، غيرت من شكلها دون أن تتنكر، كانت ترتدي فستانًا قصيرًا ومعطفًا من الصوف الرمادي، قبعة سادة بالكاد تُظهِر شعرها، لا شيء يجذب الانتباه إليها، فلم تعُد تلك السيدة الراقية باهرة الجمال، فقد أصبح جمالها متحفظًا ورقيقًا غير مرئي، سألها □يكتور:

- هل قررتِ؟

- لطالما قررت أن أهرب من نفسي إلى واحدة أخرى.

- فقط سأبلغكِ ببعض التفسيرات لتوضيح الأمور.

- هل هو ضروري؟

- فقط لتهدئة مخاوفكِ.

قالت بمرح:

- ليس لديَّ أي مخاوف، علينا فقط أن نذهب في نزهة، أليس كذلك؟

- والحصول على شيء ما، لا أعرف ما هو.

- بالضبط، في أثناء نزهتنا سنزور رجلًا طيبًا، لكنه يمارس المهمة القبيحة (تجارة المسروقات)، أول أمس قد حصل على سوار مسروق، يحاول أن يبيعه.

- وأنت لا تنوي الشراء منه بالطبع.

- لا، إلى جانب ذلك، فهذا وقت نومه، إنه شخص روتيني للغاية، يتناول غداءه في المطعم، ثم يذهب إلى المنزل، ويأخذ قيلولة من الثانية إلى الثالثة. ينام بعمق ولن يوقظه شيء أبدًا، فكما ترين لا تشكل الزيارة أي خطر.

- وأين يعيش صديقك النائم هذا؟

- تعالي معي.

تركا الحديقة الصغيرة. وعلى بُعْد مئة خطوة، توجه إلى سيارته التي وضعها على طول الرصيف؛ حتى لا تتمكن ألكسندرا من رؤية الرقم. اتبعا شارع ريفولي، واستدارا يسارًا، دخلا متاهة من الشوارع كان يسير بكل أريحية، وكأنه معتاد الطريق، ثم دلفا إلى السيارة، والتي كانت منخفضة السقف؛ فلم تتمكن من أن ترى أسماء هذه الشوارع، وقد فطنت إلى ذلك؛ فقالت له:

- أنت لا تثق بي، أنت لا تريدني أن أعرف إلى أين تأخذني، أنا لا أعرف أسماء شوارع هذا الحي القذر.

- هذه ليست شوارع، إنها طُرُق رائعة وسط الريف، داخل الغابات الجميلة، وأنا أقودكِ إلى قلعة رائعة الآن.

سألته وهي تبتسم:

- أنت لست من البيرو ([6])، أليس كذلك؟

- يا إلهي! بلى!

- فرنسي؟

- من مونمارتر ([7]).

- مَن أنت؟

- حاليًّا أنا سائق الأميرة باسيليف.

توقفت السيارة أمام ممر عربات مقوس من الحجر، نزلا فوجدا نفسيهما داخل فناء كبير مستطيل ومرصوف، تتوسطه كتلة من الأشجار، تصطف على جانبَيه البيوت القديمة، لكل منها درج مستقل مميز بحرف: درج (أ)، درج (ب)،... إلخ، صعدا درج (ف)، كان صوت وقع أقدامهما على الألواح الحجرية مرتفعًا. لم يلتقيا بأحد في أثناء صعودهما، في كل طابق باب واحد فقط، كل هذه المباني متداعية وسيئة الصيانة، بلغا الطابق الخامس والأخير والذي كان سقفه منخفضًا للغاية، أخرج □يكتور من جيبه مجموعة من المفاتيح وقطعة من الورق مرسوم عليها مخطط السكن، حيث أظهر لرفيقته مكان الغرف الأربع الصغيرة داخل تلك الشقة.

في البداية غرفة انتظار لها بابان، ثم أشار إلى اليمين وتمتم لها:

- إنه ينام هنا.

فتح نصف الباب على اليسار، ودخلا إلى غرفة صغيرة سيئة التجهيز، مؤثثة بأربعة كراسي وطاولة صغيرة، يفصلها عن غرفة النوم الأخرى نافذة ضيقة، مغطاة بستار خفيف، أزاح هذا الستار قليلًا ونظر، أمر الشابة أن تنظر أيضًا، فرأت على الحائط المقابل، مرآة تعكس سريرًا فيه رجل لم تتمكن من رؤية ملامحه جيدًا، ولكن يبدو عليه الاستغراق في النوم.

انحنى عليها وهمس في أذنها:

- ابقي هنا، وعند أدنى لفتة منه أنذِريني.

لمس إحدى يدَيها فوجدها باردة كالثلج، بينما لم تتحول عيناها المحمومتان عن الرجل النائم.

قام □يكتور بالبحث عن مفتاح مكتب الكتابة، وقد استغرق بعض الوقت للعثور عليه، من ثم فتح عدة أدراج وفتشها حتى اكتشف السوار مطويًا في بعض المناديل الورقية، في تلك اللحظة، تناهى إلى سمعه ضوضاء طفيفة من مكان قريب، صوت شيء يقع فوق أرضية خشبية، أسرعت ألكسندرا بإسدال الستار وهي مذهولة، اقترب منها وسمعها تتلعثم:

- تحرك بسرعة، إنه يستيقظ.

وضع يده في جيبه الخلفي ليُخرِج مسدسه. قفزت عليه مستاءة، وأمسكت بذراعه وهي تئن:

- أنت مجنون! هذا لا، أبدًا!

أغلق فمها بيده، وهو يهمس:

- صه! أنصِتي.

لم يعُد هناك المزيد من الضوضاء، تخلل تنفُّس النائم صمت عميق.

شد رفيقته نحو باب المنزل، تراجعا خطوة بخطوة في هدوء حتى خرجا، عندما أغلق الباب، لم يكُن قد مرت خمس دقائق بالتأكيد على دخولهما، عند الهبوط تنفست بعمق، وأصبحت هادئة إلى حد ما.

عادا إلى السيارة وقد لاحظ ظهور بوادر رد فعلها، تيبست ذراعاها، وتقلصت ملامح وجهها، واعتقد أنها ستبكي. لكنها ضحكت ضحكة متوترة عندما أظهر لها السوار، وقالت:

- إنه جميل للغاية، لا شيء أجمل من الألماس، أليس كذلك؟ هنيئًا لك على هذا العمل الرائع.

كانت تتحدث بلهجة ساخرة، فجأة شعر □يكتور بأنها تبتعد عنه كأنها غريبة، أقرب إلى عدو، وبإشارة طلبت منه أن يتوقف، وتركته دون أن تتبس ببنت شفة، كان هناك موقف لسيارات الأجرة، استقلت واحدة.

عاد إلى الحي القديم من حيث أتى، وعبر مرة أخرى الفناء الكبير وصعد الدرج (ف)، وفي الطابق الخامس رن الجرس هذه المرة، فتح صديقه المفتش لارمونت الباب.

قال له □يكتور بسعادة:

- أحسنت صنعًا يا لارمونت، أنت ممثل من الدرجة الأولى، كما أن شقتك مناسبة تمامًا لهذا العرض الصغير. لكن ما الذي سقط منك؟

- نظارتي.

- لقد كنت على وشك إطلاق رصاصة برأسك، ويبدو أن هذا الاحتمال أخاف السيدة الجميلة حتى إنها ألقت بنفسها عليَّ لتمنعني مخاطرة بإيقاظك.

- إذن هي لا تريد جريمة؟

- من المحتمل أن تكون ذكرى شارع فوجيرارد ما زالت ترعبها، وكانت هذه التجربة كافية بالنسبة لها.

- هل تعتقد هذا حقًّا؟

قال □يكتور:

- لا أستطيع الاعتقاد في أي شيء، ما أفهمه عنها لا يزال يحيرني تمامًا.

وهكذا أصبحنا متواطئين أنا وهي كما أردت، لقد اقتربت أكثر من هدفي؛ عن طريق إحضارها إلى هنا، كنت أريد أن أعرض عليها نصيبها من الغنيمة، كان هذا جزءًا من خطتي، لكني لم أستطِع.

لا أستطيع حتى الآن أن أصدق بأنها قتلت! هذه المرأة لصة؟ لا أستطيع أن أتخيل ذلك! إليك هذا السوار، واشكر الصائغ الذي أعطاك إياه.

- أنت تستخدم الخدع كثيرًا في تلك القضية.

- يجب عليَّ ذلك، مع رجل مثل لوبين، عليك اللجوء إلى تلك الإجراءات الخاصة.

في فندق كامبريدج قبل العشاء، تلقَّى □يكتور مكالمة هاتفية من لارمونت:

- أبقِ عينك مفتوحة جيدًا، يبدو أن المحقق موليون لديه بعض المعلومات عن الرجل الإنجليزي، أنا أعمل على شيء ما، سأخبرك به في أقرب فرصة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتاب □يكتور قلق بالغ، فقد مضى في الطريق الذي اختاره، ولكن كان يتوجب عليه أن يتحرك بحذر شديد، وخطوة بخطوة، وإلا لانكشف أمره أمام العصابة بأكملها، على العكس من ذلك لم يتبع موليون أي احتياطات، مرت ثماني وأربعون ساعة، ولم تُشِر الصحف إلى الخبر الذي توصل إليه لارمونت. ومع ذلك، اتصل الأخير هاتفيًّا مرة أخرى؛ ليؤكد أنه حتى لو لم يتم كشف المزيد من المعلومات عن هذا الخبر، ولم تتوصل الصحف بعد إلى مكان الرجل الإنجليزي، فإنه يملك من التفاصيل ما يؤكد توصُّل الشرطة إلى هذا الرجل.

ظل الإنجليزي بيميش غير مرئي. لم يغادر غرفته، وقد ادعى أنه لا يستطيع الحركة؛ بسبب التواء بسيط أصابه في كاحله.

أما الأميرة باسيليف لم تظهر إلا مرة واحدة في صالة التدخين بعد العشاء، كانت منغمسة في قراءة المجلات المصورة، وتدخين السجائر، قامت بتغيير مكانها ولم تُحيِّ □يكتور الذي كان يراقبها خلسة، لم يبدُ عليها القلق، لكن لماذا كانت تظهر؟ هل كان لإخبار □يكتور أنها إذا لم تُحيِّه وتتحدث معه، فإنها لا تزال موجودة ومستعدة لذلك، فعليك أن تعاود الاتصال إن أردت؟ من الواضح أنها لم تشك في وقوع أحداث من الممكن أن تهدد أمنها بهذا الشكل السريع، ولكن على الرغم من ذلك كله، فإنه لا بد أن تكون شعرت ببعض الخطر حولها عن طريق حدسها الأنثوي، ما سبب بقائها في هذا الفندق؟ وما سبب بقاء الإنجليزي بيميش هناك أيضًا؟ لماذا لم يبحث كلاهما عن ملاذ آمن؟ والأهم من ذلك لماذا لم ينفصلا حتى الآن؟

ربما تنتظر هذا الرجل الغريب الذي شاهده □يكتور في إحدى الأمسيات بصحبة الرجل الإنجليزي، ومَن يمكنه أن يكون سوى أرسين لوبين؟

كان على وشك الاقتراب منها ليقول:

- اتركي الفندق على الفور؛ فإن الوضع أصبح خطيرًا.

ولكن بماذا كان سيجيب إذا سألته؟

- خطير بالنسبة لمَن؟ لماذا عليَّ أن أخاف؟ سيغامر بذلك بالكشف عن شخصيته الحقيقية.

انتظر □يكتور أيضًا، وقد قرر أنه لن يغادر الفندق -الذي سيكون على حسب تنبُّئه مكان الاشتباك القادم- ما لم يقرر العدو أن يتركه، أو إذا وصل المحقق موليون إليه.

كان يفكر كثيرًا، ففي كل لحظة كان يعيد الأمر برمته في مخيلته، تصدمه الأفكار والتخيلات فيظل يقارنها بما يعرفه عن ألكسندرا وسلوكها وشخصيتها.

تناول الغداء في غرفته وظل شاردًا في أحلام يقظته وتخيلاته لبعض الوقت، وبعد فترة دخل إلى شرفة الغرفة يتطلع إلى الطريق، فرأي واحدًا من زملائه في شرطة المقاطعة، وجاء آخر من الاتجاه المعاكس، جلسا على مقهى مقابل لفندق كامبريدج.

لم يتحدثا، بل كانا يديران ظهريهما لبعضهما البعض، لكنهما لم يُبعِدا أعينهما عن محيط الفندق. اثنان من المفتشين الآخرين وقفا على الجانب الآخر من الطريق، واثنان آخران يقفان بعيدًا، إجمالًا كانوا ستة يراقبون المكان بأكمله.

ظهرت المعضلة أمام □يكتور؛ إما أن يتخذ جانب موليون ويصبح □يكتور مرة أخرى، □يكتور محقق شرطة الآداب، يلقي القبض على الرجل الإنجليزي، وبالتالي يصل إلى أرسين لوبين بشكل مباشر إلى حد ما، ولكن سيؤدي ذلك إلى الكشف عن ألكسندرا، «أو ماذا؟» قالها لنفسه بصوت منخفض.

عدم اتخاذ جانب موليون يعني اتخاذ جانب ألكسندرا، ومحاربة موليون. لماذا أفعل هذا؟ لأنجح فيما بدأته بنفسي، والوصول إلى أرسين لوبين بمفردي؟

هناك أوقات من الأفضل فيها عدم التفكير، عليك بترك غرائزك تقودك، دون أن تعرف إلى أين تقودك. المهم الآن هو الانخراط مباشرةً في قلب الأحداث، وليحتفظ بكامل حريته في التصرف وفق تقلبات الظروف؛ نظر مرة أخرى من الشرفة، رأى المفتش لارمونت يخرج من شارع قريب متجهًا مباشرةً نحو الفندق، تُرَى ما الذي كان يفعله؟

وبينما كان يمر أمام المقعد الذي يجلس عليه زملاؤه، نظر إليهم لارمونت، كانت هناك حركة غير ملحوظة للرأس بين الرجال الثلاثة، استمر في المشي بخطى سريعة، ثم عبر الرصيف ودخل الفندق، لم يتردد □يكتور. مهما كان ما يفعله لارمونت، فعليه التحدث معه، منطقيًّا فهو أول مَن تنبأ بهذا التجمع.

هبط إلى أسفل، كان وقت الشاي يقترب، العديد من الطاولات مشغولة بالفعل، وكانت الردهة والممرات الواسعة التي أحاطت بها مزدحمة، فكان من الممكن لـ□يكتور ولارمونت الاقتراب من بعضهما البعض دون أن يلاحظهما أحد.

- ماذا لدينا هنا؟

- الفندق مُحاصَر.

- ما الذي توصلوا إليه؟

- هم على يقين من أن الرجل الإنجليزي موجود هنا منذ الهجوم على الحانة.

- والأميرة؟

- لم يسألوا عنها.

- ولوبين؟

- لم يأتِ أحد على ذِكره.

- وجئت لتحذرني؟

- أنا في خدمتك دائمًا.

- لتذهب إذن!

- كان ينقصهم رجل، وكنت أتجول بالجوار، فأرسلني موليون إلى هنا ليكتمل عددهم.

- هل هو هنا؟

- ها هو يتحدث إلى البواب.

- اللعنة!

- عددنا اثنا عشر، يجب أن تنسحب الآن يا □يكتور، لا يزال هناك وقت.

- هل أنت مجنون!

- سيتم استجوابك، ماذا لو تعرف إليك يا □يكتور؟

- وماذا في ذلك؟ سيكون الأمر كالآتي: لقد تنكَّر □يكتور على أنه مواطن بيروفي ليقوم بعمله كونه محققًا في الفندق الذي تحقق فيه الشرطة بالفعل. لا تقلق عليَّ، والآن اذهب لعملك.

سارع لارمونت إلى بهو المدخل، انضم إلى موليون وتبعه إلى مكتب الإدارة، وبعد ثلاث دقائق، عاد لارمونت إلى الظهور واستدار نحو □يكتور وتبادل معه بعض الجمل السريعة:

- لقد قاموا بفحص السجل الذي يحتوي على أسماء الإنجليز الذين يقيمون هنا بمفردهم، وحتى أسماء جميع الأجانب.

- لماذا؟

- اسم شريك لوبين غير معروف، ولا يُوجَد ما يؤكد أنه إنجليزي.

- وبعد ذلك؟

- سنستدعيهم الواحد تلو الآخر، أو نصعد إلى غرفهم للتحقق

من أوراقهم، من المحتمل أن يتم استجوابك.

- أوراقي سليمة تمامًا لا غبار عليها، ماذا لو أراد أحد الخروج؟

- هناك ستة رجال يراقبون الفندق من الخارج، يتم إحضار المشتبه بهم إلى غرفة المدير، كما أن هناك محققًا خاصًّا يستمع إلى المحادثات الهاتفية. كل شيء يتم بترتيب ودقة.

- وأنت؟

- يُوجَد بشارع (بونثيو) باب خلفي للفندق مخصص للموظفين والعاملين بالمطعم، أنا المسئول عن مراقبتهم.

- وما التعليمات التي لديك؟

- أن لا أدَع أحدًا يخرج بعد الساعة السادسة مساءً دون تصريح مُوقَّع من موليون.

أنهى □يكتور تلك المحادثة السريعة، واتجه نحو المصعد، لم يتردد لحظة؛ فقد كان متأكدًا تمامًا من قراره، قال لنفسه:

«هذا تمامًا ما كنت أريده، إنه لمن الغريب رؤية إلى أي مدى تلعب الظروف لصالح خططي. فقط عليَّ أن أُسرِع، أمامي خمس عشرة دقيقة، عشرون دقيقة على الأكثر».

في الردهة انفتح باب ألكسندرا، وظهرت الفتاة في ثوب أنيق، كانت مستعدة لتهبط لتناوُل الشاي، مشى نحوها مسرعًا وأمسكها من كتفها، ودفعها نحو غرفتها مرة أخرى، قاومت غاضبة.

- ماذا هناك؟

- الفندق مُحاصَر برجال الشرطة، هناك حملة تفتيش عاجلة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثامن

معركة كامبريدج الكبرى

(١)

في أثناء التراجع كانت ألكسندرا تقاوم يده التي انقضت عليها بكل عنف، وبعد أن عبرا في غرفة الانتظار، أغلق □يكتور الباب خلفه، صرخت على الفور:

- ما هذا يا سيدي؟! بأي حق تجرؤ...

كرر ببطء:

- الفندق مُحاصَر بالشرطة.

كانت الردود مخالفة تمامًا لما توقعه:

- وما شأني بذلك؟ لا يهمني.

- النزلاء الإنجليز.. سيتم استجوابهم.

- هذا أمر لا يخص الأميرة باسيليف.

- ومن بين هؤلاء الإنجليز السيد بيميش.

تراجعت للخلف قليلًا، وأكدت:

- لا أعرف السيد بيميش.

- آه! إنه رجل إنجليزي ينزل في هذا الطابق في الغرفة رقم (337).

- لا أعرفه.

- بل تعرفينه.

- أنت تتجسس عليَّ إذن.

- إن لزم الأمر؛ من أجل حمايتكِ كما هو الحال الآن.

- أنا لست بحاجة للحماية.

- خاصةً من قِبَلي، أهذا ما تعنينه؟

- ولا من أي أحد غيرك.

- أرجوكِ يا سيدتي، لا تجبريني على إضاعة الوقت فى تفسيرات غير مجدية، نحن لا نملك الكثير من الوقت! ليس لدينا سوى عشر دقائق، عشر دقائق فقط، هل تسمعينني؟ أتوقع أنه في غضون عشر دقائق على الأقل سيدخل اثنان من المحققين غرفة السيد بيميش، وسيطلبان منه النزول إلى مكتب المدير، حيث يستجوبه موليون.

حاولت أن تبتسم:

- أشعر بالأسف حقا على السيد بيميش المسكين، بماذا يتهمونه؟

- بأن يكون أحد الرجلين اللذين هربا من الحانة في شارع ماربوف، والآخر هو أرسين لوبين.

قالت بهدوء:

- وضعه سيئ، إذا كنت متعاطفًا معه، اتصِل به وحذِّره، سيقرر بنفسه ما يتوجب عليه فعله.

- الاتصالات الهاتفية تحت المراقبة.

- وماذا الآن؟ -قالت بعصبية أكثر- تعامل معه بطريقتك إذن!

انزعج □يكتور من النبرة الوقحة التي كانت تتحدث بها، فرد باقتضاب، محاولًا السيطرة على نبرة صوته:

- أنتِ لا تدركين الوضع تمامًا يا سيدتي، خلال ثماني أو عشر دقائق سيطرق اثنان من المفتشين غرفة بيميش، واحد سيقوده إلى غرفة مدير الفندق، والآخر سيبقى في الغرفة لتفتيشها.

- أشعر بالأسف من أجله حقًّا!

- وربما من أجلكِ أيضًا.

- من أجلي؟

احمر وجهها من الغضب وصاحت بنبرة عصبية شرسة:

- كيف من أجلي؟ ما العلاقة التي تراها بيني وبين هذا الرجل؟ إنه ليس صديقي.

- ربما، لكنكما متواطئان في أمر ما معًا، من فضلكِ لا تنكري ذلك، أنا أعرف أشياء أكثر مما تعتقدين، منذ اليوم الذي سلمتِ إليَّ يدكِ وأنا أعرف أن تلك المغامرات تثير اهتمامكِ كما هو الحال بالنسبة لمرتكبيها، بالإضافة إلى أني رأيتكما في يوم ما أيضًا تتحدثان إلى بعضكما البعض.

- أهذا كل شيء تعلمه؟

- منذ ذلك الحين قررت أن أدخل غرفته، ووجدت...

- ماذا؟

- شيء واحد أخبرني عنكِ.

- ما هو؟ قالت بجزع.

- شيء واحد سوف تجده الشرطة لاحقًا.

- تكلَّمْ من فضلك.

- في خزانة السيد بيميش، وسط كومة من القمصان تحديدًا، يُوجَد وشاح من الحرير البرتقالي والأخضر.

- ماذا؟ ماذا تقول؟ قالت وهي تعدل قامتها.

- وشاح من الحرير البرتقالي والأخضر، الوشاح الذي خُنِقت به إليز ماسون، لقد رأيته هناك.. هناك في خزانة السيد الإنجليزي.

فجأة انهارت مقاومة الأميرة باسيليف، كانت تقف ساكنة، لكنها مرتبكة، ارتعشت شفتاها، وتلعثمت قائلة:

- ليس صحيحًا.. هذا غير ممكن!

تابع بعناد:

- رأيته هناك، هذا هو الوشاح الذي تبحث عنه الشرطة. لقد قرأتِ الصحف، الوشاح الذي لطالما كانت ترتديه إليز ماسون حول رقبتها في الصباح في المنزل، موجود الآن في حوزة الرجل الإنجليزي، وهذا ما يثبت تدخُّله الذي لا جدال فيه في جريمة شارع دي فوجيرارد، وبالتالي تدخُّل أرسين لوبين، فإذا تم العثور على هذا الوشاح، فلا يُوجَد هناك دليل أفضل من ذلك ليقودهم إلى الشخصية الحقيقية للمرأة...

- أي امرأة؟ قالت بين أسنانها.

- شريكتهم، المرأة التي تم رؤيتها على الدرج وقت الجريمة، المرأة التي قتلت...

ألقت بنفسها على صدر □يكتور، وأجهشت بالبكاء الذي كان بمثابة اعتراف حقيقي صاحَب احتجاجًا عنيفًا:

- لم تقتل! أؤكد لك أن هذه المرأة لم تقتل، إنها تكره الجريمة!

تخاف من الدم والموت، لم تقتل!

- مَن قتل إذن؟

لم تجِر جوابًا، تتابعت انفعالاتها سريعًا بشكل لا يُصدَّق

فتبدد جزعها وخوفها، وأفسح المجال لليأس المفاجئ. تمتمت بصوت منخفض للغاية كان بالكاد يسمعه:

- لا يهم، فكِّر فيَّ كيفما تريد، لم يعُد يهمني. أنا تائهة تمامًا، كل شيء ينقلب ضدي، لماذا احتفظ بيميش بهذا الوشاح؟ وقد اتفقنا على التخلص منه بطريقة أو بأخرى. لقد ضعت.

- لماذا تقولين ذلك؟ ما زال هناك وقت، غادِري. لا شيء يمنعكِ من المغادرة الآن.

- لا، لا أستطيع، لا أقوى على فعل ذلك.

- إذن ساعِديني.

- في ماذا؟

- أن أُحذِّره.

- كيف؟

- سأعتني بهذا الأمر.

- لن تنجح.

- دعينا نحاول.

- هل ستستعيد الوشاح؟

- نعم.

- وماذا سيحل ببيميش؟

- سأساعده على الهروب.

اقتربت منه بينما كان ينظر إليها بثبات، استعادت شجاعتها، جففت عيناها، وابتسمت في رقة لهذا الرجل العجوز الذي مارست عليه سلطتها كونها امرأة فاتنة بكل قوة، وإلا فبماذا نفسر كيف كرس نفسه لخدمتها هكذا؟ لماذا يخاطر بهزيمته من أجل إنقاذها؟

شعرت أنها تحت سيطرة تلك العيون الهادئة والوجه القاسي، قالت بصوت واهن، وقد مدت يدها إليه:

- عليك الإسراع؛ فإني خائفة.

- خائفة منه؟

- لم يكُن لديَّ شكوك حول تفانيه، لكني لم أعُد أثق بشيء بعد الآن.

- هل تتوقعين أن يتقبل مساعدتي؟

- نعم، إنه خائف أيضًا.

- لا بد أن يثق بي.

- سيحدث ذلك على الفور.

- هل سيفتح بابه حتى؟

- اطرق الباب مرتين متتابعتين، ثلاث مرات.

- أليس لديكما كلمة سر مشتركة فيما بينكما؟

- لا، طريقة قرع الباب هذه كافية.

عندما هَم بالرحيل، أعاقته قائلة:

- ماذا يجب أن أفعل؟ هل أغادر؟

- لا تتحركي من هنا، ابقي في مكانكِ، عندما ينتهي التفتيش، خلال ساعة من الآن، سأعود إليكِ.

- ماذا لو لم تستطِع العودة؟

- سأراكِ يوم الجمعة في ميدان سان جاك إذن.

تنصَّت على الصوت بالخارج، لم تعُد الردهة فارغة كالعادة، كانت هناك حركة ذهاب وعودة؛ مما يدل على بداية الاضطرابات في الفندق. انتظر قليلًا ثم غامر بالخروج. قادته خطواته الأولى إلى بوابة المصعد. وعندما تأكد من عدم وجود أحد، ركض إلى الغرفة رقم (337)، وطرق بخفة حسب الإيقاع المتفق عليه.

سمع حفيف خطوات في الداخل، ثم صوت القفل يعمل في الباب، فُتح الباب، فرأى بيميش، وأخبره بما قاله للأميرة:

- الفندق محاصر من قِبَل الشرطة، هناك حملة تفتيش مفاجئة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٢)

لم يسِر الأمر مع الإنجليزي كما حدث مع ألكسندرا، لم تكُن هناك مقاومة من جهة ولا جهد من جهة أخرى، لقد تم التفاهم سريعًا بين الرجلين، بدا الموقف للإنجليزي على ما هو عليه، أثقله الخوف على الفور دون أن يحاول تخمين سبب تحذير □يكتور له. علاوة على ذلك، إذا كان يفهم الفرنسية جيدًا، فهو بالكاد يتحدث بها، قال له □يكتور:

- يجب أن تطيعني، وعلى الفور. الشرطة تفتش جميع الغرف؛ لأنهم يعتقدون أن ذلك الرجل الإنجليزي من البار في شارع ماربوف يختبئ في الفندق، ستكون من الأوائل الذين يتم استجوابهم كونك مشتبهًا به بسبب التوائك المزعوم؛ لأن حجتك واهية، كان عليك إما ألا تعود إلى هنا، أو ألا تحبس نفسك في غرفتك. هل لديك أوراق أو خطابات خطيرة؟

- لا.

- أي شيء من شأنه أن يُعرِّض الأميرة للخطر؟

- لا شيء.

- أيها المخادع! أعطِني مفتاح هذه الخزانة.

أطاعه الرجل، أزاح □يكتور كومة القمصان، وأمسك بالوشاح الحريري ووضعه في جيبه.

- أهذا كل شيء؟

- نعم.

- سأسألك للمرة الأخيرة، أهذا كل شيء؟

- نعم.

- إنني أُحذِّرك، إذا فكرت في محاولة خيانة الأميرة باسيليف، فسوف أكسر عنقك؛ جهِّز حذاءك وقبعتك ومعطفك. أنت ذاهب في رحلة.

- لكن.. الشرطة؟ قال بيميش.

- اصمت، هل تعرف الباب الخلفي للفندق في شارع (بونثيو)؟

- نعم.

- هناك ضابط شرطة واحد فقط يحرسه.

أشار الرجل الإنجليزي إلى أنه سوف يهاجم هذا العميل ويدفعه للعبور.

اعترض □يكتور:

- لا.. لا، دعك من هذا الهراء.

ثم أخذ من الطاولة بطاقة مراسلة عليها اسم الفندق، وكتب:

«دعه يمر» مُؤرَّخة ومُوقعَّة من المحقق موليون.

- اعرِض هذه البطاقة على الضابط، التوقيع صحيح، أؤكد ذلك.

امضِ في طريقك دون خوف، ودون أن تنظر إلى الوراء.

أشار الإنجليزي إلى الخزانة المليئة بملابسه وأمتعته، وأدوات الحمام الخاصة به، وأبدى بادرة ندم.

- يا لغبائك! -قال □يكتور بنبرة ساخرة- ما الذي تحتاج إليه أكثر من أن تنقذ نفسك؟ ابتعِد عن هنا فورًا.

التقط بيميش حذاءه، لكن في نفس الوقت سمعا طرق على الباب، قال □يكتور بصوت منخفض:

«اللعنة! إنهم هم! يا للحظ! علينا تدبُّر أمرنا».

طرقوا مرة أخرى.

صاح □يكتور:

- نعم.

ألقى الإنجليزي حذاءه في نهاية الغرفة، واستلقى على الأريكة. كما هَم □يكتور بفتح الباب، سمعا صوت المفتاح يدور في الباب، كان الخادم المسئول عن نظافة الغرف هو الذي استخدم مفتاحه البديل، رافقه اثنان من المحققين زملاء □يكتور.

قال □يكتور للرجل الإنجليزي بلهجة إنجليزية متكلفة:

- وداعًا يا سيدي، أنا سعيد لأنك تبدو أفضل حالًا الآن.

استدار نحو الرجلين، فقال له أحدهما ببالغ الأدب:

- أنا المفتش روبو من الشرطة. نحن نحقق في الفندق، هل يمكنني أن أسألك يا سيدي منذ متى تعرف هذا السيد؟

- السيد بيميش؟ أوه! منذ فترة ليست بالطويلة، قابلته ذات مرة في الردهة وقدَّم لي سيجارًا، ومنذ أن لوى قدمه لم أرَه، فجئت لزيارته. ثم قال اسمه:

- ماركوس أفيستو.

- من بيرو، أليس كذلك؟ أنت على قائمة الأشخاص الذين

يريد المحقق موليون أن يطرح عليهم بعض الأسئلة. هل من الممكن أن تنزل من فضلك إلى مكتب المدير؟ هل معك أوراقك الآن؟

- لا، إنها في غرفتي في هذا الطابق.

- سيرافقك زميلي لإحضارها.

كان المفتش روبو ينظر إلى ساق الرجل الإنجليزي على الأريكة، وكاحله المغطى بالضمادات، وعلى الطاولة المجاورة كان هناك الشاش والقطن والأدوية، قال له بنبرة جافة:

- لا يمكنك المشي، أليس كذلك؟

- بلى.

- إذن سيأتي المحقق إلى هنا من أجلك، عليك إخباره -قال ذلك لزميله- وفي أثناء انتظاره سأفحص أوراقك.

تبع □يكتور المحقق، وهو يضحك من داخله، لم يخطر ببال المفتش روبو، المشغول بالمهمة الموكلة إليه بشكل بالغ فيما يتعلق بالرجل الإنجليزي، أن يفحص □يكتور بقليل من الاهتمام. وبالتأكيد لم يخطر بباله أيضًا أنه ربما يكون بمفرده الآن مع رجل مشبوه، وربما يكون مسلحًا.

فكر □يكتور في الأمر بينما كان يجمع الأوراق من خزانة غرفته، الوثائق الأصلية التي تثبت أنه ماركوس أفيستو، قال في نفسه، وهو يراقب حارسه:

- ماذا يتوجب عليَّ أن أفعل؟ ماذا لو رميته على الأرض، وحبسته هنا، وأفر من شارع بونثيو؟ هل تلك خطوة صحيحة فعلًا؟ إذا نجح بيميش المشتبه به المباشر في التخلص من المحقق روبو، وهرب بفضل البطاقة المزيفة الموقعة من موليون، فمم يمكن أن يخاف □يكتور؟

ترك نفسه للمحقق يقوده بكل هدوء إلى أسفل الفندق، حيث امتلأت القاعة والردهة الواسعة بالمسافرين والنزلاء الفضوليين، صاخبين وساخطين إذا طُلِب منهم عدم الخروج. برغم من وجود كل هؤلاء المحققين، ولكن الفندق كان يعج بالفوضى، في مكتب المدير أظهر المحقق موليون، الذي بدا عليه الانشغال، مزاجًا كئيبًا، بالكاد ألقى نظرة خاطفة على □يكتور، ثم طلب على الفور من واحد من مساعديه أن يتولى أمره ويتحقق من هويته، من الواضح أنه كان يهتم فقط بالسيد بيميش وما لديه من اشتباهات قوية، سأل المحقق الذي رافق □يكتور:

- وبالنسبة للرجل الإنجليزي؟ ألم تحضره؟

- لا يستطيع المشي؛ بسبب التواء كاحله.

- هراء! يبدو لي هذا الرجل مريبًا. ضخم الهيئة ووجهه أحمر، أليس كذلك؟

- نعم، ولديه شارب قصير جدًّا.

- قصير جدًّا؟ يا إلهي! روبو معه، أليس كذلك؟

- بلى.

- أنا ذاهب في الحال، تعالَ معي.

خسر موليون دقيقتين ثمينتين هناك؛ بسبب الاقتحام الغاضب لنزيل أجنبي كان متعجلا للحاق بموعد القطار، وكان مسجلًا على قائمة الاستجواب الخاصة بالأجانب، ثم دقيقتين أخريين في إعطاء الأوامر. وأخيرًا قام.

أنهى □يكتور فحص أوراقه سريعًا وتعقب المحققين الثلاثة إلى الطابق الثالث، مختلطًا بالمحتشدين في الممرات والبهو، فلم يلحظه أحد، في الطابق الثالث قرع موليون الباب بقوة على الغرفة رقم (337).

- افتح يا روبو.

قرع الباب مرة أخرى، ولكن دون إجابة.

- افتح لي، اللعنة! روبو! روبو!

دعا خادم الغرف، فخرج من المخزن والمفتاح في يده، زجره موليون ليسرع، أصبح قلقًا أكثر فأكثر. فُتِح الباب.

- اللعنة! صاح المحقق، لقد توقعت...

كان الضابط روبو ملقًى على أرض غرفة النوم مربوطًا بالمناشف ورداء الحمام، مكممًا، يكافح للتخلص من قيوده، صاح موليون:

- لم تتأذَّ، هاه، روبو؟! آه! الوغد، كيف قيدك! اللعنة!

كيف سمحت له أن يفعل بك هذا؟!

تم فك قيود روبو، ترنح من الغضب وهو يقول:

- كانا اثنين! -بصق على الأرض جانبه، ثم تابع حديثه- نعم اثنان. من أين أتى الآخر؟ لا بد أنه كان مختبئًا، لقد هاجمني من الخلف، بضربة على مؤخرة رقبتي.

أمسك موليون بالهاتف، وأمر:

- لا أحد يغادر الفندق! لا استثناء! هل تسمعوني جيدًا؟ يجب إيقاف مَن يحاول الهرب، لا استثناءات مسموح بها.

وقال في الغرفة:

- إذن، كان هناك اثنان منهم هنا! لكن من أين أتى الآخر؟ الثاني؟ أنت أيضًا لم ترَ أحدًا؟ -قال لزميل روبو- هل فتشت الحمام؟ هذا هو المكان الذي كان يختبئ فيه بالتأكيد.

قال روبو:

- أعتقد هذا، كنت أدير ظهري للحمام بالفعل.

قاموا بتفتيشه، لا يُوجَد دليل على أي شيء، ولكن هناك باب في الحمام يصل إلى الغرفة المجاورة، وليس مغلقًا بترباس.

- هيا نبحث عنه! -أمر موليون- روبو! هل أنت قادم؟

يجب أن نتحرك إلى أسفل.

دفع الناس المجتمعين في الممر جانبًا، ومشى يسارًا نحو المصعد، عندما جاءت صرخات الفزع من الجانب الأيمن.

فطن روبو إلى أن الرجل ربما قد اختار الجانب الأيمن للوصول إلى الباب الخلفي الذي يطل على شارع بونثيو.

قال موليون:

- احتمال وارد، لكن لارمونت يحرسه، والأمر رسمي.

ازداد الصراخ، وعند المنعطف الأول رأوا حشدًا من الناس،

يقفون حول صالون شتوي مليء بأشجار النخيل ومفروش بطاولات صغيرة محاطة بكراسي ضخمة بذراعين، كان الناس متجمعين حول جسد ممدد على الأرض، اكتشفه أحدهم للتو بين نخلتين.

قال روبو:

- إنه الرجل الإنجليزي، لقد عرفته، إنه مغطى بالدماء...

- كيف؟! بيميش؟! لكنه لم يمُت، هاه؟!

- لا -قال أحدهم وهو راكع على ركبتَيه يفحص الضحية- لكنه تأثر بشدة، لقد تم طعنه بقوة في كتفه.

صاح موليون:

- إذن هل هو الرجل الآخر يا روبو؟ هو مَن كان مختبئًا وضربك من الخلف؟

- اللعنة! أراد التخلص من شريكه، لحسن الحظ لا يمكنه الفرار الآن، سنضع أيدينا عليه؛ لأن جميع المخارج مغلقة.

أما □يكتور الذي لم يترك الشرطيين، وظل يراقبهم من بعيد، لم ينتظر، وذلك بفضل الاضطراب الناتج من هذا الحدث، فأسرع إلى الدرج الثاني وهبط سريعًا حتى الطابق الأرضي، حيث الباب الخلفي لشارع بونثيو، تم إغلاق مداخل الفندق ومخارجه بالكامل، حيث كان لارمونت واثنان من المفتشين يراقبون. أشار □يكتور إلى لارمونت بضرورة التحدث، فاقترب منه في حذر:

- من المستحيل أن أجعلك تخرج، لديَّ تعليمات...

- لا تقلق سوف أتدبر أمري، هل جاءك أحدهم منذ قليل يحمل كارتًا؟

- نعم.

- مزيف للأسف.

- اللعنة.

- ماذا كان شكله؟

- لم أُولِ الكثير من الاهتمام له، شاب على الأرجح.

- ألم تعرف مَن كان إذن؟

- لا.

- أرسين لوبين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٣)

ظل موليون شاحبًا ومضطربًا، جلس في مكتب الإدارة، واتصل هاتفيًّا بشرطة المقاطعة لإرسال الإمدادات، طلب تعزيزات لمحاصرة الفندق بالكامل من بدايته لنهايته، وإعطاء أوامر متضاربة أدت إلى إرباك الجميع، فتعالت الصيحات:

- لوبين! إنه لوبين!

مر الإنجليزي بيميش راقدًا فوق نقالة، أخذوه إلى مستشفى (بوجون)، وقال الطبيب المناوب:

- الجرح ليس قاتلًا، غدًا يمكنكم استجوابه.

جاء روبو مضطربًا للغاية بعد أن تفقد الباب الخلفي، وتحدَّث مع لارمونت:

- لقد هرب من الخلف، وقد أعطى لارمونت بطاقة تحمل اسم الفندق مُوقَّعة بواسطتك أيها الرئيس!

اعترض موليون بغضب:

- إنه كارت مزيف! لم أُوقِّع على بطاقة واحدة! أحضِر لارمونت إليَّ في الحال، لا يستطيع أحد تقليد توقيعي أبدًا! فقط لوبين هو مَن يمتلك الجرأة لفعلها، اصعد إلى غرفة الإنجليزي، افحص المحبرة والريشة، وإذا كان هناك أي بطاقات تحمل اسم فندق.

انطلق روبو مثل السهم إلى الغرفة، وبعد خمس دقائق عاد:

- المحبرة لا تزال مفتوحة، ماسك القلم ليس في مكانه، هناك بطاقات تحمل اسم الفندق.

- إذن لقد تم تزوير التوقيع هناك بينما كنت مُقيَّدًا.

- لا، كنت سأراه. لقد انتعل الإنجليزي حذاءه بسرعة ثم هربوا.

- لكن أيًّا منهما لم يكُن يعلم أنني أحقق هنا!

- ربما أخبرهما أحد.

- مَن؟

- عندما دخلت الغرفة، كان هناك شخص ما مع الرجل الإنجليزي رجل من بيرو.

- ماركوس أفيستو، أين ذهب هذا الرجل؟

ذهب روبو في مهمة بحث جديدة إلى غرفة ماركوس أفيستو، وعندما عاد قال:

- لا يُوجَد أحد هناك! الغرفة فارغة، الدولاب به ثلاثة قمصان وبدلة، في الحمام تُوجَد أدوات النظافة الخاصة به وعلبة مكياج تم استخدامها للتو، ولم يتم إغلاقها بعد، أظن أنه كان على البيروفي أن يتنكر قبل أن يغادر.

قال موليون:

- إنه شريك آخر بالتأكيد، إذن فإنهم ثلاثة، بالإضافة للسيد الذي كان يعيش في الغرفة المجاورة لدورة المياه بغرفة بيميش؛ نظرًا إلى خريطة الفندق.

قال المدير باندهاش:

- هذه الغرفة تم تأجيرها للسيد بيميش.

- كيف ذلك؟

- منذ بداية إقامته. لقد أخذ كلتا الغرفتين معًا.

لخص موليون بذهول:

- في جميع الاحتمالات، يمكننا أن نقول إن المتواطئين الثلاثة

يعيشون بالقرب من بعضهم البعض في نفس الطابق. ماركوس أفيستو في رقم (345)، بيميش في (337)، وأرسين لوبين في الغرفة المجاورة التي كانت بمثابة ملاذ له منذ هروبه من الحانة في شارع ماربوف، حيث كان يتعافى من جرحه، ويقوم بيميش برعايته وحراسته وإطعامه، بكل سرية ومهارة، لدرجة أن الموظفين لم يشكوا أبدًا في وجوده.

تم شرح الوضع برمته للسيد غوتييه، مدير الشرطة القضائية، الذي جاء للتو، واستمع إلى العرض المفصل للأحداث الذي قدَّمه المحقق موليون، طلب بعض الإيضاحات الإضافية، ثم قال:

- تم القبض على بيميش الآن، وإذا لم يكُن لوبين هو مَن استخدم البطاقة، فهو لا يزال في الفندق، وعلى أي حال، فإن البيروفي موجود هنا؛ لذلك فإن البحث أسهل كثيرًا، عليك زيارة الغرف بأكملها يا موليون، زيارات مسالمة دون تفتيش أو استجواب، مجرد بحث روتيني؛ حتى لا تزعج النزلاء وتثير بلبلة نحن في غنى عنها الآن، سوف يساعدك □يكتور في ذلك.

اعترض موليون:

- □يكتور ليس هنا يا سيدي.

- إنه هنا.

- □يكتور؟!

- نعم، □يكتور محقق بوليس الآداب، عندما وصلت تبادلنا بضع كلمات، كان يتحدث مع زملائه وحمال الأمتعة بالفندق. استدعِه فورًا يا روبو.

جاء □يكتور بشكل رسمي في سترته الضيقة المعتادة عابسًا كما هو الحال.

- إذن كنت هنا يا □يكتور؟ سأل موليون.

- لقد جئت للتو. أهنئك على اعتقال الرجل الإنجليزي، ضربة موفقة.

- بالفعل، لكن تبقى لوبين.

- إن لوبين هذا يخصني أنا، فإن لم تسرع في الإمساك به، لقدمته إليك موثق اليدين.

- وماذا عن شريكه ماركوس أفيستو؟

- إنه تحت إمرتي أيضًا، رجل ساحر وقوي بالغ الذكاء لا بد أنك رأيته!

- وماذا تعرف أيضًا؟

- ألا يُوجَد رجل إنجليزي آخر في قائمتك باسم موردينغ؟

- نعم، هيرفي موردينغ. لقد كان بالخارج.

- لقد عاد. سألت البواب عن ذلك الأمر، لقد حجز غرفة لمدة شهر، نادرًا ما ينام بها، ولا يأتي إلا مرة أو مرتين في الأسبوع بعد الظهر، تنضم إليه سيدة أنيقة في قاعة الطعام يتناولان الشاي معًا، هذه السيدة التي تنتظره أحيانًا في القاعة، أتت منذ فترة قبل أن يصل موردينغ، وبعد أن رأت حالة الاضطراب والتوتر هنا، غادرت.

سيكون من الجيد إذا تم استدعاء الإنجليزي موردينغ.

اندفع روبو لإحضار الرجل الإنجليزي، ما إن رآه موليون حتى تعرف إليه على الفور، وهتف متفاجئًا للغاية:

- كيف هذا؟! إنه أنت، فيليكس ديفال! صديق غوستاف جيروم! تاجر سانت كلود! أتتنكر في رجل إنجليزي؟

كان هو بالفعل فيليكس ديفال صديق غوستاف جيروم تاجر العقارات في سانت كلود، بدا عليه خجل شديد، حاول المزاح لكن ضحكته بدت مزيفة، وقال:

- نعم، أحضر بعض التدريبات في المسرح في هذه الفترة.

- ولكن لماذا تحت اسم آخر؟

- أعتقد أنه شيء لا يهم أحدًا.

- والسيدة التي تستقبلها؟

- إنها صديقة.

- صديقة تخفي وجهها دائمًا؟ هل هي متزوجة؟

- لا، ولكن لديها أسباب تجبرها على إخفاء شخصيتها.

بدت الحادثة كوميدية إلى حد ما، ولكن لماذا بدا عليه هذا الاضطراب والتوتر؟ سادت لحظات صمت، ثم قال موليون، الذي استشعر الخطة:

- تقع غرفة نوم فليكيس ديفال أيضًا في الطابق الثالث، وهي قريبة جدّا من الصالة الشتوية الصغيرة حيث تعرَّض الإنجليزي بيميش للطعن.

نظر السيد غوتييه إلى موليون، خطرت لهما نفس الفكرة على حد سواء. هل يجب أن نعُد فيليكس ديفال شريكًا رابعًا؟ والسيدة التي زارته كانت هي سيدة سينما بلازار وقاتلة إليز ماسون؟

استدارا ناحية □يكتور، هز كتفَيه، وقال بسخرية:

- أنت تذهب بعيدًا جدًّا، إن هذا الحادث ثانوي، مجرد فاتح شهية، ومع ذلك لا بد من توضيحه فيما بعد.

طلب من السيد غوتييه أن يتم اقتياده إلى قسم الشرطة، قال □يكتور:

- والآن أيها الرئيس، أطلب منك تحديد موعد لرؤيتي في إحدى الصباحات المبكرة.

- هل هناك شيء جديد يا □يكتور؟

- هناك بعض التفسيرات التي يتعين عليَّ تقديمها لك في أقرب وقت.

رأى □يكتور، والذي تخلى عن مرافقة المحقق موليون في تفقُّد غرف الفندق، أنه من الحكمة إبلاغ الأميرة باسيليف عما يحدث، فإن اعتقال الإنجليزي بيميش يمكن أن يكون خبرًا خطيرًا بالنسبة لها، تسلل إلى غرفة التليفون، وطلب الاتصال بالرقم (345)، لم يكُن هناك رد، حاول أكثر من مرة ولكن دون جدوى، ذهب □يكتور ليسأل البواب:

- هل خرجت السيدة من الغرفة رقم (345)؟

- الأميرة باسيليف؟ لقد غادرت قبل حوالي ساعة.

تلقى □يكتور صدمة غير سارة.

- غادرت؟ هكذا فجأة؟!

- أوه! لا، تم حمل جميع أمتعتها أمس، ودُفِعت فاتورتها هذا الصباح، لم يبقَ لديها سوى حقيبة واحدة.

لم يسأل □يكتور أكثر من ذلك، فبعد كل شيء، ألم يكُن من الطبيعي أن ألكسندرا ترحل، وألا يعارض أحد رحيلها؟ من ناحية أخرى، ما الذي يدفعها إلى انتظار إذنه؟

على الرغم من ذلك، كان □يكتور غاضبًا، لقد هرب لوبين واختفت ألكسندرا، كيف سيتمكن من استعادتهما؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل التاسع

في قلب الميدان

(١)

جاء لارمونت لرؤية □يكتور في منزله مساء اليوم التالي، لم يكُن وجهه مبتسمًا كالمعتاد، لكنه كان هادئًا وواثقًا:

- هل تريدني أن أخبرك برأيي؟

- أنا أعرفه، لقد أنهكك الأمر.

- نعم! هناك الكثير من التعقيدات.

- ماذا يُوجَد في الصحف اليوم؟

- موليون منتصر! الكل يصفق له، حتى لو لم يستطِع القبض على لوبين، فقد تمكن من الرجل الإنجليزي، بالإضافة إلى الروس الثلاثة، فقد اكتملت الصورة إلى حد ما.

- هل تكلم الرجل الإنجليزي؟

- لم يقُل شيئًا أكثر من الروس، يعتقد كل هؤلاء أن لوبين سوف ينقذهم.

- ماذا عن فيليكس ديفال، صديق غوستاف جيروم؟

- موليون يعمل على ذلك الأمر، ذهب اليوم إلى سانت كلود؛ ليبحث عن معلومات جديدة.

- طلب أخير أيها الرجل العجوز، اتصِل بي فور معرفة أي أخبار جديدة عن ديفال، خاصةً فيما يتعلق بعمله وأمواله.

لم يغادر □يكتور منزله تلك الأيام، لطالما أحب تلك الفترات، فترات الراحة التي تتخلل قضية ما، يتأمل خلالها المغامرة كاملة، يعرض كل الحلقات أمامه فتظهر أفكار جديدة، وتتبلور أمامه شيئًا فشيئًا.

اتصل به لارمونت مساء الخميس؛ ليُبلِغه بأن الوضع المالي لفيليكس ديفال كان سيئًا للغاية، غارقًا في الديون، ويحاول إصلاح شيء بمضاربات يائسة في البورصة، ولكنها تفشل دائمًا وتزيد الأمر سوءًا على سوء، قال جميع دائنيه إنه إنسان بائس وإنهم يمقتونه.

- هل تم استجوابه.

- صباح الغد الساعة الحادية عشرة، سيتم استجوابه أمام قاضي التحقيقات.

- لن يقوموا باستدعاء شخص آخر لاستجوابه؟

- نعم البارونة أوتري، والسيدة جيروم، نريد توضيح بعض النقاط، سيحضر كلٌّ من المدير والمحقق موليون.

- وأنا أيضًا.

- أنت أيضًا؟!

- نعم، أبلغ الرئيس غوتييه بأنني سأكون هناك.

في صباح اليوم التالي، ذهب □يكتور أولًا إلى فندق كامبريدج، ودخل بنفسه إلى الغرفة التي كان يشغلها فيليكس ديفال، والتي ظلت مغلقة حتى اليوم. ثم ذهب إلى شرطة المقاطعة حيث كان السيد غوتييه ينتظره، وذهبا معًا إلى قاضي التحقيقات ومعهم المحقق موليون.

بعد دقيقة من بداية التحقيق أظهر □يكتور مللهِ بالتثاؤب، كان غوتييه يعرفه جيدًا، وعلى إثر هذا الموقف غير اللائق، قال له غوتييه بجزع:

- ماذا يا □يكتور، لو أنك تريد أن تتحدث؟ فلتفعل.

قال □يكتور:

- نعم أريد أن أتحدث، لكني أطلب أن يكون حديثي بحضور السيدة أوتري وغوستاف جيروم.

راقبوه بدهشة، كانوا جميعًا يعلمون شخصيته الغريبة، الجادة والقوية، ما كان ليطلب هذه المواجهة لولا أسباب قاهرة.

تم إحضار البارونة أولًا، ترتدي ملابس الحداد. وبعد لحظات، تم إحضار غوستاف جيروم، ولا يزال مبتسمًا ومبتهجًا.

لم يخفِ موليون انزعاجه؛ فتذمر قائلًا:

- هيا يا □يكتور، أعتقد أن لديك معلومات مهمة، فلتبدأ الآن.

- معلومات جديدة! لا! لكني أود القضاء على بعض العقبات التي تعترض طريقنا، وتصحيح الأخطاء والمفاهيم التي تعيق مهمتنا لمعرفة القاتل الحقيقي، يجب علينا الآن قبل الدخول في تفاصيل الهجوم الأخير على لوبين، إغلاق جريمة الكوخ وكل ما يتعلق بها، أمامنا على المنصة الآن السيدة أوتري، والسيد والسيدة غوستاف جيروم والسيد فيليكس ديفال، دعونا ننهي الأمر بإيجاز، سأتوجه إليهم ببعض الأسئلة إذا سمحت لي يا سيدي؟

أجابه السيد غوتييه:

- تفضل.

التفت إلى السيدة غابرييلا أوتري، وقال:

- من فضلكِ يا سيدتي، عليكِ أن تجيبي بكل صراحة، هل تعُدِّين انتحار زوجك بمثابة اعتراف منه بجريمته؟

أزاحت حجابها الثقيل جانبًا، فظهرت وجنتاها شاحبتين، وعيناها المحتقنتان بالدموع، وقالت بحزم:

- زوجي لم يتركني ليلة الجريمة.

- إن إصرارك على هذا القول، هو ما يمنع الوصول إلى الحقيقة التي من الضروري معرفتها.

- لا تُوجَد حقيقة أخرى غير تلك التي أؤكدها، لا يمكن أن يكون هناك حقيقة أخرى.

- بلى، هناك واحدة أخرى.

وقال مخاطبًا غوستاف جيروم:

- هذه الحقيقة الأخرى أنت تعرفها، غوستاف جيروم، يمكنك الآن الاعتراف بالحقيقة وتبديد الظلام عن تلك القضية.

- لا أعلم شيئًا.

- بلى تعلم.

- لا أعلم شيئًا على الإطلاق، أقسم على ذلك.

- هل ترفض الإفصاح إذن؟

- لا أرفض، أنا لا أعلم شيئًا حقيقةً.

قال □يكتور:

- إذن لقد اتخذت قراري، سوف أضطر إلى الكلام رغمًا عن إرادتي مع الأسف، وذلك لكي لا أتسبب في جرح قاسٍ للسيدة أوتري، لكنها بالتأكيد ستعرف يومًا ما.

قام غوستاف جيروم بإيماءة مقلقة إلى حد ما، ثم قال بنبرة تحذير:

- احذر أيها المحقق، أنت مُقدِم على فعل أمر خطير للغاية.

- إنك تعلم إذن أنه أمر خطير، فمن المؤكد أنك على علم بما سأقوله، في هذه الحالة هل لك أن تتكلم أنت؟

انتظر □يكتور بعض لحظات أخرى، ولكن غوستاف أصر على الصمت، فقال بحزم:

- ليلة الجريمة، تناول غوستاف جيروم العشاء في باريس مع صديقه فيليكس ديفال، غالبًا ما يقوم الصديقان بهذه الأمسيات للترفيه؛ لأن كليهما عاشق للوجبات الجيدة والنبيذ الطازج، ولكن في تلك الليلة أفرطا في المُسكِرات، وبحلول العاشرة والنصف ذهب غوستاف جيروم إلى حانة كارفور، وتجرع مشروبه الأخير الذي أدار رأسه تمامًا، وعلى الرغم من سوء حالته، فقد قاد السيارة واتبع الطريق إلى جاراش، أين وصل؟ أمامه منزله؟ لقد كان مقتنعًا بذلك، أما في الواقع، لم يكُن أمام منزله؛ أي أمام الفيلا الحالية التي يسكن فيها، ولكن أمام منزل يملكه، منزل عاش به لمدة عشر سنوات، منزل عاد إليه مئة مرة مساءً بعد سهراته المعتادة في باريس. مرة أخرى عاد إلى هذا المنزل. ألا يحمل مفتاحه في جيبه؟ هذا المفتاح الذي طالب به المستأجر أوتري، والذي لم يخرج من سلسلة مفاتيحه أبدًا بدافع عناده، ولذلك لم يتم العثور عليه في أي مكان آخر؛ لذا، أليس من الطبيعي

أن يستخدمه؟ صعد السلم، وأخرج المفتاح، ودلف إلى المنزل، منزله، الردهة نفسها والغرف نفسها التي يعرفها تمام المعرفة، كل هذا بعينين زائغتين وعقل مشوش.

نهضت غابرييلا أوتري غاضبة، محتجة، حاولت الكلام، ولكنها لم تستطِع؛ استكمل □يكتور حديثه بهدوء:

- كيف لم يتعرف شقته التي عاش بها عشر سنوات؟ نفس مقبض الباب الذي يديره، نفس الغرفة المظلمة حيث يعتقد أن زوجته نائمة، فتحت نصف عينها، قالت بضع كلمات بصوت منخفض، توهمت بطبيعة الحال أنه زوجها أيضًا.

توقف □يكتور مؤقتًا. كان ذهول السيدة أوتري عظيمًا، لقد عادت ذاكرتها إلى تلك الليلة، أيقظتها بعض الذكريات والتفاصيل، فنظرت إلى غوستاف جيروم، وقامت بإيماءة من الرعب، ثم هوت على ركبتَيها أمام كرسي بذراعين، وهي تخفي وجهها بيدَيها، حدث كل هذا في صمت شديد. لم يتم إبداء أي اعتراض ضد التصريح الغريب الذي أدلى به □يكتور، وقبلته البارونة.

وقف غوستاف جيروم هناك محرجًا بعض الشيء، نصف مبتسم، وعلَّق على الأمر بسخرية؛ ليواري ارتباكه:

- هذا صحيح إذن، أليس كذلك؟ لقد تخيلت كثيرًا أمرًا كهذا، لم أكن مخطئًا.

لم يكُن متأكدًا مما إذا كان يجب أن يعترف أو يستمر في دوره كونه رجلًا شهمًا، سمح لنفسه أن يُسجَن بدلًا من أن يساوم امرأة، وأخيرًا قال:

- نعم، هذا ما حدث، كنت في حالة ثمل ولم أدرك الأمر إلا في السادسة صباحًا عندما استيقظت، لعل السيدة أوتري تغفر لي ما حدث.

علا الابتسام شفاه الحاضرين جميعًا، لم يستطِع قاضي التحقيقات السيد فاليدو أن يكتم شعوره، فاندفع يضحك ضحكًا متواصلًا، تبعه السيد غوتييه، وحتى موليون، بل غوستاف جيروم نفسه الذي قضى السجن على روح الدعابة لديه، وبدت هذه المغامرة له دعابة مضحكة، وبعد أن هدأ قليلًا، كرر معتذرًا مخاطبًا الكيان الأسود الراكع على الأرض:

- يجب أن أعتذر حقيقةً، هذا ليس خطئي، إنه القدر وحده، أليس كذلك؟ أقسم لك إنني منذ ذلك الحين عاهدت نفسي على فعل كل ما بوسعي؛ حتى لا يشك أحد في أي شيء.

نهضت البارونة، وقال لها □يكتور بدوره:

- أعتذر لك بدوري يا سيدتي، لكن كان لا بد من ذلك؛ من أجل تحقيق العدالة أولًا وقبل كل شيء ومن أجلك أيضًا، نعم من أجلك، في يوم من الأيام ستشكريني، سترين ذلك.

ودون كلمة أخرى خرجت البارونة مختفية تحت حجابها الأسود الكثيف مرة أخرى، وقد أحناها الخجل والشعور بالعار، بينما تم اقتياد غوستاف جيروم إلى السجن مرة أخرى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

(٢)

لم يفقد □يكتور جديته، ولكن انتابته شفقة على البارونة، وقال بنبرة حزينة بعض الشيء:

- سيدة مسكينة! فهي مَن وضعتني على الطريق الصحيح، الطريقة التي تحدثت بها عن عودة زوجها في تلك الليلة، والذكريات الجميلة التي احتفظت بها، فقد قالت: «لقد نمت بين ذراعَيه»، كما لو أنه كان حدثًا نادرًا. ومع ذلك، في نفس المساء قال البارون أوتري إنه لم يكُن لديه شيء من مشاعر الحب والمودة تجاه زوجته، تناقُض صارخ، أليس كذلك؟ وفجأة عندما رأيتها تذكرت هذه القصة التي كانت سببًا للعديد من النزاعات بين أسرة أوتري وأسرة جيروم.

تعارُض هاتين الفكرتين مع بعضهما البعض كان كافيًا؛ فانبثقت الشرارة في ذهني: جيروم المالك والساكن السابق للشقة، كان بحوزته هذا المفتاح الاحتياطي، ومن هنا استنتجت تسلسُل الأحداث نفسه كما شرحت لكم.

قال قاضي التحقيقات السيد فاليدو:

- إذن فالجريمة...

- الجريمة ارتكبها أوتري وحده، فهو من قتل الأب ليسكوت.

- لكن سيدة السينما؟ مَن تمت رؤيتها على درج إليز ماسون؟

- كانت على معرفة بإليز ماسون، وعلمت عن طريقها أن البارون أوتري يسعى خلف سندات الدفاع، وأن هذه السندات لدى الأب ليسكوت، وأن البارون يحاول استعادتها، فذهبت إلى هناك أيضًا يوم الحادث.

على حسب معلوماتي، فهي ليست لصة، بل هي سيدة عصبية المزاج، جائعة للأحاسيس الشيقة والمغامرة. ذهبت إلى هناك لترى بدافع الفضول، ولسوء حظها حضرت لحظة وقوع الجريمة، لم يكُن لديها سوى القليل من الوقت للفرار نحو السيارة التي كانت تقودها.

- هذا يعني، نحو لوبين؟

- لا، إذا استمر لوبين في السعي خلف سندات الدفاع، بعد فشله في الحصول عليها في ستراسبورغ، لكان سيدير هذه القضية بشكل أفضل، لكنه بالفعل كان مهتمًّا بقضية عشرة الملايين فقط، لا بد أن عشيقته تصرفت وحدها من غيره، لم يرَها أوتري أبدًا، وفر من تلقاء نفسه، لم يجرؤ على العودة إلى المنزل، فظل يهيم على وجهه طوال الليل في الطرقات، وفي الصباح الباكر، انتهى به الأمر عند إليز ماسون، وبعد ذلك بقليل، قمت بزيارتي الأولى إلى البارونة، وبالتالي فإن الخطأ الذي كانت ضحيته دون علمها، هو الذي مكَّنها من الدفاع عن زوجها بمثل هذا الحماس، وإخباري بمثل هذا الاقتناع الصادق أنه لم يتركها طوال الليل.

- ولكن أوتري لم يكُن على علم بسوء الفهم هذا.

- بالتأكيد، لكن فترة ما بعد الظهر، علم أن زوجته كانت تدافع عنه ضد جميع الاحتمالات، وتنفي عنه جميع الشبهات بدليل قاطع.

- كيف عرف؟

- لقد استمعت الخادمة العجوز إلى حديثي مع زوجته من وراء الباب، وعند ذهابها إلى السوق للتبضع، تم رصد هذه الخادمة العجوز من قِبَل صحفي كان يراقبها، وعندما تجاذب معها أطراف الحديث أخبرته الحوار كاملًا، عندئذٍ كتب الصحفي مقالًا ونشره في جريدة مسائية صغيرة لم يلحظها أحد تقريبًا، لكن لسوء حظ البارون وفي الساعة الرابعة بالقرب من محطة الشمال، اشترى أوتري هذه الجريدة، وقرأ المقال مندهشًا أن زوجته قد قدَّمت له حجة غياب لا تقبل الجدل؛ لذلك تخلى عن رحلته، ووضع غنائمه داخل السيارة الأجرة، وبدأ المواجهة، فقط...

- ماذا؟

- عندما أدرك جيدًا قيمة هذه الحجة، واكتشف تدريجيًّا الأسباب التي جعلت زوجته مقتنعة بذلك، كان بالفعل لديه أسبابه لكي لا يخبرها بالحقيقة، إذن ودون أن يقول لها كلمة أوسعها ضربًا كما رأينا؛ أما عن غوستاف جيروم الذي لعب دور حجة غياب البارون أوتري، فسنعرف الآن كيف تم إقحامه في جريمة لم يرتكبها، وبذلك سيمكننا فك آخر لغز في قضية الكوخ؟

- كيف؟

- بواسطة هنرييت جيروم، زوجته.

قال السيد فاليدو:

- لقد تم استدعاؤها.

- من فضلك استدعِ فيليكس ديفال أيضًا يا سيدي.

جاءت أولا هنرييت جيروم، ومن بعدها فيلكس ديفال، بدت السيدة متعبة للغاية، فطلب منها قاضي التحقيق الجلوس، فغمغمت ببعض كلمات الشكر.

اقترب منها □يكتور، وانحنى على الأرض، بدا وكأنه يلتقط شيئًا ما. كان دبوس شعر صغيرًا، دبوس ثلجي متموج بلون النحاس راح يفحصه، أمسكته هنرييت تلقائيًّا، ووضعته في شعرها.

- هل هذا المشبك لكِ يا سيدتي؟

- نعم.

- هل أنتِ متأكدة.

- طبعًا.

- إذن لا بد أن أخبركِ بأنني لم أجده هنا، ولكن من بين عدة دبابيس أخرى وحُلي تركت في أسفل كأس بلورية صغيرة في الغرفة التي كان يشغلها فيليكس ديفال في فندق كامبريدج، ومعني ذلك أنكِ لست سوى عشيقته المجهولة.

كان هجوم □يكتور غير متوقع على الإطلاق، للوهلة الأولى بدا أنه لا يُوجَد دفاع محتمل، احتقن وجه السيدة، حاولت جاهدة المقاومة، لكنه وجَّه لها ضربة أخرى أذهلتها، وقضت على محاولاتها:

- لا تنكري يا سيدتي، لديَّ عشرون إثباتًا من هذا القبيل.

أكد □يكتور، الذي لم يكُن لديه أي دليل آخر على الإطلاق.

صعقتها الصدمة، لا تعرف كيف تقاوم أو تدافع عن نفسها، نظرت إلى فيليكس ديفال، والذي كان صامتًا وشاحبًا جدًّا، مستاءً من عنف الادعاء.

استأنف □يكتور:

- وقد لعبت الصدفة دورًا مهمًّا لكي تختارا مكان لقائكما في نفس الفندق الذي يقيم فيه أرسين لوبين، صدفة رائعة حقًّا.

اعترض فيلكس ديفال صارخًا:

- أنا لا أقبل أيها المحقق، كيف تسمح لنفسك بأن تتهم سيدة شريفة أُكِن لها كل الاحترام بهذا الاتهام الباطل؟

قال □يكتور:

- أنا لا أتهم بالباطل، أنا ببساطة أدرج بعض الحقائق التي سيكون من السهل التحقق منها، فإذا تأكد قاضي التحقيقات من أنك عشيق السيدة جيروم فسوف يتساءل عما إذا كنت ترغب في الاستفادة من الأحداث التي ألمت بزوج عشيقتك إذا لم تتعاون أيضًا في اعتقاله من الأساس، وهنا سوف نتساءل إذا لم تكُن أنت مَن نصح المحقق موليون عبر الهاتف بالتفتيش في مكتب غوستاف، وإذا لم تكُن أنت مَن دفعت عشيقتك لإزالة رصاصتَي المسدس من الخزينة، وإذا لم تكُن أنت مَن حرض البستاني ألفريد على الإدلاء ببيان كاذب ضد سيده.

صاح فيليكس ديفال متوهجًا من الغضب:

- أنت مجنون! ما المصلحة التي سوف تعود عليَّ جراء ارتكاب مثل تلك الأفعال الشائنة؟

- لقد أفلست يا سيدي، وأصبحت لا تملك شيئًا على الإطلاق، خسرت كل أموالك في مضاربات بائسة، ولكن عشيقتك ثرية، من السهل أن تنال الطلاق من زوج متهم في جريمة قتل، أنا لا أقول إنك سوف تكسب بطريقة مباشرة جراء أفعالك، ولكنك ألقيت بنفسك في مغامرة، كرجل خسر كل شيء ولم يعُد لديه سوى هذا المخرج، أما بالنسبة للأدلة...

التفت □يكتور إلى السيد فاليدو:

- سيدي القاضي، أعلم أن دور الشرطة هو تزويد النظام القضائي بمعلومات دقيقة وأدلة دامغة، سيكون من السهل العثور على تلك الأدلة، والتي لا أشك في أنها ستدعم استنتاجاتي: البارون أوتري مذنب، براءة غوستاف جيروم، محاولة فيليكس ديفال لتضليل العدالة. ليس لديَّ أي شيء آخر لأقوله، أما عن قضية اغتيال إليز ماسون، فسأتحدث عنها لاحقًا.

عم صمت تام داخل القاعة، لقد تركت كلمات □يكتور انطباعًا عميقًا في نفوسهم، اتخذ فيليكس ديفال موقف التحدي، بينما أطرق موليون برأسه مفكرًا، شعر القاضي والسيد غوتييه مدير الشرطة بقوة الحجة التي تكيفت جيدًا مع الواقع.

عرض □يكتور علبة سجائره على قاضي التحقيق والسيد غوتييه، اللذين قبلاها وتناولا السجائر شاردَي الذهن، نفض ولاعته، وأشعل لهما ثم غادر، وترك كلًّا منهما يقوم بعمله.

خارج القاعة في الممر، لحق به السيد غوتييه، صافح يده بقوة وقال:

- لقد كنت رائعًا بالداخل يا □يكتور.

- كنت سأكون أفضل من ذلك كثيرًا يا سيدي لو أن موليون اللعين لم يسحب البساط من تحتي.

- إذن كنت هناك، في الفندق؟

- نعم يا سيدي، حتى إنني كنت معه في نفس الغرفة.

- مع الإنجليزي بيميش؟

- نعم.

- ولكن لم يكُن هناك سوى البيروفي ماركوس أفيستو.

- كان أنا.

- ماذا تقول؟

- لا أقول سوى الحقيقة.

- غير ممكن!

- أجل يا سيدي الرئيس، ماركوس أفيستو هو □يكتور، و□يكتور هو نفسه ماركوس أفيستو.

صافح □يكتور السيد غوتييه مضيفًا:

- أراك قريبًا أيها الرئيس، ففي غضون خمسة أو ستة أيام سأصلح خطأ موليون، وسألقي القبض على لوبين. لكن لا تقُل كلمة واحدة عما قلته لك، بخلاف ذلك سينهار كل شيء.

- على ماذا تنوي يا □يكتور؟

- سأكمل هذا الطريق بمفردي يا سيدي، ولصالح القضية عليك أن تثق بي.

تناول يكتور الغداء في حانة، كان مسرورًا بعد أن أخرج كل أفكاره وتخيلاته المتعلقة بجريمة الكوخ، إلى أسرة أوتري، وإلى أسرة جيروم وفيليكس ديفال، بعد أن أصدر تعليماته للشرطة بالاهتمام بكل هؤلاء الناس كما فعل بالنسبة لأوديغراند وللكاتبة إرنستين وللسيده شاسين، شعر بالارتياح أخيرًا، يمكنه الآن أن يكرس نفسه لمهمته! لا مزيد من الغموض! لا مزيد من المناورات وإضاعة الوقت مع طرف ثالث! لا مزيد من موليون! لا مزيد من لارمونت، لم يعُد هناك سوى لوبين وألكسندرا، وهما فقط مَن يهمه أمرهما.

أصبح البيروفي ماركوس أفيستو مرة أخرى، وفي تمام الثالثة دخل ميدان سان جاك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يشك □يكتور ولو للحظة واحدة منذ اليوم الذي تلى الحادث في فندق كامبريدج أن الأميرة باسيليف ستأتي إلى اللقاء الذي رتبه لها في آخر دقيقة لهما معًا في حالة عدم لقائهما مرة أخرى، لم يصدق بأن الدور الذي لعبه في هذا الظرف، بعد أن تم كشفها من قِبَله، وبعد الصدمة العنيفة التي تعرضت لها، بأنها من الممكن أن تكون قد عقدت العزم على عدم رؤيته مرة أخرى.

انتظرها بينما كان الأطفال يلعبون بالرمال، وكانت السيدات المسنات يحكن أو يغفن تحت ظل الأشجار، على مقعد قريب كان هناك رجل يقرأ جريدته، مرت عشر دقائق، ثم خمس عشرة، ثم عشرون.

في الثالثة والنصف ساوره القلق. ألن تأتي؟ هل تصمم على كسر الخيط الذي ربطها به؟ هل غادرت باريس بالفعل، أو غادرت فرنسا بالكامل؟ في هذه الحالة، كيف سيجدها؟ وكيف سيصل إلى لوبين؟

كان قلق عابر انتهى بابتسامة خبأها وهو يدير رأسه إلى الجانب الآخر بعدما حانت منه نظرة إلى ساقَي الرجل الجالس أمامه يقرأ الجريدة المطوية، انتظر خمس دقائق أخرى، ثم نهض ومشى ببطء نحو المخرج، استقرت يد على كتفه، اقترب منه الرجل مع الصحيفة في ابتسامة ودود للغاية، وقال:

- السيد ماركوس أفيستو؟ أليس كذلك؟

- أنت أرسين لوبين بلا شك؟

- نعم، أنا أرسين لوبين، ولكن تحت اسم أنطوان بريساك. اسمح لي بتقديم نفسي صديقًا للأميرة باسيليف.

تعرف إليه □يكتور على الفور، لقد كان هو نفسه الرجل الذي رآه ذات مساء في فندق كامبريدج مع الإنجليزي بيميش. تأمله مليًّا وأدهشته هذه الصلابة والقوة والجرأة التي يخفيها بابتسامة لطيفة، شاب في الأربعين من عمره عريض المنكبين، قوام رياضي ممشوق، فكان عريضان ينمان عن طاقة ونشاط، وملابس في غاية الأناقة.

قال □يكتور:

- لقد رأيتك في كامبريدج.

- آه! -قال بريساك ضاحكًا- أنت أيضًا لديك القدرة على عدم نسيان أي شخص التقيت به. لقد جئت إلى القاعة عدة مرات قبل أن ألجأ كجريح حرب إلى الغرفة الثانية لبيميش.

- ماذا عن جرحك؟

- لقد التأم، لكنه ما زال يؤلمني، عندما أتيت لتحذير بيميش -وهذه الخطوة أشكرك عليها كثيرًا- كنت على أهبة الاستعداد للهرب.

- ولذلك كافأته بطعنة.

- اللعنة! لقد رفض آن يعطيني الإذن الذي وقعته له، لكنني ضربته بقوة أكبر مما أردت حقيقة.

- ألن يتكلم؟

- مستحيل! إنه يعتمد عليَّ كثيرًا في المستقبل.

تبع كلاهما شارع دي ريفولي حيث كانت سيارة بريساك متوقفة.

قال صراحةً:

- نحن على وفاق، أليس كذلك؟

- ماذا؟

قال بريساك مرحًا:

- مصالحنا متحدة معًا.

- فهمت.

- عنوانك؟

- غير مستقر منذ كامبريدج.

- دعنا نذهب حيث تقيم الآن لتحزم أمتعتك، فأنا أدعوك لتقيم بضعة أيام في ضيافتي.

- هل الأمر عاجل إذن؟

- للغاية، هناك صفقة كبيرة.. عشرة ملايين.

- والأميرة؟

- إنها بانتظارك.

وصلا إلى فندق كان □يكتور قد استأجر به غرفة ليضع حقائبه متوقعًا الأحداث، غادرا باريس وذهبا إلى نويي، وفي نهاية شارع (دي رول) بين فناء واسع وحديقة كان هناك منزل خاص من طابقين.

قال بريساك متوقفًا:

- إنه منزلي البسيط، لديَّ حوالي عشرة مثله في باريس، ليس فخمًا جدًّا، ولكن به ما يؤهل للإقامة، وعدد محدود من الخادمين، سوف تنام في الطابق الثاني الخاص بي بالقرب من غرفة نومي، أما الأميرة فهي تعيش في الطابق الأول.

كانت الغرفة التي دلف إليها مفتوحة النافذة تطل على شارع هادئ كثيف الأشجار، ومؤثثةً بشكل ممتاز، كراسي بذراعين وسرير وأريكة وخزانة كتب مختارة بعناية، القليل من الفلسفة، كتب أدبية ومذكرات، وكل مغامرات أرسين لوبين، لتضعك على طريق النوم بسهولة.

- أنا أحفظها عن ظهر قلب.

قال بريساك ضاحكًا:

- وأنا أيضًا، بالمناسبة، هل تريد مفتاح المنزل؟

- لماذا؟

- إذا كنت تريد الخروج.

التقت عيونهما للحظة، قال □يكتور:

- لن أخرج.

- اليوم سنتناول العشاء في طابق الأميرة كإجراء احترازي، فغالبًا ما يكون الطابق الأرضي من مكان إقامتي مخصصًا للقتالات والمعارك.

قام □يكتور بتفريغ حقائبه، وتدخين السجائر، وارتداء ملابسه، وبمساعدة صغيرة من مكواة كهربائية كوى سترته وبنطاله، وفي تمام الساعة الثامنة، جاء أنطوان بريساك لاصطحابه.

رحبت به الأميرة باسيليف كثيرًا وشكرته لما فعله لها ولأصدقائها في كامبريدج، ولكنها انسحبت على الفور؛ كأنها تريد الانفراد بنفسها، بالكاد شاركت في المحادثة، وكانت تستمع بوجه مشتت.

تحدث □يكتور قليلًا، روى مغامرتين أو ثلاث قام بها، ورحلة أو رحلتين كان بطلها، أما أنطوان بريساك، فقد أظهر الكثير من روح المرح، كان يتمتع بالذكاء والبهجة، يملأ حديثه نوع من الغرور المسلي الذي أضفى على حديثهما روح شيقة وودود في آنٍ واحد، بعد العشاء قدَّمت ألكسندرا القهوة والمشروبات الكحولية والسيجار وتمددت فوق أريكة لم تتحرك منها، بينما جلس □يكتور على كرسي كبير بذراعين، كان كل شيء يسير وفقًا لتوقعاته، وبنفس الترتيب، والأحداث التي أعدها. في البداية تواطأ مع ألكسندرا في عمل ما ليكسب ثقتها، ثم تسلل تدريجيًّا إلى العصابة، أثبت مهارته وتفانيه حتى وصل إلى هنا حيث سيصبح صديقًا وشريكًا لأرسين لوبين، الذي لا بد أنه كان بحاجة إليه، سيطلب تعاوُنه حتمًا، ستنتهي خططه وفقًا لإرادته.

تمتم لنفسه:

- لقد تمكنت منه، عليَّ فقط تجنُّب الأخطاء، لا أجعل ابتسامة ساخرة ولا ردًّا أخرق أو نبرة سخرية تنفلت مني؛ فمع رفيق كهذا، ربما أفقد كل شيء.

قال بريساك بمرح:

- نحن هنا.

- أنا هنا معك.

- هل تستطيع تخمين إلى أين أريد أن آخذك؟

- تقريبًا.

- ماذا تعني؟

- إننا سوف نمضي قدمًا ونذير ظهورنا بحزم للماضي، قضية سندات الدفاع، وقضية الكوخ، عناوين الصحف المثيرة وأوهام الجمهور، لقد انتهى كل شيء، دعنا نتوقف عن الحديث عن ذلك.

- لحظة، ماذا عن الجريمة في شارع دي فوجيرارد؟

- انتهت أيضًا.

- هذا ليس رأي المحكمة.

- إنه رأيي الخاص، بالرغم من أنني قد كونت فكرة نهائية عنها. سأخبرك بها لاحقًا، في الوقت الحالي ينبغي أن يكون لدينا اهتمام واحد فقط، وهدف واحد فقط.

- ما هو؟

- قضية عشرة الملايين التي أشرت إليها في الرسالة التي كتبتها

للأميرة باسيليف.

هتف أنطوان بريساك:

- هذا تمامًا ما كنت سأحدثك عنه.

جلس على كرسي في مواجهة □يكتور، وبدأ في شرح المهمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل العاشر

ملف أ. ل. ب

(١)

سأخبرك تفاصيل تلك العملية من البداية، إن تلك المهمة الخاصة بالملايين العشرة، والتي كانت حديث الصحف في الفترة الأخيرة، تم إحضارها إلي بواسطة بيميش. نعم بيميش، فقد تزوج من إحدى فتيات أثينا، كانت تعمل لدى رجل أعمال يوناني بالغ الثراء، هذه الشابة ماتت في حادث سكة حديد، ولكن قبل وفاتها أسرَّت لبيميش ببعض التفاصيل حول رئيسها السابق، والتي أيقظت بشدة انتباه بيميش، كان هذا الثري اليوناني يخشى من انهيار عملة بلاده بعد الحرب، فأودع ثروته بالكامل، والتي تتمثل من ناحية في الأموال والمباني الموجودة في أثينا؛ ومن ناحية أخرى ممتلكاته وعقاراته الهائلة التي تقع في إبيروس، وخاصةً في ألبانيا، أنشأ ملفين؛ واحدًا يحتوي على النصف الأول من ثروته، تم إيداعه على هيئة أوراق مالية في بنك إنجليزي، كان هذا الملف يُسمَّى «ملف لندن»، والآخر يتعلق ببيعٍ جميع العقارات، وكان يُسمَّى ملف «أ. ل. ب»؛ وفقًا للحسابات التي سجلتها السكرتيرة، كان لكلٍّ منهما نفس القيمة التقريبية لعشرة ملايين، ومع ذلك تصادف أن يكون ملف لندن ضخمًا، وأن ملف «أ. ل. ب» عبارة عن ملف صغير جدًّا ملفوف ومربوط ومختوم، يبلغ طوله من عشرين إلى خمسة وعشرين سنتيمترًا، دائمًا ما يكون في درج مكتبه أو في حقيبة سفره، كيف احتوى هذا الملف الصغير على عشرة ملايين؟ لغز! أما عن تلك السكرتيرة فقد طلبت الطلاق لتتزوج من رجل آخر، وهو لغز آخر لم يتمكن بيميش من تفسيره حتى عندما قابلته منذ ثلاث سنوات.

مكنتني عصابتي الدولية بإجراء المزيد من الأبحاث حول هذا الموضوع، والتي كانت طويلة بالفعل ولكنها فعالة، فمن خلالها عرفت طريق البنك في لندن، حيث أودع نصف ثروته، وتمكنت من إثبات أنه تم دفع قسائم الأوراق المالية المودعة في البنك عن طريق السيد | من باريس، ولقد وجدت صعوبة بالغة في اكتشاف هذا الرجل النبيل |، والذي كان ألمانيًّا، وبعد الكشف عن عنوان هذا الألماني، تبين أن الرجل الألماني واليوناني ما هما إلا شخص واحد.

قطع بريساك حديثه، بينما كان □يكتور يستمع صامتًا دون أن يطرح أي سؤال، أما ألكسندرا فكانت عيناها مغمضتين، تبدو وكأنها نائمة، استأنف بريساك:

- ضاعفت بحثي حوله عن طريق عملاء أثق بهم للغاية، علمت أن اليوناني كان مريضًا، عاجزًا عن الحركة، لا يغادر القصر الذي كان يقيم فيه، ينام في الطابق الأول، يحرسه محققان سابقان، أما الخدم فكانوا عبارة عن ثلاث نساء، ينمن في الطابق السفلي.

كما علمت أن أبواب القصر ونوافذه متصلة بأجراس كهربائية تنذر بالخطر إذا ما حاول أحدهم القيام بعملية سطو. تم تجهيز نوافذ القصر جميعها دون استثناء، أرى أنه ما كان ليحيط نفسه بكل وسائل الحذر والحيطة ما لم يكُن يخفي في المنزل شيئًا ثمينًا، فما الذي يخشى فقده لهذه الدرجة إن لم يكُن ملف «أ. ل. ب»؟

قال □يكتور:

- إنه هو بلا شك.

- لكن أين الملف؟ في الطابق السفلي؟ لا أعتقد ذلك؛ لأن هذا هو المكان الذي يدخله أشخاص آخرون غير الرجل. أما الطابق الأول فهو فارغ ومغلق إلا من غرفة نومه، لكنني علمت من امرأة عجوز كانت مدبرة المنزل، وقد تم تسريحها منذ فترة، أنه يتم نقله كل يوم إلى الطابق الثاني والأخير، إلى غرفة فسيحة تم تحويلها إلى مكتب، يقضي به فترة ما بعد الظهيرة بمفرده، حيث جمع أوراقه وكتبه وذكرياته الباقية له عن أكثر شخصين أحبهما في الحياة، ابنته وحفيدته، وكلاهما ميت الآن.

تمتلئ الغرفة بمنسوجات معلقة، وصور، وألعاب قديمة للأطفال، وما إلى ذلك. وبعد المعلومات التي أدلت بها مدبرة المنزل، قمت برسم مخطط للغرفة.

أخرجه بريساك من جيبه:

- هنا يُوجَد المكتب، هنا الهاتف، هنا المكتبة، هنا رف الهدايا التذكارية، هنا المدفأة، وتعلوها نافذة زجاجية، منذ اليوم الذي علمت فيه أن في مثل هذا المكان، نافذة زجاجية، تشكلت خطتي، سأوضح لك..

وباستخدام قلم رصاص رسم خطوطًا على قطعة من الورق.

- يقع المنزل في شارع واسع تحيط به حديقة واسعة وذات أسوار عالية، عن اليمين قطعة أرض شاغرة، مليئة بالشجيرات، معروضة للبيع، تمكنت من الدخول إلى هذه الأرض. كان عليَّ فقط أن أنظر لأعلى لأرى أن النافذة الزجاجية لا تحتوي على مصاريع، بدأت تحضيراتي على الفور، وقد أوشكت على الانتهاء.

- إذن؟

- أنا أعتمد عليك.

- لماذا أنا؟

- بيميش في السجن، وقد كان مسئولًا عن هذا العمل.

- مقابل ماذا؟

- ربع الأرباح.

طلب □يكتور منه:

- نصف الأرباح لو أنني وجدت ملف «أ. ل. ب».

- يكفي الثلث.

- اتفقنا.

تصافح الرجلان، ابتسم بريساك وهو يقول:

- أيَّ شريكين يبرمان صفقة فيما بينهما؛ فغالبًا ما يكون ذلك أمام محامٍ، أما شخصان شريفان مثلنا فنكتفي بمصافحة مخلصة.

- لا يوقع الشريكان أيَّ اتفاقيات إلا عندما يكونان كلاهما على دراية كاملة بتفاصيل الاتفاق كافة.

- إذن؟

- حسنًا حتى الآن أنا لا أعرف اسم خصمنا، وأين يعيش، وما الوسائل التي سوف تستخدمها، واليوم الذي اخترته.

- ماذا تعني؟

- أشعر أن هناك نوعًا من عدم الثقة في حديثك معي، وهذا يفاجئني صراحةً.

تردد بريساك ثم قال بنبرة حذرة:

- هل لديك شروط أخرى؟

- لا على الإطلاق، ليس لديَّ شروط لأحددها.

- حسنًا أنا لديَّ -قالت ألكسندرا فجأة، وقد خرجت من صمتها أخيرًا وهي تقترب من الرجلين- لديَّ شرط واحد.

لا أريد إراقة دماء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٢)

كانت تخاطب □يكتور، وقالت جملتها الأخيرة بتعبير ناري وصوت متسلط:

- لقد صرحت سابقًا أن كلًّا من جريمة الكوخ وجريمة شارع فوجيرارد تم حلها، ولكن هذا غير صحيح، من المؤكد أنك نسبت الأمر إلى أرسين لوبين أو إلى أنطوان بريساك الآن.

قال □يكتور بهدوء:

- لم أنسب الأمر لأنطوان بريساك، ولا للكِ يا سيدتي.

قالت ألكسندرا:

- ربما يكون هذا صحيحًا، ولكن ليس تمامًا.

- ماذا تعني؟

- أنت تصدق أننا قتلنا إليز ماسون، أو قتلها أحد شركائنا على الأقل، في كلا الحالتين نحن مسئولون عن وفاتها.

- لا.

- ومع ذلك فهو رأي العدالة، وهو الرأي السائد في المجتمع.

- ولكنه ليس رأيي.

- إذن مَن؟ فكِّر قليلًا! تم رؤية امرأة تهبط على درج إليز ماسون، من المرجح أن تكون أنا، وقد كانت هذه أنا بالفعل. في هذه الحالة كيف لا أكون أنا مَن قتلها؟ لم يتم ذكر اسم آخر سوى اسمي.

- لأن الشخص الوحيد الذي كان بإمكانه نُطْق اسم آخر غير اسمك لم يفعل! مع أنه كان يمتلك الشجاعة للقيام بذلك.

سأله أنطوان بريساك:

- مَن هو؟

شعر □يكتور أن عليه الإجابة بوضوح، كان لا بد أن يعطي بريساك القليل من الشعور بالثقة تجاهه، ويكشف له عن بعض معلوماته.

- مَن هو؟ كرر.

- المحقق □يكتور من شرطة الآداب.

- ماذا تعني؟

- قد يبدو لك ما سوف أقوله مجرد فرضية غير مؤكدة، لكنها بالتأكيد الحقيقة الصارمة، وهي الحقيقة التي استنتجتها شيئًا فشيئًا من الأحداث، ومن القراءة المتأنية للصحف. أنت تعرف ما رأيي في

المفتش □يكتور، فهو رجل شرطة من الدرجة الأولى، لكنه في النهاية له نقاط ضعفه وأخطاؤه مثل زملائه ومثل أي شخص آخر؛ في صباح يوم الجريمة، عندما ذهب مع البارون أوتري إلى إليز ماسون لاستجوابها الأول، ارتكب خطأً لم يلاحظه أحد، ولكن ذلك الخطأ كان مفتاح اللغز، عندما هبطا الدرج وبمجرد أن أعاد البارون إلى سيارته، طلب من رجل شرطة أن يراقبه، وذهب إلى مقهى في الطابق الأرضي واتصل بشرطة المقاطعة لإرسال اثنين من الضباط على الفور، لقد أراد مراقبة المنزل؛ حتى لا تتمكن إليز ماسون من المغادرة قبل أن يتم استجوابها بشكل رسمي، وقبل أن يتم إجراء بحث شامل لمنزلها.

- أكمِل من فضلك. تمتمت الأميرة وقد بدا عليها التأثر.

- حسنًا، دام الاتصال الهاتفي لفترة طويلة؛ نظرًا لانشغال الخطوط في ذلك الوقت، بعد مرور خمس عشرة دقيقة كان من الطبيعي للبارون أوتري أن تراوده فكرة، بالتأكيد لن يهرب، فما الفائدة وراء ذلك؟ بل العودة إلى عشيقته. مَن كان يمنعه؟ المفتش □يكتور مشغول، بينما الشرطي الآخر يراقب حركة المرور، وبالكاد يراه تحت غطاء محرك السيارة.

- ولكن لماذا يريد أن يراها مرة أخرى؟ قال أنطوان بريساك، وقد تنبهت حواسه، وتأثر بحديث □يكتور هو الآخر.

- لماذا؟ أتتذكر المشهد في غرفة إليز ماسون، كما روى المفتش □يكتور وروت الصحف بعده، عندما علمت أن ماكسيم أوتري متهم ليس فقط بجريمة سرقة، ولكن بجريمة قتل أيضًا، تملَّكها الذعر والفزع من هذا الاتهام، كانت تعلم أن عشيقها سرق السندات، لكنها لم تتخيل للحظة أنه كان من الممكن أن يقتل الأب ليسكوت. تملَّكها رعب من هذا الرجل، وكانت خائفة من الشرطة. لم يكُن أوتري مخطئًا، لقد أدرك بأن تلك المرأة تمثل عقبة في طريقه؛ لهذا أراد رؤيتها مرة أخرى والتحدث معها. كان لديه مفتاح شخصي للشقة، وعندما بدأ الحديث معها هددت بفضحه، ذُعِر أوتري،

هل سيتركها في تلك الحالة ويذهب، بعد أن بات قريبًا جدًّا من تحقيق هدفه، بعد أن وصل إلى سندات الدفاع، بعد أن قتل بالفعل للحصول عليها؟ هل سيفشل في اللحظة الأخيرة؟ لم يجد حلًّا أمامه سوى القتل مرة أخرى، يقتل هذه المرأة التي يحبها، كان تهديدها له بالغ الأثر في نفسه لدرجة أنه كرهها لبضع ثوانٍ، بعد دقيقة عاد إلى السيارة، لم يلحظ شرطي المرور أي شيء كما المحقق □يكتور.

- لذلك... أنا؟ تمتمت الأميرة.

- بعد ساعة أو ساعتين عندما وصلتِ إلى منزل إليز ماسون لتري ما الذي اعتزمت عمله بعد أن نجح البارون في سرقة السندات الليلة الماضية، وجدتِ المفتاح المنسي للقاتل في الباب، وعندما دخلتِ وجدتِ إليز ماسون ممددة على الأرض، مخنوقة بالوشاح الأصفر والأخضر التي أهديته لها من قبل.

كانت ألكسندرا منزعجة، فرائسها ترتعد ووجهها شاحب، قالت متلعثمة:

- هذا ما حدث تمامًا، تلك هي الحقيقة كاملة، كان الوشاح على السجادة قريبًا من جسدها، حملته وأنا أرتعد من الرعب، هذا كل شيء.

أكد أنطوان بريساك:

- نعم، أوتري هو القاتل، والشرطي لم يدرك خطأه بعد.

ربَّت على كتف □يكتور:

- يا لك من رجل ماهر! من أول مرة التقيت بك وقد علمت بأنني قد وجدت مساعدًا يمكنني الاعتماد عليه، ماركوس أفيستو! سنقوم بعمل رائع معًا.

وعلى الفور أطلق العنان لحديثه، وأخرج بعض الأسرار الخاصة بالمهمة:

- يُدعَى الثري اليوناني (تريفوس)، منزله ليس بعيدًا عن هنا، على طول غابو بولونيا ([8])، بشارع مايو رقم (98) مكرر، وستتم المهمة الثلاثاء المقبل، في مساء ذلك اليوم سيتم تسليمي سلمًا خاصًّا يمكن أن يمتد إلى اثنَي عشر مترًا. سنذهب هناك، بمجرد دخولنا إلى القصر، سنهبط لنفتح باب صالة المدخل لثلاثة رجال من فريقي الذين سيكونون منتظرين بالخارج.

- هل مفتاح الباب الرئيس موجود بالداخل؟

- نعم على ما يبدو.

- ولكن لا بد أن هناك أيضًا في هذا المكان جهاز رنين كهربائي سيعمل حالما نحاول فتح الباب؟

- لا، كل الإنذارات مجهزة ضد الهجوم من الخارج؛ أي فتح الباب عنوة من الخارج، وليس من الداخل مثل هجومنا، والجهاز مرئي؛ لذلك كل ما عليَّ فعله هو تعطيله أولًا وقبل كل شيء.

بعد ذلك سيعتني رجالي بالحارسين الموجودين عند سرير الرجل، وبالتالي سيكون لدينا متسع من الوقت، أولًا لإلقاء نظرة على الغرف الموجودة في الطابق الأرضي، ثم البحث بدقة في غرفة المكتب في الطابق الثاني، حيث من المفترض أن يُوجَد الكنز، ها؟ هل هي خطة مناسبة لك؟

- تمامًا.

تبادلا مصافحة جديدة أكثر دفئًا.

كانت الأيام القليلة التي سبقت الهجوم ممتعة، تذوق □يكتور حلاوة انتصاره الذي يقترب، والذي لم يمنعه من أن يكون

حذرًا. لم يخرج مرة واحدة، لم يرسل أي خطاب، لم يقُم بأي مكالمة هاتفية، من الواضح أن هذه الأفعال المقصودة تزود بريساك بأكبر قدر من الثقة. كان □يكتور يدرك جيدًا مكانته الحقيقية من تلقاء نفسه، إنه شريك موثوق به نعم، ولكنه ما زال تابعًا، فكل الاستعدادات والقرارات كانت تصدر من أنطوان بريساك، كان عليه فقط أن يطيع، ويترك نفسه تحت تصرُّفه.

ولكن يا لها من سعادة في مراقبة خصمه اللدود، ودراسة

طرق عمله! أن يرى هذا الرجل عن قرب، هذا الطاغية الذي تحدّث عنه الناس كثيرًا دون أن يروه، شعر بالرضا عن نفسه؛ لنجاحه في كسب ثقة بريساك بتلك الصورة، على الرغم أن القلق يراوده أحيانًا:

- ألا يعبث معي؟ هذا الفخ الذي أقوم بتحضيره، أليس أنا مَن

سيسقط فيه؟ هل يمكن لرجل مثله أن يتم خداعه بتلك الطريقة؟ لكن لا، لقد استسلم بريساك بسلام، وكان لدى □يكتور عشرون دليلًا على مدار اليوم، وخاصة هذا اليوم؛ من خلال سلوك ألكسندرا، التي قضت معه أفضل جزء من فترة ما بعد الظهيرة.

أصبحت الآن أكثر هدوءًا وابتهاجًا، شاكرة لكشفه اسم الجاني، قالت له:

- كنت أنا الوحيدة المتيقنة أنه ليس أنا، ولكن أضناني التفكير في القاتل الحقيقي، الآن لو تم إلقاء القبض عليَّ يمكنني القول بكل ثقة إنني لم أقتل.

- لماذا تقولين ذلك؟ لِم سيتم إلقاء القبض عليكِ؟

- مَن يعرف؟!

- نعم، ولكننا نعرف أن لديكِ صديقًا يُدعَى أنطوان بريساك لن يسمح لأي شخص أن يلمسك.

صمتت، لم تتحدث عنه كثيرًا، أبقت مشاعرها تجاه مَن كان من المفترض أن يكون عشيقها سرًّا، حتى إن □يكتور كان على وشك سؤالها عند رؤيتها في بعض الأحيان غير مبالية به وشاردة الذهن، إذا كانت في الحقيقة تحب أنطوان بريساك، أو أنها تعُده مجرد رفيق المخاطرات والتشويق، فهو أكثر قدرة من أي شخص آخر على إعطائها هذه المشاعر الفريدة التي كانت تبحث عنها، ألم تكُن هيبة اسم لوبين هي التي جذبتها إليه؟ لكن في الليلة الماضية، رآهما □يكتور في الحديقة يُقبِّلان بعضهما البعض، جاهد لاحتواء انزعاجه، بينما ضحكت ألكسندرا دون أدنى إحراج، قالت بعد فترة الصمت:

- هل تعلم لماذا فعلت ذلك الليلة السابقة مع أنطوان؟ لكي يصحبني معكم غدًا مساءً، أعلم أن هذا أمر صعب، وأنه يرفض الأمر كليًّا، في رأيه المرأة ليست سوى عقبة في مثل تلك المهمات، يمكن أن يفشل كل شيء بسبب وجودها، وهناك أخطار يجب أن نتجنب حدوثها.

ظهرت أكتافها الجميلة تحت ردائها الخفيف الذي كشف عن ذراعَيها بالكامل، تأمَّل وجهها العذب، وهي تقول:

- أقنِعه يا صديقي العزيز، أريد أن أذهب إلى هناك، أحب الشعور بالمخاطرة، في الواقع ليس الخطر فقط ما يعجبني، إنه الخوف.. نعم، الخوف.. لا شيء يضاهي هذا الشعور بالرهبة التي تجعل رأسك يدور، على الرغم من أنني أزدري الرجال الذين يخافون، فخوف الرجال بالنسبة لي لا أعُده سوى جبن وخنوع، لكن خوفي أنا يغذي مشاعري أكثر من أي شيء في العالم.

قال □يكتور بمرح:

- إذن فليكُن ما تريدين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

(٣)

في اليوم التالي، بعد منتصف الليل بقليل، كان □يكتور ينتظر في الطابق السفلي، انضمت إليه ألكسندرا، كانت مبتهجة، ترتدي فستانًا رماديًّا يلائمها للغاية، بدت صغيرة جدًّا، ظهرت بدلًا من امرأة على وشك القيام بمغامرة محفوفة بالمخاطر وكأنها طفلة صغيرة ذاهبة إلى حفلة ممتعة مدت يدها إليه بزجاجة صغيرة وهي تقول مبتسمة:

- ها هو الترياق.

- ضد ماذا؟

- ضد السجن! أستطيع مواجهة الموت، لكن الزنزانة، فلا.

انتزع القارورة منها، وبعد أن فك غطاءها وسكب محتوياتها على الأرض، قال:

- لا موت ولا سجن.

- علام تعتمد توقعاتك؟

- لا يُوجَد موت أو سجن لتخافي منهما عندما يكون لوبين موجودًا.

هزت كتفَيها وهو تقول:

- هو الآخر يمكن هزيمته.

- عليكِ أن تثقي به بشكل مطلق.

- نعم، نعم -تمتمت بهدوء- لكن في الأيام القليلة الماضية راودتني أحلام مزعجة.

صوت المفاتيح يدور في القفل، انفتح باب الشارع من الخارج. عاد بريساك الذي كان قد أكمل لتوه الاستعدادات النهائية، وقال:

- انتهيت من كل شيء، ألكسندرا، هل ما زلتِ تصرين؟ السلم مرتفع كما تعلمين، بالإضافة إلى أنه يهتز عندما تصعدين.

لم تُجِب.

- وأنت يا صديقي العزيز؟ هل أنت واثق من مشاركتك؟

- بالتأكيد.

سار الثلاثة معًا عبر طُرُق نويي شبه المهجورة، لا يتكلمون، كانت ألكسندرا تسير بينهما بخطوات سريعة. حلقت النجوم في السماء الصافية فوق المنازل والأشجار تغمرها إضاءات المصابيح الكهربائية. اتجهوا إلى شارع (تشارلز لافيت) الذي يمتد بموازاة شارع مايو، كان هناك حاجز من الألواح الخشبية القديمة يحيط بأحد العقارات، يمكننا من خلاله رؤية الأعشاب والأشجار، تجولوا

لمدة نصف ساعة للتأكد من عدم وجود أيٍّ من المارة. بينما كان □يكتور وألكسندرا يراقبان، فتح أنطوان بريساك القفل بسرعة بمفتاح إضافي، وفتح نصف إحدى البوابات.

تسللوا إلى الداخل، أحاطت بهم الفروع وخدشتهم الأشواك، كانت هناك حجارة هدم كبيرة تتناثر فوق الأرض.

- السلم على طول الجدار ناحية اليسار. قالها بريساك.

وصلوا هناك، كان هناك سلم معدني غرزوا قدمه في كومة من الرمل والأنقاض، ثم أمالوه على الحائط، وأسندوا أطرافه العليا إلى إفريز إحدى نوافذ الطابق الثاني من القصر الذي يسكنه اليوناني سريفوس، لم تتم إضاءة أيٍّ من النوافذ المغلقة بإحكام في هذا الطابق، تلمَّس بريساك طريقه نحو السلم وهو يقول:

- سوف أصعد، سأقوم بقطع زجاج النافذة وفتحها من الداخل، بمجرد أن أختفي من أمامكم ستقوم ألكسندرا بالصعود بدورها.

ثم تسلق السلم بمهارة، كان السلم يهتز كثيرًا لدرجة أن □يكتور تساءل لو كان سيصمد فوق هذا الحديد، بعد مرور دقيقتين تمكن من الدخول من النافذة، ورأوه يميل نحوهم ممسكًا السلم بكلتا ذراعَيه الممدودتين.

- هل أنتِ خائفة؟ سأل □يكتور ألكسندرا.

- لقد بدأت أشعر بالخوف قليلًا، لكنه سيكون ممتعًا ما دامت ساقاي قويتين، ولن ينتابني الدوار.

صعدت بسرعة في البداية، ثم توقفت فجأة، اعتقد □يكتور أن ساقَيها بدأتا تضعفان وانتابها الدوار، استمر التوقف أكثر من دقيقة كاملة، شجعها بريساك بصوت منخفض. أخيرًا أكملت صعودها حتى وصلت إلى حافة النافذة.

خلال هذه الأيام الأخيرة في منزل بريساك، كان □يكتور يقول لنفسه في كثير من الأحيان:

- كلاهما سيصبح تحت قبضتي، لديَّ رقم الهاتف الخاص بالسيد غوتييه مدير البوليس، مجرد مكالمة بسيطة ويأتي ليعتقلهما متلبسين في المنزل، لن يظهر موليون في المشهد أبدًا، سيكون هذا الاعتقال هو نتاج مجهودات المحقق □يكتور من شرطة الآداب وحده.

إذا كان قد تجاهل هذا الحل الآن؛ فذلك لأنه يريد تسليم لوبين وهو في خضم عمله، كان لا بد من إلقاء القبض على السيد لوبين متلبسًا بالجرم المشهود، وأن يتم حبسه ومعاملته كما ينبغي أن تكون للص حقير، ألم يحِن الوقت إذن؟ ألم يقَع الشريكان في مصيدة الفئران؟ مع ذلك، لا يزال غير قادر على اتخاذ قراره. ناداه بريساك من أعلى، أشار له □يكتور أن ينتظر قليلًا، وتمتم:

- كم أنت على عجلة من أمرك يا صديقي! لذلك لا تخَف من الزنزانة مثل صديقتك الجميلة، هيا! استمتِع بمغامرتك الأخيرة قبل الراحة، قبل أن تزين الأصفاد يدك الماهرة.

ثم تسلق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل الحادي عشر

الكرب الشديد

(١)

- وأخيرًا يا صديقي العزيز، ما الذي كان يعيقك؟ سأل بريساك □يكتور عندما اقترب من النافذة.

- لا شيء، كنت أصغي السمع.

- إلى ماذا؟

- لا لشيء محدد، أنا أصغي السمع دائمًا، عليك أن تكون متيقظًا طوال الوقت.

- ياه! لا تبالغ يا صديقي. قال بريساك بنبرة توحي بالسخرية من هذه الاحتياطات.

من جانبه، كان حذرًا جدًّا في أثناء بحثه في جميع أنحاء الغرفة عن طريق مصباحه الكهربائي، رأى سجادة قديمة معلقة فوق الحائط؛ فقفز على كرسي والتقطها، ثم ثبَّتها فوق النافذة الزجاجية، وهكذا تم إغلاق كل الفتحات التي من شأنها أن تُخرِج الضوء إلى الخارج، ثم أضاء نور الغرفة، احتضن ألكسندرا وبدأ يراقصها برشاقة، ابتسمت الشابة بتساهُل، هذه الظاهرة المعتادة للوبين عندما يبدأ في العمل كانت تسعدها، بدلًا من ذلك، عبس □يكتور وجلس.

قال أنطوان بهدوء:

- اللعنة! هل هذا وقت الجلوس؟ هيا إلى العمل.

- أنا أعمل.

- طريقة غريبة للعمل.

- هل تتذكر إحدى مغامراتك، لا أتذكر اسمها حاليًّا، اقتحمت ليلًا مكتبة الماركيز، وأخذت تُحدِّق في المكتب بعض الوقت لتكتشف الدرج السري ([9])، أنا أحذو حذوك الآن وأفكر في الغرفة بينما ترقص، فأنا أتبع منهج لوبين، لا يُوجَد أفضل منه.

- منهجي هو السرعة، لدينا ساعة واحدة.

سأل □يكتور:

- هل أنت متأكد من أن الحارسين المحققين السابقين لا يقومان بجولات ليلية في القصر؟

- لا، لا، لا -أكد بريساك- إذا كان اليوناني قد نظَّم لهما جولات تفتيش كانا سيكتشفان بأنه يخفي شيئًا هنا، سأفتح الباب لرجالي وسأتفقد لو كان هناك أي محاولة من جانب الحراس.

حث الفتاة على الجلوس، ثم انحنى نحوها قائلًا:

- ألا تخافي من أن تكوني وحيدة يا ألكسندرا؟

- بلى.

- أوه! عشر دقائق، خمس عشرة على الأكثر، هل تودين أن يبقى صديقنا معكِ؟

- لا.. لا عليك، اذهبا، وأنا سوف أستريح بينما أنتظركما.

قام بفحص الخريطة التفصيلية للقصر، ثم فتح الباب ببطء. قادهما الممر الذي شكَّل غرفة انتظار صغيرة إلى باب ثانٍ ضخم، كان اليوناني سيرفوس يضطر إلى إغلاقه عندما كان يعمل في مكتبه، وكان مفتاحه في القفل.

وهكذا وصلوا إلى قمة الدرج، كان المكان مضاءً بشكل خافت بواسطة وهج يتصاعد من الأسفل.

نزلا متخذين احتياطات الحظر اللازمة كافة، وفي الدهليز بالقرب من المصباح المضاء، أشار بريساك لـ□يكتور على الخريطة إلى الغرفة التي كان ينام فيها الحارسان، كان عليك المرور من خلال هذه الغرفة للوصول إلى غرفة اليوناني سيرفوس.

وصلا إلى الباب الأمامي، كان هناك اثنان من الأقفال الضخمة فتحها بريساك بخفة، كان على اليمين رافعة تنظم جهاز الإنذار، سحبها إلى أسفل لتعطيلها. بالقرب من هذه الرافعة، يُوجَد زر ضغط عليه، والذي فتح بوابة الحديقة الصغيرة لشارع مايو.

بعد ذلك، سحب الباب ففتحه، ودفع رأسه للخارج مطلقًا صافرة ناعمة جدًّا، انضم إليه رجاله الثلاثة، بأجساهم الغليظة وشخصياتهم المتوحشة، لم يقُل بريساك كلمة واحدة، فكل شيء كان مرتبًا مسبقًا بينهما. أغلق الباب، وضغط الزر مرة أخرى لغلق البوابة الخارجية، ثم أمر □يكتور بصوت منخفض:

- سأرافقهم إلى غرفة الحراس، لا حاجة لك الآن، عليك فقط المراقبة.

واختفى مع شركائه.

بمجرد أن أصبح بمفرده على الفور وتأكد من أن لديه حرية كاملة للقيام بما يشاء، قام □يكتور بفتح الباب وجعله مواربًا، وقام بضغط الزر الذي يعمل على فتح بوابة شارع مايو مرة أخرى، وهكذا كان الدخول إلى القصر متاحًا، وهذا ما أراده.

ثم أخذ يسترق السمع جانب الغرفة، وقع الاعتداء كما قال بريساك بكل سهولة ودون تعقيدات. تم تقييد الحارسين في السرير بإحكام، هكذا كان الأمر مع سيرفوس اليوناني الذي بقي بريساك بالقرب منه لبضع لحظات.

قال بريساك عندما وجد □يكتور:

- لا شيء يمكنني معرفته من هذا الرجل، إنه نصف ميت من الرعب، خاصةً عندما أخبرته عن مكتبه في الطابق الثاني فقد وعيه، دعنا نصعد إلى أعلى مرة أخرى.

- ورجالك؟

- يجب أن يتم البحث بيننا فقط، أمرتهم ألا يغادروا الحجرة، وأن يحرسوا الأسرى الثلاثة، وفوق كل شيء لتجنُّب أدنى ضوضاء؛ لأن النساء اللاتي يقمن بالخدمة ينمن في الطابق السفلي.

ثم رجعا إلى ألكسندرا، في الجزء العلوي من الدرج، أغلق بريساك باب الغرفة الثقيل؛ حتى لا يتمكن شركاؤه من إزعاجه، في حالة وجود تنبيه سيكون عليهم فقط أن يطرقوا. لم تتحرك ألكسندرا من كرسيها، كان وجهها شاحبًا متوترًا.

- هل ما زلتِ هادئة؟ -قال لها □يكتور- أو انتابك الخوف؟

- نعم، نعم -قالت بصوت متغير- إن الخوف بدأ يتسرب إلى كل مسامي.

مازحها □يكتور:

- إنه وقت المرح! أرجو أن يستمر هكذا!

صاح بريساك:

- لكن خوفكِ هذا سخيف يا ألكسندرا، نحن كما في منزلنا هنا، الحراس مقيدون ورجالي في مواقعهم، حتى في أسوأ الحالات، السلم الموجود ها هنا يضمن هروبنا بسهولة، عليكِ أن تكوني هادئة، فلن يكون هناك تنبيهات أو هروب. معي لن يتم ترك شيء للصدفة.

وعلى الفور، بدأ جرد الغرفة.

قال □يكتور:

- إن المشكلة تكمن في العثور على حزمة صغيرة مسطحة بما يكفي، يتراوح طولها من عشرين إلى خمسة وعشرين سنتيمترًا، تحتوي على مجموع عشرة ملايين فرنك في صورة ما لا ندركها.

أخذ بريساك يعدد الأشياء بصوت منخفض بينما كان يسير:

- على المكتب جهاز الهاتف، وبضعة كتب، وحافظات، وفواتير

مدفوعة الأجر، ومراسلات مع اليونان، ومراسلات مع لندن،

ودفاتر الحسابات، لا شيء في الأدراج، ملفات أخرى، مراسلات أخرى، ليس هناك درج سري؟

قال □يكتور:

- لا.

- نعم، لا يُوجَد.

قال بريساك مؤكدًا بعد التحقق بنفسه من الخزانة وداخل الأدراج:

- رف الذكريات الذي احتفظ به اليوناني، صورة لابنته، صورة له

مع حفيدته (وهو يُربِّت عليهما كلاهما بالتساوي)، صندوق مجوهرات (فارغ ودون قاع مزدوج)، ألبوم بطاقات بريدية بمناظر طبيعية من اليونان وتركيا، ألبوم صور أطفال مع طوابع، كتب جغرافية

للأطفال، قواميس -يتصفح في أثناء حديثه- كتاب مصور، كتاب مقدس، صندوق ألعاب، خزانة مرآة صغيرة للدمى..

هكذا راح ينقب في أنحاء الحجرة جميعًا، يرفع الأثاث، يدق على الجدران، يفحص كل شيء تقع عليه عيناه، بينما □يكتور لم يتحرك من مكانه، وظل يراقب بريساك بعينين متيقظتين حتى إذا ما مضى وقت طويل، قال:

- بعد ساعة ستشرق الشمس، هل علينا أن ننسحب الآن؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(٢)

- هل أنت مجنون؟! أجابه أنطوان بريساك.

لم يكُن لديه شك في النجاح. انحنى نحو الأميرة قائلًا برفق:

- هل أنتِ على ما يُرام؟

تمتمت:

- لا، لا.

- ما الذي يزعجكِ؟

- لا شيء، لا شيء وكل شيء في نفس الوقت، هيا بنا نذهب.

أشار بغضب، وصاح:

- أوه! لقد أخبرتكِ بذلك، يجب على النساء البقاء في المنزل، خاصةً امرأة مثلكِ، متوترة وعصبية.

استأنفت بجزع:

- سأتحمل إذن، ولكن إذا عانيت أكثر، فسوف نغادر، أليس كذلك؟

- أوه! أقسم لكِ بذلك، بمجرد أن تطلبي ذلك سوف نغادر. لكن تحمَّلي قليلًا أتوسل إليكِ، سيكون من الغباء حقًّا أن نأتي إلى هنا للحصول على عشرة ملايين وأنا متيقن أنها هنا وتفلت من يدي، وأعود خالي الوفاض.

سخر □يكتور، بينما عاد بريساك إلى العمل:

- إن عملنا يمثل مشهدًا مؤلمًا لأي امرأة ياصديقي، هذه السرقة بالتأكيد تؤذيها.

- لماذا أتت إذن؟

نهض □يكتور فجأة من مكانه قائلًا:

- أنصِت.

ساد الصمت لحظات، ثم قال بريساك:

- لا أسمع شيئًا.

قال □يكتور:

- يبدو لي...

- من جانب قطعة الأرض الشاغرة؟ هذا يدهشني لقد أعدت السلسلة إلى الحاجز.

- لا، على جانب المنزل...

- ولكن هذا مستحيل! رد بريساك.

ساد صمت طويل لم يقطعه سوى صوت بحث بريساك المتصل، ثم سقط شيء ما على الأرض عن طريق الخطأ، وقفت الأميرة مرتعدة.

- ماذا هناك؟

- لنستمع. قال □يكتور مرة أخرى.

- ولكن لا يُوجَد شيء! قال بريساك.

- بلى، هناك شيء ما يحدث بالخارج، أنا متيقن من حقيقة ما سمعت.

قال بريساك بعصبية أكثر:

- اللعنة! دع عنك هذا الهراء، وساعِدني في البحث قليلًا.

لم يتحرك □يكتور من مكانه، بينما مرت سيارة بالأسفل وصدر صوت نباح كلب، فقالت ألكسندرا بدورها:

- أنا أيضًا أسمع.

قال □يكتور:

- لقد فاتك شيء يا بريساك، إن القمر قد ارتفع الآن وهو يلقي بأشعته على النافذة، وسوف يبدو السلم واضحًا للعيان.

- لا يهمني. صاح بريساك في عناد.

ومع ذلك أراد أن يتحقق من هذا القول، أطفأ النور، ودفع النسيج جانبًا، وفتح النافذة الزجاجية بخفة منحنيًا إلى الخارج، على الفور تقريبًا سمعه □يكتور وألكسندرا يطلق لعنة مكتومة، ماذا كان يحدث؟

ماذا رأى في الخارج، عاد بعد ثوانٍ وهو يقول ببساطة في الظلام:

- لقد اختفى السلم.

أطلق □يكتور بعض اللعنات بدوره، واندفع نحو النافذة هو أيضًا، ثم قال بدوره:

- لقد اختفى بالفعل.

كانت هذه مسألة غير مفهومة وغير متوقعة، وبعد أن أشعل □يكتور الضوء مرة أخرى، قال وهو يستنبط المعنى المروع لما حدث:

- السلم لن يتحرك من تلقاء نفسه، مَن أزاله إذن؟ هل هم رجال الشرطة؟ في هذه الحالة، لقد تم كشفنا، ونحن مهددون بالخطر، لا بد أنهم أدركوا إلى أيِّ طابق كان السلم يصل.

- ثم؟

- لذا حتمًا سيتم دخول القصر واكتشاف الأمر. علينا توقع الهجوم في أي لحظة، هل الباب الثاني مغلق هناك في نهاية الممر؟

- بالطبع!

- سوف يكسرونه. لو أنهم الشرطة حقًّا فسيكون هجوم مسلح، سوف نقع في الشَّرك كالأغرار، وسيتم اقتيادنا نحن الثلاثة كالأرانب إلى جحرها!

- هل تعتقد هذا؟ -احتج بريساك- هل تعتقد بأنني سأسمح لنفسي بأن أقع كالغر الساذج بمنتهى السهولة؟ أنا؟!

- ولكن كما ترى؛ لقد اختفى السلم.

- ماذا عن النوافذ؟

- نحن في الطابق الثاني والأرضيات مرتفعة جدًّا، ربما يمكنك أن تهرب بهذه الطريقة، لكن ليس نحن. علاوة على ذلك...

- علاوة على ذلك ماذا؟

- أنت تعلم أن المصاريع من الخارج متصلة بجهاز الإنذار، فهل يمكنك أن تتخيل لو أن الجهاز تم تفعيله في سكون الليل هذا؟

حدق بريساك في وجهه بنظرات نارية، لماذا يضيع هذا الرجل اللعين الوقت في وضع العوائق أمامهم بدلًا من البحث والمساعدة؟

جلست ألكسندرا على كرسي بذراعين وشدَّت قبضتَيها على خدَّيها. لم يكُن لديها أي أفكار سوى احتواء الخوف الذي كان يغلي داخلها. ولهذا لم تتحرك، ولم تقُل كلمة واحدة.

قام أنطوان بريساك بفحص إحدى النوافذ بحذر وبعناية من أعلى إلى أسفل، وفي جميع الأخاديد، ثم قال:

- إن الآلية التي تعمل بها أجهزة الإنذار مخفية في مكان ما، ولكن هناك سلك معدني يؤدي إلى الخارج، لا بد أنه ينتهي في الطابق الأرضي.

قطع السلك المعدني بسرعة باستخدام كماشة صغيرة، كل ما بقي لفعله هو دفع النافذة لتجربة إذا ما زال جهاز الإنذار مفعل أم تم فصله، لقد خاطر بهذه البادرة بلطف شديد، وفجأة دوى داخل الغرفة صوت جرس يدق بصوت منخفض.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

وبسرعة سحب بريساك المصاريع، وأغلق النافذة؛ لمنع الضوضاء والصوت من التسرب الي الخارج. لكن في الداخل ما زال الجرس يرن بإيقاع بدا أنه يتزايد من تلقاء نفسه.

قال □يكتور بصوت ثابت:

- هناك سلكان؛ أحدهما بالخارج قمت بقطعه، والآخر داخل الغرفة. لو استمر هذا الوضع؛ من المؤكد سيستيقظ سكان القصر خلال بضع دقائق.

- اللعنة!

تمتم بريساك بين أسنانه، وكان قد حمل بالفعل طاولة إلى زاوية الغرفة التي جاء منها الرنين، ووازن كرسيًّا فوق هذه الطاولة، ورفع نفسه فوقه حتى وصل إلى السلك الآخر وقطعه؛ فتوقفت تلك الضوضاء المزعجة على الفور.

قال □يكتور:

- لا يُوجَد خطر الآن، يمكننا التسلل من خلال هذه النافذة، لقد تأكدنا أن جرس الإنذار لم يعُد يعمل.

مشى بريساك نحوه، وأمسكه من ذراعه.

- سأذهب عندما يسعني ذلك، ولن أفعل حتى أجد حزمة عشرة الملايين.

- غير ممكن، لن تجدها.

- ولماذا؟

- ليس لدينا الوقت.

- ماذا تقول؟! -قال بريساك وهو يهزه في عصبية- كل ما تقوله غبي. السلم لا بد أنه قد انزلق فحمله أحدهم، مخاوفك ليست حقيقية، الحراس مقيدون ورجالي يراقبون، ليس علينا سوى الاستمرار في مهمتنا.

لوَّح بريساك بقبضته في وجهه واحتدم غيظًا:

- اذهب أنت إلى خارج النافذة يا صاحِ، أما ربحك فهو صفر! لماذا أنت مهتم بي الآن!

توقف عند سماع صفير بالخارج، قال □يكتور:

- هل سمعت هذه المرة؟

- نعم، إنه في الشارع، بعض المارة المتأخرين في العودة إلى منازلهم.

- أو الرجال الذين وجدوا السلم وهم في الباحة الشاغرة بالأسفل يبحثون عن الشرطة.

أصبح الوضع لا يُطاق، هناك خطر حقيقي ودقيق يواجههم لكن هذا الخطر كان كامنًا دون أن يعرف أحد من أين أتى أو ما طبيعته؟ كان بريساك يتساءل، هل هناك خطر بالفعل؟ خوف ألكسندرا المتزايد والسلوك الغريب لـهذا الرجل اللعين أزعجه وأغضبه في نفس الوقت، مرت حوالي خمس عشرة دقيقة ازدادت خلالها آلامهم غير المفهومة، ساد الصمت الغامض، وبهذه الأجواء الثقيلة المشحونة جال بأفكارهم الكثير من التهديدات التي خنقتهم. تشبثت ألكسندرا بظهر كرسي، عيناها مثبتتان على الباب المغلق الذي يمكن للعدو أن يأتي من خلاله في أي لحظة، استأنف بريساك عملية البحث، ثم تخلى عنها فجأة، بعدما شعر بعدم الراحة واضطرب عقله.

- تمت إدارة العملية بشكل سيئ. قال □يكتور.

اندلع غضب بريساك، وأمسك بالرجل العجوز.

رد □يكتور بسخرية:

- لقد تم وضع الخطة بشكل خطأ، لا نعرف إلى أين نحن ذاهبون ولا إلى متى سنستمر، إنها فوضى هنا، وعاء سلطة وليس معدًا بدقة أيضًا!

انهال بريساك عليه باللعنات والإهانات، ربما كان سيقاتله لو لم تركض ألكسندرا نحوهما لتفصلهما.

- لنذهب، إنني ما عدت أحتمل أكثر. صرخت بنفاد صبر.

- موافق لقد سئمت الأمر كله! صاح بريساك، وهو مستعد للاستسلام.

كان كلاهما متجهين نحو الباب، عندما قال □يكتور بنبرة عدوانية:

- أنا سوف أبقى.

- أبدًا! سوف تغادر أيضًا.

- أنا باقٍ، عندما أبدأ عملية ما لا بد أن أنهيها، تذكَّرْ كلماتك يا بريساك: عشرة الملايين هنا، ونحن نعلم ذلك، سوف تغادر خالي الوفاض؟ إنه ضد مبادئك، ومبادئي أيضًا.

رجع إليه بريساك:

- لم أحسبك جريئًا لتلك الدرجة! أتساءل حقًّا ما دورك المحدد في كل هذا؟

- دور رجل لديه عقل في رأسه.

- ما الذي تنوي فعله؟

- استئناف العمل على أسس جديدة، أكرر لك، لقد تم وضع الخطة بشكل خطأ، إعداد سيئ، وتنفيذ سيئ.

- أنت مجنون! يمكننا أن نبدأ مرة أخرى بالفعل، ولكن في وقت لاحق.

- وقت لاحق، ولكن بعد فوات الأوان! لا أبدًا، مرة أخرى على الفور.

- ولكن كيف ذلك؟

- أنت لا تعرف كيف تبحث ولا أنا، ولكن هناك متخصصون من أجل ذلك.

- متخصصون؟!

- في تلك الأيام لكل شيء متخصص، أنا أعرف شخصًا ما، سأتصل به.

اقترب من الهاتف، وأمسك السماعة:

- مرحبًا.

- ماذا تفعل؟!

- أفعل الشيء الوحيد الصحيح والمعقول، نحن هنا الآن، يجب أن نربح، ولا نخرج من هنا سوى بالملايين العشرة.

- مرحبًا يا آنسة، من فضلك أعطِني: (2400-22).

- مَن هو؟ قال بريساك.

- أحد أصدقائي وهو رجل شديد البراعة كما سترى، مرحبًا! هذا أنت أيها الرئيس، معك ماركوس أفيستو، أنا الآن في منزل رقم (98) مكرر شارع مايو، ستجدني في الطابق العلوي، تعالَ إلى هنا الآن وأحضِر معك بعض الرجال من بينهم لارمونت، ستجد باب الحديقة والمنزل مفتوحين، كما ستجد في الطابق الأرضي ثلاثة من أعوان أرسين لوبين، ومعي في الطابق الثاني ستجد أرسين لوبين نفسه مقيدًا كالمومياء.

تمهل □يكتور للحظة، أمسك السماعة بيده اليسرى، وباليمني صوب مسدسه إلى بريساك الذي اندفع للأمام محاولًا الانقضاض عليه، قبضتاه مشدودتان، قال □يكتور:

- قِف مكانك يا لوبين، وإلا أطلقت النار وقتلتك كالكلب.

ثم أكمل حديثه عبر الهاتف:

- فهمت أيها الرئيس، بعد ثلاثة أرباع الساعة ستكون هنا، لقد تعرفت صوتي، أليس كذلك؟ بلى ماركوس أفيستو، هذا يعني...

ثم توقف عن الكلام، وابتسم لبريساك والأميرة، وألقى بمسدسه في الطرف الآخر من الغرفة:

- □يكتور، محقق شرطة الآداب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل الثاني عشر

انتصار لوبين

(١)

□يكتور محقق شرطة الآداب! □يكتور الشهير، بفضل تنبؤاته الاستثنائية تم كشف الخدعة المعقدة لقضية سندات الدفاع، مَن كشف خلال أربع وعشرين ساعة أول ثلاثة حاملين للمغلف الأصفر؟!

مَن اكتشف قاتل الأب ليسكوت؟! مَن طارد البارون أوتري ودفعه إلى الانتحار؟! مَن أحبط مكائد فيليكس ديفال؟! مَن تنكَّر تحت قناع ماركوس أفيستو البيروفي لكشف الأميرة ألكسندرا ومساعد لوبين.

تحمَّل بريساك الصدمة ولم يبدُ عليه الانزعاج، وما لبث أن أخرج مسدسه بدوره، خمنت ألكسندرا هذه الحركة، فألقت بنفسها عليه مرعوبة وهي تصيح:

- لا، إلا هذا.

همس مخاطبًا إياها:

- أنتِ على حق، ستكون النتيجة نفسها.

سخر منه □يكتور:

- يا لها من نتيجة يا بريساك -ثم نظر إلى ساعته- لقد حُسِمت النتيجة مسبقًا، في الحقيقة، خلال أربعين دقيقة سيصل السيد غوتييه، مدير الأمن برفقة قوة من رجال الشرطة، وسيضع يده على كتف السيد لوبين العظيم.

- نعم، ولكن حتى ذلك الحين...

وقف بريساك على قدمَيه، ذراعاه متشابكتان فوق صدره العريض، بدا أكثر طولًا من خصمه، وظهرت قوته الهائلة بوضوح أمام هذا المحقق ذي الوجه المتجعد والأكتاف الضامرة، ومع ذلك قال □يكتور:

- حتى ذلك الحين، سوف تبقى هادئًا يا عزيزي لوبين، نعم، إنك تسخر من هذا القتال، مبارزة بين □يكتور ولوبين، والتي تراها غير متكافئة، ولكن أنت مخطئ يا عزيزي، ليس للعضلات شأن اليوم، إنما الفوز للعقل وحده الآن، ولقد خانك ذكاؤك الخارق يا لوبين منذ ثلاثة أسابيع، يا له من سقوط! كيف هذا؟ لوبين الشهير! لوبين الذي لا يُقهَر! آه! أتساءل إذا لم يكُن الحظ هو الذي أنقذك حتى الآن، وإذا كانت كل انتصاراتك وشهرتك تكونت من حقيقة أنك لم تجد أبدًا خصمًا قويًّا مثلي.

ضرب □يكتور على صدره مكررًا هاتين الكلمتين بصوت عالٍ:

- مثلي أنا! مثلي!

أومأ أنطوان بريساك برأسه، قائلًا:

- إنها لحقيقة، إنك أديت دورك جيدًا أيها الشرطي، كل ما بذلته من مجهود مع ألكسندرا لكسب ثقتها؛ سرقتك لمشبك الشعر، سرقتك لتاجر المسروقات الزائف، كل هذا ممتاز، مهمة فندق الكامبريدج،

والطريقة التي أنقذتنا بها! اللعنة! كيف يمكن ألا أثق في مثل هذا العرض العظيم؟!

نظر بريساك إلى ساعة يده، فقال له □يكتور ساخرًا:

- أنت ترتجف، هدِّئ من روعك يا عزيزي لوبين!

- أنا؟

- نعم أنت! ماذا ستفعل عندما تضع الشرطة يدها على عنقك؟

لقد كنت خائفًا طوال الوقت! وهذا ما أردته تمامًا؛ أن أوضح لك أنك لست سوى مخنث جبان، لقد عنيت بأن أُظهِرك على حقيقتك أمام ألكسندرا، ماذا؟! هل أرعبك اختفاء السلم إلى هذه الدرجة؟ لكنه على بعد متر من هنا فقط، حيث دفعته للخلف بقدمي وأنا أصعد فوق شرفة النافذة، لقد فقدت ثقتك في تلك اللحظة! والدليل أنك لم تحرك ساكنًا عندما اتصلت هاتفيًّا، ولم تحرك ساكنًا الآن.

ثم ضرب الأرض بقدمه، وصرخ:

- هيا أيها النذل، عشيقتك تراقبك! هل أنت مريض؟ أم أصابك الشلل؟ ألا تستطيع أن تقول كلمة واحدة؟!

لم يتحرك بريساك، غير مبالٍ بسخرية □يكتور، يمكن للمرء أن يصدق أنه حتى لم يسمعه، وبعد أن وجَّه عينَيه إلى ألكسندرا التي كانت واقفة تُحدِّق بعناد وقوة في المفتش □يكتور. ولآخر مرة نظر في ساعته، وقال من بين أسنانه:

- خمس وعشرون دقيقة، إنها أكثر بكثير مما أحتاج إليه.

قال □يكتور:

- أكثر من ذلك كثيرًا، فأنت تحتاج إلى دقيقتين ليس إلا؛ دقيقة للنزول من طابقين، وأخرى لمغادرة القصر برفقة أصدقائك.

قال بريساك:

- سأحتاج واحدة أخرى.

- لفعل ماذا؟

- لتلقينك درسًا.

- يا للشيطان! تقصد أنك ستضربني؟

- ضربًا مبرحًا أمام عينَي عشيقتي كما قلت، فعندما تصل الشرطة سيجدونك مجروحًا، مقيدًا ومكومًا على الأرض.

- والكارت الخاص بك عالق في حلقي، أليس كذلك؟

- خاصة الكارت الخاص بأرسين لوبين، أنا أحترم التقاليد جيدًا، ألكسندرا، افتحي الباب.

ولكنها لم تتحرك، ركض بريساك نحو الباب، وأخذت اللعنات تنهال من فمه على الفور:

- يا للشيطان! اللعنة! اللعنة مئة مرة، إنه مغلق بالمفتاح.

- كيف هذا؟! قال □يكتور ساخرًا: ألم تلاحظ أنني أغلقته؟

- أعطِني المفتاح.

- هناك اثنان؛ هذا الباب، والآخر في نهاية القاعة.

- أعطِني كليهما.

- أوه! سيكون ذلك أمرًا سهلًا للغاية، تهبط الدرج وتخرج من المنزل مثل رجل عادي يترك منزله؟ لا، يجب أن تعلم أنه بينك وبين الخروج من هنا قوة لا تُقهَر، وهي إرادة □يكتور، في النهاية، المغامرة بأكملها تنتهي كما تصورتها، أنت في مواجهتي أنا! لوبين أم □يكتور؟! لوبين الشاب مع ثلاثة شركاء من أصدقائه المسلحين، و□يكتور العجوز الأعزل بمفرده، وألكسندرا الفاتنة.

تقدَّم بريساك، عنيدًا متحفزًا، والشرر يقدح من عينَيه، بينما لم يتحرك □يكتور شبرًا واحدًا. لم يعُد هناك المزيد من الكلام ليُقال، والوقت ينفد، كان لا بد من ضرب □يكتور العجوز ومعاقبته وأخذ المفاتيح منه. قبل أن تأتي الشرطة، تقدَّم بريساك خطوتين أخريين، ضحك □يكتور بسخرية، قائلًا:

- إذن! ألن تأخذك الشفقة على شعري الأشيب...

تقدَّم خطوة أخرى، وفجأة قفز بريساك على خصمه بكل ثقله، ووجَّه إليه الضربة الأولى، تدحرجا فوق الأرض متشابكين، وأخذت المبارزة على الفور طابعًا وحشيًّا لا هوادة فيه، كان □يكتور يحاول تحرير نفسه، بدا من المستحيل التخلص من قبضة بريساك القوية.

كانت ألكسندرا تُحدِّق في المشهد برهبة، ولكن من دون حركة، كما لو أنها لا تريد التأثير على النتيجة، هل كانت تترقب فعلًا أيهما سيهزم الآخر؟ كان الأمر يبدو وكأنها تنتظر أن تعرف بلهفة قلقة.

لم تدُم لهفتها طويلًا، فعلى الرغم من تفوُّق بريساك الجسدي، وعلى الرغم من عمر □يكتور المتقدم، فقد كان □يكتور هو الذي نهض بكامل طاقته، لم يكُن يلهث حتى، وعلى شفتَيه ابتسامة ودية على غير عادته، وكأنه قد عفا عنه، وأفلته لإشفاقه على حالته؛ مثلما يفعل مصارع السيرك عندما ينهزم خصمه، بينما استلقى الآخر منهكًا مصابًا بكدمات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

(٢)

كان وجه ألكسندرا ينم عن دهشة بالغة، من الواضح أنها لم تشك في هزيمة أنطوان بريساك للحظة، وأن هذا الجسد الممتد أمامها بدا وكأنه مشهد لا يمكن تصوُّره.

قال □يكتور، الذي وضع يده في جيوب بريساك؛ ليُخرِج منها أي أسلحة مخبأة، مسدس وخنجر:

- أيدهشكِ هذا المنظر؟ لا تقلقي؛ إنها ضربة فعالة التأثير لا تخيب أبدًا، لكمة قوية في الصدر، ليست خطيرة، إنها فقط مؤلمة، لن يلبث أن يفيق تمامًا بعد ساعة من الآن، مسكين يا لوبين!

لكنها لم تكُن قلقة. كانت قد اتخذت قرارها بالفعل بشأن الحدث، أخذت تفكر فقط فيما يمكن أن تكون نوايا هذا الشخص المذهل الذي يثير حيرتها مرة بعد أخرى:

- ماذا ستفعل به؟

- ماذا؟ خلال ربع ساعة ستُكبَّل يداه، ويصبح بين يدَي العدالة.

- لا تفعل ذلك، دعه يذهب.

- لا.

- أرجوك، أتوسل إليك أن تتركه.

- لا تتوسلي نيابةً عن هذا الرجل، ولكن توسلي من أجلكِ أنتِ.

- لا يهمني أمري، افعل بي ما تريد.

كانت تتحدث بهدوء غريب بالنسبة لامرأة كانت ترتجف من الخوف منذ قليل، ويهددها خطر وشيك. كان هناك تحدٍّ بل وغطرسة في نظرة عينها الهادئة، اقترب منها، وقال بصوت خفيض:

- ما أريده حقًّا هو أن تغادري، ودون تأخير دقيقة واحدة.

- لا.

- بمجرد وصول رؤسائي إلى هنا، لن أستطيع الدفاع عنكِ، غادري.

- لا، لقد عرفتك جيدًا، فكل ما رأيته من أفعالك يثبت لي أنك تتصرف دائمًا كما يحلو لك، بغض النظر عن رأي الشرطة، بل تتصرف ضدهم أحيانًا لو كان الأمر يصب في مصلحتك، دع أنطوان بريساك يذهب وإلا سأبقى.

استشاط □يكتور غضبًا وهو يقول:

- أنتِ تحبينه إذن؟

- ليس هذا هو السؤال الصحيح. أنقِذه.

- لا.

- إذن سأبقى.

- اذهبي.

- لن أرحل دونه.

- حسنًا، فليكن إذن! -صاح غاضبًا- لكن فلتعلمي أنه لا تُوجَد قوة في العالم يمكنها أن تجبرني على أن أدعه يهرب. أتسمعينني؟ منذ شهر وأنا أعمل من أجل هذه اللحظة فقط! كل حياتي تميل إلى هذه الغاية، لاعتقاله! لكشفه على حقيقته! أكرهه؟ نعم! ولكن قبل كل شيء أنا أحتقره، أحتقره بشدة.

- تحتقره؟! لماذا؟

- لماذا؟ سأخبرك؛ لأنك لم تستشعري الحقيقة أبدًا، مع أنها واضحة للغاية.

كان بريساك في تلك اللحظة يحاول الاستيقاظ، وجهه شاحب للغاية ويتنفس بصعوبة، جلس في مكانه وكان واضحًا أنه لا يفكر بشيء سوى الهروب، وأنه أدرك هزيمته التي لا يمكن إصلاحها، أمسك يكتور بوجه الأميرة بكلتا يدَيه، وهتف بصرامة:

- لا تنظري إليَّ، ولا تسأليني بعينَيكِ القتالة الجشعة أن أعفو عنه، لست أنا الذي يجب أن تنظري إليه، إنه هو، هذا الرجل الذي تحبينه، أو بالأحرى أسطورته التي تحبينها، شجاعته التي لا تُقهَر، أفكاره المتجددة، ومغامراته الساحرة، لكن انظري إليه الآن وهو طريح كالخنزير الذبيح، اعترفي بخيبة أملكِ، لقد كنتِ تتوقعين ما هو أفضل، أليس كذلك؟ أهذا هو لوبين، مَن تمكن من عقلكِ وقلبكِ؟

ضحك بخبث وهو يشير بإصبعه إلى لوبين المهزوم:

- أهذا هو لوبين؟! دعيني لا أتحدث عن أخطائه منذ بداية القضية، الثغرات التي استطعت أن أنفذ إليه بها، من خلالك أولًا، ثم مباشرةً إلى منزله في نويي، حتى هذه الليلة، ماذا فعل لمدة ساعتين؟ كان كالدمية أُلوِّح بها كما يحلو لي، بينما كنت أناوره وأثير الرعب في نفسه، كان يهذي بكلام ليس له معنى كالمجنون، انظري إليه، أهذا لوبين؟ ما إن يتلقي لكمة واحدة حتى يشحب وجهه وكأنه سيتقيأ! لوبين الذي أعرفه لا يقبل الهزيمة، فكلما ضاق به الخناق، يشتد صلابةً أكثر.

همست ألكسندرا متلعثمة:

- ماذا تريد أن تقول؟ بماذا تتهمه؟

- أنتِ مَن تتهمينه.

- أنا؟ كيف هذا؟! أنا لا أفهم!

- نعم، الحقيقة في اعتقادكِ أنتِ، هل تؤمنين حقًّا أن هذا الرجل يمتلك العظمة التي تنسبينها إليه؟ هل هذا هو الشخص الذي أعجبك؟ هل هو زعيم حقيقي؟ هذا المغامر المبتذل؟ الزعيم الحقيقي يمكن التعرف إليه بعلامات معينة! كيف لم تري ذلك؟ أنتِ مَن تتهمينه بأنه أرسين لوبين وليس أنا!

- ماذا تريد أن تقول؟ -كررت بعنف- إذا كنت مخطئة، قل لي مَن هو؟

- أنطوان بريساك.

- مَن أنطوان بريساك إذن؟

صاح □يكتور منفعلًا:

- إنه أنطوان بريساك لا أكثر، مجرد سارق حقير، عندما لا يملك المرء أكثر من بعض الإمكانات المتوسطة، وعقلًا متواضعًا؛ لا يجد أمامه سوى اللجوء للشهرة الكاذبة، يستطيع استمالة قلب أي امرأة بين عشية وضحاها، ينظر لعينها، ويهمس كاذبًا بشغف: أنا لوبين!

خاصةً لو كانت هذه المرأة قد عانت من الفقد، وتجرعت قسوة الدهر، وأنها تبحث عن عواطف تفتقدها، تبحث عن شيء غير عادي ومستحيل؛ لذلك ترى فيه لوبين البطل، مَن يتفوق الخير داخله على الشر، حتى يأتي يوم ويهزمه الواقع فيسقط مثل الدمية.

احمر وجهها خجلًا، وتمتمت في حزن:

- أوه! هل يُعقَل هذا؟

- أديري رأسكِ نحوه كما طلبت منكِ منذ البداية، وستكونين على يقين من ذلك.

صدمها الواقع، حملقت بوجه □يكتور بعينَيها الناريتين، كانت أفكار كثيرة ومشوشة تغزو رأسها تدريجيًّا.

قال لها:

- اذهبي بعيدًا، لا بد أن رجال بريساك يعرفونكِ، وسيسمحون لكِ بالمرور، وإلا فإن السلم في متناول يدي...

- وما الفائدة؟! أنا أُفضِّل الانتظار.

- انتظار ماذا؟ قدوم الشرطة؟

قالت وهي شاردة:

- الأمر سيان بالنسبة لي.. أتمنى فقط ألا...

- ماذا؟

- إن الرجال الثلاثة في الطابق السفلي متوحشون، عندما تصل الشرطة يمكن أن تكون هناك معركة، ربما ضحايا يجب ألا...

شاهد □يكتور بريساك الذي بدا أنه لا يزال يعاني من الألم، وغير قادر على بذل أي جهد؛ فاتجه إلى الباب، ثم ركض إلى نهاية القاعة، أطلق صافرة صغيرة؛ فصعد أحد الرجال الثلاثة بعجلة.

- اخرجوا من هنا بسرعة، الشرطة قادمة! تذكَّرْ جيدًا، عندما تغادر، اترك الباب مفتوحًا، وبوابة الحديقة.

ثم عاد إلى المكتب.

لم يتحرك بريساك من مكانه، ألكسندرا لم تقترب منه. لم يتبادلا نظرة واحدة كاثنين من الغرباء.

مرت دقيقتان أو ثلاث دقائق، كان □يكتور يسترق السمع، سمع ضجيج المحرك، توقفت سيارة في الطريق أمام القصر ثم السيارة الثانية.

تشبثت ألكسندرا بمؤخرة الكرسي، وخدشت أظافرها القماش وشحب وجهها أكثر، ترددت أصوات في الطابق السفلي. ثم ساد الصمت.

تمتم □يكتور:

- يفتش السيد غوتييه وعملاؤه الغرف، لا بد أنهم وجدوا الحراس والرجل اليوناني.

في هذه اللحظة وجد أنطوان بريساك القوة للنهوض والمشي؛ فاتجه إلى □يكتور، كان وجهه مكسوًّا بالألم أكثر من الخوف، قال متلعثمًا، مشيرًا إلى ألكسندرا:

- ماذا سيحدث لها؟

- لا تقلق بشأن ذلك يا لوبين المزيف، لم يعُد هذا من شأنك. فكِّر في نفسك فقط. بريساك هو اسم مزيف، أليس كذلك؟

- بلى.

- والحقيقي، هل يمكننا إيجاده؟

- غير ممكن.

- ألم ترتكب أي جرائم من قبل؟

- لا، ما عدا طعن بيميش. ولا يُوجَد حتى الآن دليل على أنني أنا مَن قمت بذلك.

- عمليات السطو؟

- لا يُوجَد دليل قوي ضدي.

- باختصار ستنال بضع سنوات في السجن.

- لا أكثر.

- أنت تستحقها، وبعد؟ إلى ماذا تسعى؟

- سندات الدفاع.

- هل تضعها في مخبأ آمن؟

ابتسم بريساك.

- على الأقل أفضل من أوتري، ليس في سيارة الأجرة.

- ربَّت □يكتور على كتفه.

- تعالَ إلى هنا، سنصلح ما فعلته، لن أكون خبيثًا معك، لقد أزعجني سرقة اسم لوبين، وإنزال رجل في مثل حجمه ومكانته لمستواك، وهذا ما لن أسامحك به، ولهذا السبب سأسلمك للشرطة لتنال منك، ولكن بسبب إجادتك في التوصل إلى مخبأ السيارة الأجرة، وحفظك لتلك السندات، ولو التزمت بما سأمليه عليك؛ فسوف أخبرك بالحقيقة وأساعدك.

ارتفعت الأصوات في أسفل السلم، قال □يكتور:

- إنهم يقتربون، يفتشون الدهليز، ويصعدون إلى الطابق العلوي.

بدا وكأنه ينتقل بفرح مفاجئ من مكان إلى آخر، وبدأ بدوره يرقص بخفة وحركات مدهشة، كان مشهدًا هزليًّا، هذا الرجل العجوز ذو الشعر الرمادي يرقص بفرح، ويقول ساخرًا:

- تعلم يا عزيزي أنطوان، هذا ما يُسمَّى خطوة على طريقة لوبين! لا شيء مشترك بين خططك الطفولية تلك وبين لوبين، فلوبين يقف وحده بكل جرأة الآن ينتظر الشرطة، محاطًا بأعدائه، لا يُوجَد □يكتور محقق شرطة الآداب، إنه فقط لوبين، لوبين و□يكتور شخص واحد. إذا كنتم تريدون اعتقال لوبين، فاعتقلوا □يكتور.

توقف فجأة أمام بريساك، وقال له:

- أستطيع الآن فقط أن أعفو عنك، فقط لمنحي دقيقة كهذه، سأخفض عقوبتك من سنتين إلى سنة واحدة في السجن، وبعد انقضاء عام سآتي لتهريبك. تلعثم بريساك في حيرة:

- مَن أنت؟

- لقد قلت لك للتو أيها المغفل.

- ماذا؟! ألست □يكتور أيضًا؟

- كان هناك بالفعل □يكتور هوتين، موظف مدني استعماري، ثم محقق أمني في شرطة الآداب، لكنه مات وترك لي أوراقه في نفس الوقت الذي كنت أرغب خلاله في الاستمتاع بلعب دور ضابط شرطة؛ تذكَّرْ جيدًا، لا تنطق بكلمة مما سمعته للتو، دعهم يطلقون عليك لوبين، هذا أفضل لك، ولا تأتِ على ذِكر منزلك الصغير في نويي، ولا تنطق بكلمة ضد ألكسندرا، مفهوم؟

اقتربت الأصوات، توجه □يكتور الذي كان سيقابل السيد غوتييه حالًا إلى الأميرة الشابة وهو يمر من أمامها:

- لا بأس، اخفي وجهكِ خلف منديلكِ، ولا تخافي.

- لم أعُد أخاف من أي شيء.

دخل السيد غوتييه مسرعًا برفقة لارمونت وضابط شرطة آخر، توقف على عتبة الغرفة، وحدّق في المشهد بارتياح.

- يا إلهي! ما أروع هذا يا □يكتور! هل هذا هو لوبين؟

- إنه هو يا سيدي، تحت اسم أنطوان بريساك.

حدَّق السيد غوتييه في الأسير، وابتسم في وجهه وديًّا، وأمر العميل بمساعدته على الوقوف وإحالته إلى السيارة المصفحة بالخارج.

- مرحى يا □يكتور، إنه أمر رائع، القبض على أرسين لوبين الشهير، أرسين لوبين العالمي، اللص الذي لا يُقهَر مكبل بالأغلال الآن، لقد انتصرت الشرطة، تم إلقاء القبض على أرسين لوبين بواسطة □يكتور محقق بوليس الآداب، يا إلهي! إنه اليوم الموعود! سيُخلَّد هذا اليوم في تاريخ العدالة، أخبِرني يا □يكتور، هل كان سهل الانقياد؟

- مثل الخروف يا سيدي.

- تبدو حالته سيئة للغاية.

- كان عليَّ تلقينه درسًا بسيطًا.

التفت السيد غوتييه إلى ألكسندرا، التي كانت منحنية ومنديلها فوق عينَيها.

- ومَن هذه المرأة يا □يكتور؟

- عشيقة وشريكة لوبين.

- سيدة السينما؟ المرأة التي تمت رؤيتها في الكوخ، وبشارع فوجيرارد؟

- نعم سيدي.

- أهنئك يا □يكتور، يا لها من ضربة موفقة! سوف تخبرني عنها بالتفصيل، أما بالنسبة لسندات الدفاع؛ فقد حفظها لوبين في مكان آمن بالتأكيد، أليس كذلك؟

صاح □يكتور:

- إنها في جيبي يا سيدي.

ثم أخرج من جيبه ظرف السندات التسعة.

قفز بريساك على الفور، مستاءً، صرخ به □يكتور.

- أيها الأحمق اللعين، أخيرًا تحركت من مكانك؟! لقد قلت إنك تحتفظ بهم في مخبأ آمن؟ داخل شق قديم في منزلك؟! أهذا ما تسميه مخبأً آمنًا؟ لقد اكتشفت مكانهم منذ الليلة الأولى.

تقدَّم نحو أنطوان بريساك، وقال بصوت خفيض؛ حتى لا يسمعه أحد:

- اخرس، سوف أعوضك، فقط سبعة أو ثمانية أشهر في السجن لا أكثر، وعندما تخرج ستحصل على معاش تقاعدي جيد مئة بالمئة، ومتجر للتبغ.

جاء بقية الرجال ومعهم اليوناني سيرفس يستند إلى حارسَيه، وما إن وقع بصره على بريساك حتى صاح:

- إنه هو، لقد تعرفت إليه، هو الذي ضربني وأوثقني.

لكنه أمسك عن الكلام فجأة مذعورًا، كان عليهم إسناده وهو يشير نحو الرف الذي يجاور مكتبه، وهو يرتجف:

- لقد سرقوا مني عشرة ملايين! ألبوم الطوابع البريدية! مجموعة لا تُقدَّر بثمن! يمكنني عرضه للبيع مقابل عشرة ملايين، لقد عرضوا عليَّ عشرين مليونًا ذات مرة، إنه هو مَن فعل ذلك! أعِد لي أموالي أيها البائس! عشرة ملايين!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فتشوا بريساك الذي لم يُبدِ أي مقاومة تحت هذه الفوضى العارمة. شعر □يكتور بنظرتين عنيدتين تثقلان على صدره، نظرة ألكسندرا التي أزاحت منديلها جانبًا، ورفعت رأسها إليه ونظرة لبريساك الذي كان يُحدِّق به بذهول. عشرة الملايين اختفت! ولكن في هذه الحالة؟ تبلورت أفكار بريساك، وتلعثم ببضع كلمات، وكأنه على وشك أن ينطق بصوت عالٍ ليدحض هذا الاتهام، ويدافع عن نفسه، ويدافع عن ألكسندرا.

لكن عيون □يكتور المثبتة بقوة على بريساك كانت مستبدة للغاية، لقد كان لدى هذا الرجل تأثير عميق على مَن حوله، حتى إنه التزم الصمت، فقبل أن يتهمه بأنه سرقها كان عليه أن يفكر قليلًا، كان عليه أن يفهم، ولكنه لم يستطِع أن يفهم! كيف اختفت عشرة الملايين وهو وحده الذي كان يبحث، ولم يكتشف أي شيء، ولم يتحرك □يكتور من مكانه.

أومأ □يكتور برأسه، وقال:

- إن تأكيدات السيد سيرفوس تدهشني، لقد رافقت أنطوان بريساك إلى هنا، ولم أتوقف عن مراقبته في أثناء بحثه لحظة واحدة، لكنه لم يجد شيئًا.

- ولكن...

- ومع ذلك كان هناك ثلاثة مساعدين برفقته، ولكنهم فروا، أنا أعرف أوصافهم، لا شك أنهم هم الذين أخذوا المال مسبقًا، أو بالأحرى هذا الألبوم الذي يتحدث عنه السيد سيرفوس.

هز بريساك كتفَيه في اندهاش، كان يعلم جيدًا أن شركاءه الثلاثة لم يدخلوا هذه الغرفة، ومع ذلك لم يقُل شيئًا، لم يكُن هناك شيء يستطيع إنقاذه، من ناحية كان هناك القضاء وسطوته، ومن ناحية أخرى كان □يكتور، وقد اختار □يكتور.

انتهى كل شيء في الثالثة والنصف صباحًا، وقرر السيد غوتييه اصطحاب أنطوان بريساك وعشيقته إلى الشرطة القضائية؛ لاستجوابهما دون تأخير.

بقي اثنان من رجال الشرطة برفقة اليوناني سيرفوس والحراس، اصطحب السيد غوتييه، واثنان من المحققين بريساك إلى إحدى سيارات المقاطعة، كما تولى □يكتور ولارمونت وضابط آخر مسئولية الشابة في سيارة أخرى، وبعد قليل كانت سيارتا الشرطة تمضيان في طريقهما إلى شرطة المقاطعة، هبط الفجر فأزال عتمة الليل وعمت نسمة باردة الهواء.

عند شارع (هنري مارتين) اتخذت السيارات مسارًا آخر.

ظلت ألكسندرا هادئة تخفي وجهها بالمنديل، وتجلس في الخلف بالقرب من النافذة المفتوحة، كانت ترتجف من البرد، رفع □يكتور زجاج النافذة، لاحقًا عندما اقتربوا من شرطة المقاطعة أمر السائق بأن يقف، وقال للارمونت:

- نحن نتجمد، يمكننا أن نشرب شيئًا للتدفئة، ما رأيك؟

- نعم، فكرة جيدة.

- اذهب وأحضِر لنا كوبين من القهوة. أنا لن أتحرك من هنا.

كانت شاحنات تجار الخضار العملاقة قادمة من (لي هال) ([10])، وتوقفت أمام تاجر نبيذ كان بابه مواربًا، هبط لارمونت في اتجاههم بسرعة، بعدها مباشرةً، أرسل □يكتور أيضًا المفتش الآخر:

- أوصى لارمونت بأن يجلب الكرواسون معه أيضًا، ودعونا نسرع!

فتح النافذة التي كانت تفصله عن السائق، ومد ذراعه، وعندما استدار الرجل فاجأه بلكمة قوية تحت ذقنه، ثم فتح الباب على الجانب المقابل للرصيف، هبط ثم صعد إلى السيارة مرة أخرى من الباب الأمامي، أمسك بالسائق فاقدًا الوعي، وألقاه خارج السيارة على الرصيف، ثم أخذ مكانه خلف عجلة القيادة، كان الرصيف فارغًا، فلم يرَ أحد المشهد.

انطلق بالسيارة مضاعفًا سرعته على طول شارع ريفولي وشارع الشانزليزيه مستكملًا الطريق إلى نويي وشارع (دي رول)، حيث يقع منزل بريساك الصغير.

- هل لديكِ المفتاح؟

- نعم.

قالت ألكسندرا التي بدت هادئة للغاية.

- يمكنكِ الإقامة هنا لمدة يومين دون خوف، ثم عليكِ اللجوء إلى أي صديقة من صديقاتكِ حتى تدبري أمركِ بالسفر إلى الخارج. سأراكِ مرة أخرى، وداعًا.

انطلق مبتعدًا ولا يزال في سيارة شرطة المقاطعة؛ في ذلك الوقت كان مدير الشرطة القضائية قد تم إخطاره بالفعل عن أمر هروب □يكتور بصحبة المتهمة، ذهبوا إلى منزله، كان الخادم العجوز قد غادر في الصباح برفقة سيده، وعدد قليل من الطرود والأوراق في سيارة شرطة المقاطعة، والتي تم العثور عليها مهجورة في منتصف غابة فانسن، ماذا يعني هذا؟

تحدثت الصحف المسائية عن المغامرة بأكملها دون تقديم أي فرضية معقولة عن السبب الحقيقي لهذا الفرار.

لم يتم حل اللغز إلا في اليوم التالي؛ من خلال الرسالة الشهيرة من أرسين لوبين التي نقلتها وكالة هافاس إلى العالم بأسره، والتي أنتجت هذه العاصفة المدوية من الفرح والدهشة:

هذا هو المحتوى الدقيق للرسالة:

«يجدر بي أن أعلن على الملأ أن دور المحقق □يكتور بشرطة الآداب قد انتهى الآن، لقد كانت مهمته في الآونة الأخيرة منصبة على: أولًا: قضية سندات الدفاع واقتفاء أثر أرسين لوبين؛ لكي لا تبقى الشرطة والجمهور منغمسين في غياهب الظلام بعد الآن، ثانيًا: كان يعمل على كشف قناع السيد أنطوان بريساك الذي اغتصب اسم أرسين لوبين المحترم وشخصيته اللامعة، وقد جابه □يكتور هذا

الاحتيال بقوة تثبت تمرُّده ضد هذه الأعمال، اليوم بفضل □يكتور فإن لوبين الزائف خلف القضبان، أما □يكتور محقق شرطة الآداب نفسه فقد اختفى بعد أن أنجز مهمته، ولكنه لا يريد لسمعته الممتازة وشرفه كشرطيًّا أمينًا أن يمسهما أي قدر من الإهانة، أو تدنسهما أي أقاويل باطلة؛ مما دفع وازع ضميره للعمل لدرجة تثير الإعجاب، لم يرغب في الاحتفاظ بسندات الدفاع الوطني التسعة بحوزته، فقد سلَّمها إليَّ مع تعليمات شديدة اللهجة بسرعة إرسالها إلى شرطة المقاطعة.

أما بالنسبة لقضية عشرة الملايين، فقط استطاع فك طلاسمها بمفرده، وكان هذا بمثابة إنجاز صغير يجب أن نكون على دراية بتفاصيله، فلو أردنا معرفة مكان سري لرجل يجلس على كرسي متحرك؛ فإننا بذلك قد قطعنا نصف الطريق، فالأماكن البسيطة التي تكون في متناول يده ليست بالكثيرة، دعونا نرجع الآن لبداية القضية، يحمل أحد ملفات السيد سيرفوس، والذي كان وجهة بحث أنطوان بريساك، هذا العنوان: ملف «أ. ل. ب»، وقد فسره بريساك على أنه: «ملف ألبانيا»، ولكن عندما قام بريساك بعملية جرد لمحتويات الغرفة بصوت عالٍ في تلك الليلة بشارع مايو داخل غرفة المكتب، ذكر من بين الهدايا التذكارية: ألبوم الصور، وألبوم الطوابع البريدية، وبالفعل كانت هذه الكلمات القليلة كافية لتنوير العقل اليقظ لـ□يكتور، فقد أدرك □يكتور على الفور أن تفسير أنطوان بريساك كان خطأً، وأن هذه الأحرف الثلاثة ما هي إلا الأحرف المُكوِّنة لكلمة «ألبوم»، عشرة الملايين التي شكلت نصف ثروة السيد سيرفوس، لم تكن ضمن ملف ألبانيا، ولكن ببساطة في ألبوم صور يتكون من مجموعة من الطوابع البريدية النادرة للغاية، التي تبلغ قيمتها السوقية عشرة ملايين، ألم يُعَد هذا اكتشافًا غريبًا كلمحة سريعة في أعماق الغموض؟ حركة بسيطة قام بها □يكتور خلال تخبطات المجيء والذهاب، مكَّنته من سحب ألبوم الطوابع البريدية ووضعه في جيبه دون ملاحظة أحد.

ألم يمنح هذا الاكتشاف العبقري لـ□يكتور حقًّا لا يقبل الجدل في الاحتفاظ بالملايين العشرة؟ في رأيي أنا نعم. أما بالنسبة لـ□يكتور فلا؛ فضميره يعمل بحساسية مفرطة، ولذلك أصر على تسليمي ألبوم الطوابع البريدية بجانب سندات الدفاع الوطني، وبالتالي تظل يداه خالية من أي وصمة عار مهنية.

في الصباح الباكر سيتم إرسال سندات الدفاع إلى السيد غوتييه مدير الشرطة القضائية، مع خالص المحبة والامتنان من □يكتور، أما بالنسبة للملايين العشرة، التي احتفظ بها السيد سيرفوس رغم ثرائه الفاحش دون مبرر تحت مسمى مجموعة غير مجدية من الطوابع البريدية، أعتقد أنه لا بد لي من إعادة توزيعها بنفسي بشكل صحيح، إنه واجب مقدس سأؤديه بولاء كامل حتى آخر بنس.

كلمة أخرى، لو أن المحقق □يكتور قد خاض تلك المعركة بهذه الطاقة الشرسة والحماسة المشتعلة؛ فقد كان ذلك من باب الكياسة والشهامة تجاه السيدة التي كان معجبًا بها منذ اليوم الأول في السينما، مَن كانت ضحية المحتال أنطوان بريساك، الذي خدعها بانتحال شخصية أرسين لوبين، ولذلك بدا لي أنه من الصواب أن أعيدها إلى حياتها كونها سيدة عظيمة وامرأة شريفة، إلى حريتها ومكانتها في المجتمع، ولهذا السبب أطلقت سراحها. فلعلها تتقبل الآن في ملاذها المصون الذي لجأت إليه وداع □يكتور محقق الشرطة والبيروفي ماركوس أفيستو، وخالص مشاعر الاحترام والود من أرسين لوبين الحقيقي».

في اليوم التالي لنشر الرسالة، تلقى مدير الشرطة القضائية بالبريد المسجل سندات الدفاع الوطني التسعة، وورقة إضافية تُقدِّم توضيحات موجزة للشرطة عن وفاة إليز ماسون، التي قُتِلت على أيدي البارون أوتري، أما الملايين العشرة التي احتفظ بها أرسين لوبين لنفسه وعمل على إعادة توزيعها السليم لصالح المجتمع، فلم نسمع بها مرة أخرى.

يوم الخميس التالي حوالي الساعة الثانية بعد الظهر، غادرت الأميرة ألكسندرا باسيليف شقة صديقة قد طلبت اللجوء إليها، وسارت لفترة طويلة في حديقة التويلري، ثم اتخذت شارع ريفولي.

كانت ترتدي ملابس بسيطة، ولكن كما هو الحال دائمًا، لفت جمالها الفريد والرائع الانتباه. لم تكُن تهرب منهم، لم تكُن مختبئة، مما كان عليها أن تخاف؟ لن يعرفها أيٌّ من أولئك الذين كانوا يشكون في وجودها، لا الإنجليزي بيميش ولا أنطوان بريساك يستطيعان الإبلاغ عنها بعد الآن.

في الساعة الثالثة دخلت ميدان سان جاك الصغير. كان هناك رجل جالس على أحد المقاعد في ظل البرج القديم، ترددت في البداية. هل كان هو؟ لقد كان يشبه البيروفي ماركوس أفيستو إلى حد ما، ويشبه المحقق □يكتور قليلًا أيضًا! كم كان أصغر وأكثر أناقة من ماركوس أفيستو، أرقى وأكثر مرونة وتميزًا من □يكتور! لطالما أربكها هذا الشباب الجامح والإغواء اللطيف أكثر من أي شيء.

التقت أعينهما، لم تكُن مخطئة، لقد كان رجلًا آخر، لكنه كان هو. جلست جانبه دون أن تنبس ببنت شفة، وهكذا ظلا صامتين، كلٌّ منهما قريب من الآخر، جمعتهما عاطفة لا نهائية وفصلت بينهما في الوقت ذاته، وكأنهما يخشيان كسر التعويذة السرية التي تربطهما معًا.

وأخيرًا قال:

- نعم، منذ أن وقعت عيني عليكِ أول مرة في السينما، انجرفت خلفك كليةً، فلو أنني تابعت هذه المغامرة بأكملها من البداية فسيكون السبب الحقيقي هو الركض خلف تلك النظرة الساحرة، ولكن كم عانيت وأنا أؤدي هذا الدور المزدوج، وقد اضطررت إلى القيام به من أجل الاقتراب منك!

- لا أنكر أنه في وقت لاحق استفزني هذا الأفاق الخائن وكرهته بشدة، وفي الوقت نفسه شعرت بالفضول والعطف تجاه المرأة التي خدعها باسمي، انتابني شعور مختلط من الحنان إليها والغضب منها، هذا الشعور لم يكُن في الأساس سوى حب جارف وعميق، لم يكُن يحق لي أن أقدمه لها في ذلك الوقت، ولكني جئت اليوم لأقدمه بين يدَيها.

توقف عن الكلام، لم يتوقع إجابة حتى إنه لم يكُن يريد إجابة، بعد أن تحدَّث نيابةً عن حاله وعبَّر عما يجول في خاطره، تحدَّث نيابةً عنها دون أن تفكر للحظة في معارضة كلماته العذبة التي كانت تتسلل إليها في رقة.

- أتدرين ما أكثر شيء أثَّر فيَّ وأظهر لي القليل من جمال روحكِ، وجعلني أكثر تشبثًا بكِ؟ ثقتكِ بي! لقد أسرتني تلك الثقة، وشعرت بالخجل منها، لقد داهمتني رغمًا عنكِ لأسباب قد لا تعرفينها، أهم تلك الأسباب هي الحاجة إلى الحماية التي هي جوهر وجودك، لم يحمِك أحد أبدًا، هذا الشعور بالخطر الذي عانيتِه طوال حياتكِ، والذي أصبح لا غنى عنه لكِ أحيانًا، كان يصاحبه ألم عظيم لم يعُد بإمكانكِ تحمُّله، إلا عندما أكون جواركِ، ومنذ الدقيقة الأولى يهدأ كل شيء فيكِ، ففي تلك الليلة وفي ذروة

رعبكِ، كنتِ مطمئنة لمجرد وجودي، وتوقفت معاناتكِ بمجرد أن فرض المحقق □يكتور سطوته، منذ اللحظة التي خمنت فيها مَن هو المحقق □يكتور حقًّا، وعرفتِ أنكِ لن تذهبي إلى السجن، انتظرتِ الشرطة بلا خوف، وركبتِ سيارة المقاطعة وأنتِ على وشك الابتسام، حل الفرح والأمان محل الخوف والاضطراب، لقد جاءت تلك الفرحة من نفس الشعور الذي شعرت به، أليس كذلك؟ شعور محبب وغريب بدا وكأنه يستيقظ فجأة، على الرغم من وجوده الدائم وبقوته الكاملة داخلكِ بالفعل.. أليس هذا صحيحًا؟ أنا لست على خطأ، هل هذه حقيقة قلبكِ؟

لم تعترض على كلامه، ولم تؤكده أيضًا، ولكن يا لهذا الهدوء الذي سكن ملامح وجهها الجميل!

ظلا قريبين من بعضهما البعض حتى المساء، وعند حلول الليل سمحت لنفسها بالانسحاب.. لم تكُن تعرف إلى أين..

لقد كانا سعدين في تلك اللحظة النادرة التي لن يمكنهما نسياناها أبدًا..

حتى لو استعادت ألكسندرا توازُنها، فإنها لن تستطيع الحصول على حياة طبيعية تمامًا أبدًا، وقبل كل شيء لقد قبلت بكل ترحيب بالوجود غير المنتظم لهذا الرفيق في حياتها، لطالما كان هذا الرفيق ودودًا جدًّا عندما يظهر في حياتها، خير رفيق لنزواتها الطائشة، مخلصًا في الدفاع عن أفعالها المشينة، ومتقبلًا لأفكارها العبثية الكثيرة!

أراد لوبين أن يفي بالوعد الذي قطعه لبريساك، وقام بتهريبه بالفعل بعد ثمانية أشهر؛ كما قال له، عندما كان يغادر بريساك السجن في إيل دي ري متوجهًا إلى سجن آخر، كما قام أيضًا بتحرير الإنجليزي بيميش؛ وفقًا لوعد بريساك.

ذات يوم كان في زيارة إلى جاراش، بينما كان عروسان يخرجان من قاعة المدينة، متشابكين بحنان، كان غوستاف جيروم هو العريس، الذي تخلص من طلاق زوجته الخائنة، وكانت العروسة هي البارونة غابرييلا أوتري، الأرملة السابقة والعروس الخجول والمثيرة، التي استندت برفق على ذراع عزيزها جوستاف.

وعندما كانا على وشك الدخول إلى سيارتهما الفارهة، اقترب منهما رجل أنيق، انحنى للعروس، وسلمها إكليلًا من الزهور البيضاء الجميلة، وهو يقول:

- ألا تعرفيني يا سيدتي العزيزة؟ إنه أنا □يكتور، من المؤكد أنكِ ما زلتِ تتذكريني، □يكتور محقق شرطة الآداب، بعبارة أخرى أرسين لوبين! صانع سعادتكِ، لقد خمَّنت وقتذاك الانطباع الساحر الذي تركه السيد غوستاف جيروم في نفسكِ، ولهذا مهدت لهذا اليوم عن طريق ما فعلت، أريد أن أُقدِّم لكما تحياتي المخلصة وأحر تمنياتي بالسعادة.

في نفس المساء قال هذا الرجل الأنيق للغاية للأميرة ألكسندرا:

- أنا سعيد بنفسي الآن يا عزيزتي، يجب علينا أن نفعل الخير كلما استطعنا؛ لتعويض الشر الذي نضطر لفعله في بعض الأحيان رغمًا عنا؛ أنا متأكد من شيء يا ألكسندرا: لن تنسى غابرييلا في

صلواتها أبدًا هذا الرجل الشجاع يكتور محقق شرطة الآداب، الذي بفضله تم إرسال أوتري البغيض إلى عالم أفضل ليفسح المجال لغوستاف الثري الجذاب الذي لا يُقاوَم.

ولا يمكنكِ أن تتخيلي كم أنا فخور بأن تكون بداية حياة سعيدة كتلك على يدي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

عن الرواية..

مقدمة..

الفصل الأول

النمس يركض ويركض ()

(١)

(٢)

(٣)

الفصل الثاني

القبعة الرمادية

(١)

(٢)

الفصل الثالث

عشيقة البارون

(١)

(٢)

(٣)

الفصل الرابع

اعتقالات

(١)

(٢)

الفصل الخامس

الأميرة باسيليف

(١)

(٢)

(٣)

الفصل السادس

سندات الدفاع

(١)

(٢)

(٣)

الفصل السابع

المتواطئون
(١)
(٢)
(٣)
الفصل الثامن
معركة كامبريدج الكبرى
(١)
(٢)
(٣)
الفصل التاسع
في قلب الميدان
(١)
(٢)
(٣)
الفصل العاشر
ملف أ.ل.ب
(١)
(٢)
(٣)
الفصل الحادي عشر
الكرب الشديد
(١)
(٢)
(٣)
الفصل الثاني عشر
انتصار لوبين
(١)
(٢)
(٣)

Notes

[←1] (1) النمس يركض ويركض.. أغنية معروفة للأطفال في فرنسا، وهي عبارة شائعة مرتبطة بلعبة تقليدية للأطفال، في الواقع يتم استخدام التعبير «النمس يركض ويركض» أو يتم تصفير لحن الأغنية للإشارة بطريقة متواطئة فيما بين الناس إلى أنهم يبحثون عن شيء ما أو يقومون بفعل لا طائل منه.

[←2]

(2) هو مشروب مصنوع من قشر البرتقال المر الصغير والبراندي والسكر.

[←3]

(3) هي مدينة فرنسية تقع في منطقة إيل دي فرانس القريبة من باريس.

[←4]

(4) الإستركنين هو قلويد بلوري عالي السمية، عديم اللون، مبلور يُستخدَم مبيدًا للآفات، وخاصة لقتل الفقاريات الصغيرة، مثل: الطيور، والقوارض. يتسبب الإستركنين عند استنشاقه أو ابتلاعه أو امتصاصه من خلال العين أو الفم، في حدوث تسمُّم يؤدي إلى تشنجات عضلية، وفي النهاية الوفاة؛ من خلال الاختناق.

[←5]

(5) معركة المارن الأولى: معركة مهمة بين القوات الألمانية والقوات الفرنسية والبريطانية في الحرب العالمية الأولى، حدثت في الفترة 6- 12 سبتمبر 1914 على نهر المارن، وانتهت بانتصار القوات الفرنسية والبريطانية.

[←6]

(6) بِيرُو أو البيرو أو رسميًّا جمهورية بيرو، هي دولة في غرب أمريكا الجنوبية.

[←7]

(7) حي مونمارتر بالفرنسية، وهو حي من أحياء الدائرة الثامنة عشرة في باريس، ويُعَد من أعلى أحياء باريس من حيث الارتفاع، كما يُعَد أحد المعالم السياحية والمواقع الأثرية في باريس، فيه تقع كنيسة الساكري كور في مونمارتر.

[←8]

(8) هي حديقة تقع غرب باريس، بالقرب من ضاحية بولونيا- بيلانكور، وهي أكبر 2.5 مرة من سنترال بارك في نيويورك، وأكبر 3.3 مرة من هايد بارك في لندن.

(9) مغامرة المرأة ذات الوجهين. [←9]

(10) تُعَد لي هال منطقة تسوُّق تضم سلسلة متاجر تمتد على طول شارع رو دي ريفولي. [←10]